المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية

الاعتداء على الأرض والإنسان

تأليف
غسان محمد دوعر

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الثالث

أطوار الإرهاب وأشكاله

أطوار الإرهاب وأشكاله

أولاً: أطوار الإرهاب:

يعود إرهاب المستوطنين اليهود في فلسطين إلى ثمانينيات القرن الـ 19، باعتبار أن المستعمرة لا تعني سكناً أو مأوى أو مكان إقامة فحسب، بل تعني بيتاً وقرية ومدينة ودولة، تتوفر فيها الاحتياجات اللازمة لقاطنيها في السلم والحرب. وفي مقدمة تلك الاحتياجات، الأسلحة، فكانت المستعمرات ثكنات عسكرية في أغلب الأوقات. وقد ربط الزعيم الصهيوني زئيف فلاديمير جابوتنسكي الاستيطان بالقوة المسلحة عندما قال: "الصهيونية هي الاستيطان، وهي تحيا وتموت مع القوة المسلحة"[1].

وفي هذه المستعمرات، تلقى المستوطنون التدريب على أعمال القتل والتخريب والإرهاب، ومنها انطلقت معظم المنظمات الإرهابية لترتكب المجازر وتسفك الدماء وتقوم بحملات الاستيلاء على الأراضي. ومن هذه المنظمات، خرج كبار الإرهابيين الذين قادوا عمليات القتل والمجازر ضدّ الفلسطينيين، ومنهم من تزعم عمليات الاستيطان والاستيلاء على الأراضي، وأغلبهم تسلم مناصب رفيعة في الحكومة والجيش والكنيست بعد سنة 1948.

1. خلفية تاريخية:

شكلت المستعمرات اليهودية مصدر احتكاك واستفزاز دائمين للمواطنين الفلسطينيين، إذ كرس المستوطنون، من حيث نظام قيمهم وأنماط حياتهم وسلوكهم، وصور ممارساتهم، والبعد السياسي لتواجدهم في تلك الأراضي على المدى البعيد، جملة من الممارسات الكريهة التي تصبّ جميعها في خدمة عملية التهويد. وهو الأمر الذي أثار ارتياب الشعب الفلسطيني، فأحدث ردّ فعل وطني على هذه المستعمرات، تمثل في مقالات تنشر في الصحف العربية، وعرائض ترفع إلى السلطات العثمانية، وهجمات مسلحة، بدأت بشكل فردي، ثم تطورت إلى مستوى المستعمرة الواحدة، وذلك قبل أن تتأسس منظمة صهيونية مسلحة سنة 1907 تحمل اسم هشومير، جعلت من الدفاع

[1] يوسف حسن، "الدور الإرهابي للمستوطنات ضدّ الشعب الفلسطيني"، **صامد الاقتصادي**، العدد 90، ص 225.

عن كل المستعمرات اليهودية في فلسطين هدفاً لها، فضلاً عن وضعها شعار "العمل العبري" موضع التطبيق، أي طرد العمال العرب لإحلال عمال يهود محلهم.

في الفترة ما بين احتلال القوات البريطانية فلسطين سنة 1918، وفرض عصبة الأمم League of Nations الانتداب البريطاني على فلسطين في تموز/ يوليو 1922، عمدت المنظمة الصهيونية إلى تشكيل عصابة الهاغاناه Haganah سنة 1920، كذراعٍ عسكري، وأخذت هذه العصابة على عاتقها مهمة ممارسة الإرهاب ضدّ الفلسطينيين.

وحين استفحل الخلاف داخل الحركة الصهيونية، وانشق المتشددون، مشكلين "التصحيحيين"، بقيادة زئيف فلاديمير جابوتنسكي سنة 1927، عمد إلى تشكيل ذراعهم العسكرية بيتار Betar سنة 1935، إلى أن ورثتها إتسل، الشهيرة باسم أرجون سنة 1937. وبعد فترة، اشتد التمايز داخل أرجون، فكان انشقاق مجموعة بقيادة أبرهام شتيرن، سنة 1940، في عصابة أصغر حجماً وأشد تطرفاً، حملت اسم ليحي، وإن اشتهرت باسم مؤسسها شتيرن[2].

ومع حلول سنة 1948، كانت العصابات وفرق القتل الصهيونية، قد ارتكبت عدداً من المجازر والمذابح مستهدفة المدنيين الفلسطينيين، منها:

- سنة 1936، قتل فلسطينيين في بتاح تكفا.
- سنة 1937، قتل 17 فلسطينياً وجرح 21 آخرين نتيجة إلقاء قنابل على الحافلات العربية وأسواق الخضار في القدس ويافا.
- سنة 1938، قتل 184 فلسطينياً وجرح 270 في حيفا والقدس وتل أبيب، منهم عشرة قتلوا في أثناء خروجهم من المسجد الأقصى.
- سنة 1939، قتل 57 فلسطينياً وجرح 81 في القدس وبلد الشيخ قرب حيفا وفي رحبوت، بواسطة إطلاق النار واستخدام القنابل اليدوية.
- سنة 1944، نسف منزل مكون من أربعة طوابق في مدينة يافا، ولم تعرف أرقام الخسائر.

[2] لمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى: عبد الحفيظ محارب، **هاغاناه – اتسل – ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة 1937-1948** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، 1981)، ص 15.

- سنة 1946، نسف فندق الملك داود في القدس، وأدى ذلك إلى مقتل 41 فلسطينياً و28 بريطانياً و17 يهودياً و5 من جنسيات أخرى. وفي السنة ذاتها، قتل 3 فلسطينيين في تل أبيب.
- سنة 1947 قتل 288 فلسطينياً وجرح 274 في مدينة حيفا وبلد الشيخ وصفد والعباسية وطبريا والقدس واللطرون ويافا[3].

وقد سرد حاييم هنغبي في صحيفة معاريف العبرية بعض تلك العمليات، ختمها بتصريحات للزعيم الصهيوني زئيف فلاديمير جابوتنسكي عن "أبجدية الأخلاق القتالية"، ومنها قوله: "في الحرب، كل حرب وحرب، ليس كل واحد بريء... لا يوجد حرب إلا ويقع فيها أبرياء، إذا كنت لا تريد أن تضرب الأبرياء فمت، وإذا كنت لا تريد أن تموت... فاقتل ولا تثرثر، إن الحديث عن معاقبة الأبرياء هو كلام سطحي"[4].

أكملت العصابات الاستيطانية استعدادها وتدريباتها، لاحتلال المزيد من الأراضي الفلسطينية، وإسكان المزيد من المستوطنين اليهود فيها. وفي سبيل ذلك، ارتكبت عدداً آخر من المذابح ضدّ الفلسطينيين قبل وبعد 1948/5/15. وقد شارك في تنفيذ هذه المجازر، المستوطنون أعضاء التنظيمات اليهودية الذين شكلوا نواة الجيش الإسرائيلي.

وفي الأعوام اللاحقة، اتخذت مظاهر الإرهاب الصهيوني، بشقيه العسكري والاستيطاني، أشكالاً أخرى غير أعمال القتل وارتكاب المجازر، ومن هذه الأشكال:

- إخلاء سكان عين غزال وجبع بالقوة وتدميرهما، والاستيلاء على أراضيهما لأغراض الاستيطان.
- إجلاء سكان أقرت سنة 1948، وكفر برعم سنة 1949، وتحويلهم إلى لاجئين في وطنهم.
- إجلاء سكان كل من قرية: عنان، وكفر ياسيف، وحسام، وقطية، والجاعونة، من قراهم في الجليل إلى قضاء صفد سنة 1949.
- إبعاد الفلسطينيين من قرى الغابسية وبطاط ومنطقة العوجا سنة 1950.

---

[3] غازي السعدي، **من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين: مجازر وممارسات** (عمّان: دار الجليل للنشر، 1985)، ص 305.

[4] **القدس العربي**، 1998/3/13، ص 9، نقلاً عن: حاييم هنغبي، **معاريف**، 1998/12/12.

- الاستيلاء على أراضي كل من قرى: البروة، والبصة، وصفورية، وعمقا، والمنشية، وسحماتا، ومعلول، والرويس، والشجرة، والدامون، وحديثا، والطيرة، وأم الفرج، وميعار، وشعب، والخصاص، وتشريد أهلها منها بين 1949 و1951.
- إبعاد أهالي مجدل عسقلان إلى قطاع غزة، والاستيلاء على أراضيهم سنة 1952.
- إطلاق النار على مواطني منطقة العوجا في النقب، وإحراق خيامهم وتشريدهم في سنة 1952. وفي السنة ذاتها، نسف قرية أم الفرج، والاستيلاء على أراضيها[5].

2. بداية الاستفزازات والاعتداءات:

اندفعت الجهود الرسمية الإسرائيلية لاستيطان الأراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها سنة 1967، وجرت عمليات المصادرة تحت مختلف الذرائع والتبريرات، بل وجد المستوطنون أنفسهم في وضع يسمح لهم بالتصرف بدون ضوابط. وقد تمخضت هذه السياسة، عن زيادة أعداد المستوطنين والمستعمرات، وتصعيد الإرهاب ضدّ الفلسطينيين. كما أصبح هدم الأماكن المقدسة، وتدميرها، والاعتداء عليها من جانب المستوطنين أحد أوجه السياسة الإسرائيلية التي استهدفت المقدسات الإسلامية والمسيحية عقب سنة 1967.

تصدر الحاخامات، ورجال الدين اليهود حملات الإرهاب ضدّ المقدسات والمواطنين الفلسطينيين، فأصدر كبير حاخامات "إسرائيل" مردخاي إلياهو فتوى قال فيها: "إن المستوطن الذي قتل طفلة عربية في نابلس لا يعدّ قاتلاً". وفي فتوى مشابهة، قال الحاخام شلومو غورين: "يحق لليهودي أن يقتل المدنيين العرب العزل، بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ"[6].

تعرضت مدينة القدس لعمليات إرهاب من جانب الجماعات الاستيطانية والدينية. فبعد استيلاء جيش الاحتلال على ساحات المسجد الأقصى المبارك يوم 1967/6/7، قام الحاخام شلومو غورين، بصحبة خمسين مستوطناً بالصلاة في ساحة الحرم الشريف، تبعها جملة من الممارسات الإرهابية، منها:

- في 1969/8/21، أشعل المستوطن دينس مايكل روهان Denis Michael Rohan النار في المسجد الأقصى.

[5] عبد الرحمن أبو عرفة، **مرجع سابق**، ص 137.

[6] يوسف حسن، **مرجع سابق**، ص 229-230.

- في سنة 1971، قام المستوطنون بإحداث أعمال شغب في ساحات المسجد الأقصى.
- في سنة 1973، صلى عدد من الحاخامات وأعضاء الكنيست داخل ساحات المسجد الأقصى.
- في سنة 1979، حاول أتباع الحاخام كهانا إقامة صلوات في باحة المسجد الأقصى.
- في سنة 1981، حاول المستوطنون فتح سرداب أمام حائط البراق.
- في سنة 1982، استولى مستوطنون على ثلاثة منازل فلسطينية قرب المسجد الأقصى. وفي السنة نفسها، حاولت حركة كاخ الإرهابية نسف قبة الصخرة.
- في سنة 1984، تكررت محاولة نسف المسجد الأقصى.

ولم تسلم المقدسات المسيحية هي الأخرى من اعتداءات المستوطنين وتخريبهم، فقد تعرضت كنيسة القيامة لسرقة تاج السيدة العذراء في أواخر سنة 1967، وحطم مستوطنون قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس في الكنيسة سنة 1970. وحاول ثلاثة مستوطنين سرقة إكليل مرصع بالألماس على رأس تمثال السيدة العذراء سنة 1973، واعتدوا بالضرب على راهب في كنيسة القيامة. كما تعرض المطران فاسيلوس، الرجل الثاني في البطريركية الأرثوذكسية للروم في القدس، للضرب المبرح. وفي سنة 1983، انفجرت عبوة ناسفة عند مدخل الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية أدت إلى إصابة راهبة بجراح[7].

أما في مدينة الخليل، فقد بدأ إرهاب المستوطنين منذ الأيام الأولى للاحتلال. ففي 1967/6/9، توجهت أول مجموعة استيطانية يهودية إلى المدينة، ورفعت العلم الإسرائيلي على الحرم الإبراهيمي، ومنعت الصلاة فيه. وفي السنة التالية، قامت مجموعة من المستوطنين بإنشاء حي استيطاني في المدينة، ثم أنشأت سلطات الاحتلال مستعمرة كريات أربع، وهي أقدم مستعمرة في الضفة الغربية، وأكثرها سكاناً بعد المستعمرات المحيطة بالقدس.

يمكن اعتبار العلاقات بين مستوطني كريات أربع والفلسطينيين المجاورين لهم مماثلة، بوجه عام، للعلاقات بين المجتمعين في أنحاء الضفة الغربية كافة. ولهذا السبب، فإن أغلبية الأمثلة التي نوردها لانتهاكات حقوق الإنسان التي يقترفها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين في الضفة الغربية، سوف تؤخذ من منطقة الخليل، على أنه لا بدّ من

[7] غازي السعدي، **من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين**، ص 209.

التشديد على أن سكان هذه المستعمرة ليسوا وحدهم الذين يقترفونها. فقد وقعت حوادث مشابهة، شاركت فيها مستعمرات أخرى في الضفة الغربية[8].

وفي إطار تشجيع المستوطنين على التمسك بالأرض، أتاحت سلطات الاحتلال لهم مجالاً واسعاً لتشكيل تنظيماتهم الخاصة، سواء في ميدان الاستيطان، أو في الميدان الأمني. وأخذت هذه التنظيمات تتكاثر منذ السنوات الأولى للاحتلال، بعد أن أعطيت هامشاً عريضاً للحركة، من مختلف الأوساط والهيئات الرسمية والحزبية. وكانت العوامل الأيديولوجية والسياسية تتظافر مع الاعتبارات المادية والمعيشية، في نشوء وضعية خاصة للمستوطنين.

توفرت الأجواء المناسبة للمستوطنين في الخليل، ثم في باقي مناطق الضفة الغربية، للاستيطان. وقد بينت السنوات اللاحقة أن المستوطنين وضعوا هذه الأجواء، ليس فقط لتعزيز صفوفهم، وإنما أيضاً للارتقاء بمستوى العداء للعرب، مما أعاد للمستوطن مهامه الإرهابية المبكرة، بالتدريج، وإن في سياق آخر، وفي ظلّ موازين قوى تميل لصالحه تماماً، بل أصبح المستوطن يذهب إلى الحرم الإبراهيمي الشريف بذهنية "السيد في أرض مستباحة".

ومن هنا، يمكن قراءة إقدام بعض المستوطنين الأوائل في كريات أربع على انتهاك حرمة الحرم الإبراهيمي، وقيامهم بانتزاع غطاء مقام النبي إبراهيم، ووضع غطاء جديد يحمل نجمة داود، الأمر الذي أثار موجة من السخط والغليان الشعبي في أوساط الفلسطينيين؛ تطور إلى اشتباك مع هؤلاء المستوطنين، استخدمت فيه السكاكين والعصي والقضبان الحديدية، وسقط نتيجته عدد من الجرحى من الطرفين[9].

وبلغت اعتداءات المستوطنين أوجها، حين سمحت سلطات الحكم العسكري رسمياً لليهود بأداء الصلوات في الحرم، حيث أن هذه الصلوات اتخذت طابعاً تظاهرياً استفزازياً، حين قام الحاخام مئير كهانا باقتحام مدينة الخليل ومعه مئة من أتباعه، في 1972/8/27، وأدوا الصلاة بالقرب من الحرم الإبراهيمي.

[8] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 180.

[9] مجلة **المجتمع**، الكويت، العدد 168، 1973/9/18، ص 13.

وفي أيلول/ سبتمبر 1972، قررت سلطات الحكم العسكري السماح لليهود بالصلاة في الحرم في أوقات صلاة المسلمين. وتحت ستار هذا القرار، تمّ الاستيلاء على الزاوية اليعقوبية والحضرة الإبراهيمية، وجرى في الوقت نفسه، تقليص الساعات المسموح فيها للمسلمين بالصلاة.

وبلغت استفزازات المستوطنيين ذروتها، حين تسلل أربعة منهم صباح يوم السبت الموافق 1976/10/2 إلى داخل الحرم الإبراهيمي، ومزقوا كل المصاحف فيه وداسوها بأقدامهم. وقد أدى الحادث إلى وقوع اشتباكات عنيفة بين المستوطنين وأهالي الخليل، فرضت سلطات الاحتلال على إثرها منع التجول لمدة 17 يوماً، تمكن المستوطنون خلالها من تحطيم وسرقة معظم أثاث الحرم، أبرزها ساعتان أثريتان، وساعتان من نوع بولاريس، وكتب ومصاحف ذات قيمة تاريخية، والهلال الموجود على قبة السلطان قلاوون المقامة فوق باب المغارة المدفون فيها الأنبياء عليهم السلام، وجميع محتويات غرفة رئيس السدنة، ومفاتيح مقامات الأنبياء، وسجاد عجمي أثري عمره عدة قرون[10].

ونفذ المستوطنون وتنظيماتهم المسلحة سلسلة من أعمال الإرهاب، طالت معظم المدن والقرى والمخيمات. فقد قدمت شكاوى كثيرة ضدّ المستوطنين الذين يطوفون بيوت العرب المقيمين حول مستعمرة كريات أربع، وهم يفجرون القنابل، ويطلقون التهديدات للعرب لحملهم على المغادرة[11].

إن أساليب الاعتداءات وأشكالها كثيرة، والأمثلة عليها كثيرة أيضاً، ولدى بلديات مدن الضفة الغربية سجل مليء بالشكاوى التي سجلها المواطنون الفلسطينيون، ويدور كثير من تلك الشكاوى حول مهاجمة المستوطنين للبيوت والكروم والبساتين. وقد شهدت سنة 1979 أخطر تلك الاعتداءات، حيث هاجم عشرات المستوطنين مدينة حلحول في جنوب الضفة الغربية، وقتلوا شابين، وخربوا 27 سيارة لأهالي المدينة[12].

ومن بين تلك الشكاوى كذلك، اعتداء على حارس الحرم الإبراهيمي في 1976/4/30، بعد أن تدخل الحارس لمصلحة طفل في نحو الخامسة من عمره اعتدى عليه أحد المستوطنين، لكن المستوطن أخذ يصرخ على الحارس، وسحب بندقيته وهدده بإطلاق

[10] بلال الحسن، **مرجع سابق**، ص 9-11.

[11] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 185.

[12] يوسف حسن، **مرجع سابق**، ص 231.

النار، فاستدعى الحارس رجال الشرطة، الذين سمحوا للمستوطن بالانصراف. كما تقدم أحد الفلسطينيين بشكوى فحواها أن مستوطني كريات أربع داهموا بيته مساء 1976/9/4، واعتدوا على أسرته، واقتلعوا الأشجار والكروم[13].

3. مرحلة تصعيد العنف الوحشي:

بيد أن المواجهة الإرهابية العاتية تصاعدت في بداية الثمانينيات، وتحولت شبكات المستوطنين السرية، بالتدريج، إلى جزء من الواقع، وباتت أعمالها الانتقامية من الفلسطينيين روتيناً اكتسب الشرعية والرعاية الخاصة من قبل الجيش والمؤسسات الإسرائيلية العامة.

وبدورها، قدمت الأوساط السياسية والحزبية الإسرائيلية مبررات واهية لممارسات المستوطنين ضدّ المواطنين الفلسطينيين، بحجة الدفاع عن النفس والمحافظة على الأمن وحماية أنفسهم من تحرشات السكان العرب واعتداءاتهم، وغيرها من المبررات. والحقيقة أن الفلسطينيين هم الذين كانوا يحتاجون للحماية مما يقوم به المستوطنون من عمليات نهب ومصادرة للأراضي، وما رافقها من اعتداءات دموية، واستفزازات لا أخلاقية، وصلت إلى حدّ أن أصبح المستوطنون قوة ميليشية موازية للجيش الإسرائيلي[14].

تقول الصحفية الإسرائيلية يغئال غلاي: "لقد اعتادت الجماهير على الحقيقة الواقعة، وهي أن مستوطني الضفة الغربية يحملون السلاح، ويتجولون به في شوارع المدن والقرى العربية، وهؤلاء المستوطنون لا يترددون أبداً في إطلاق النار على المواطنين بقصد القتل".

وتضيف الصحفية: "إن مستوطني الضفة الغربية، حينما يتمّ تسريحهم من الخدمة الاحتياطية في الجيش الإسرائيلي، فإنهم ينتظمون في وحدات شبه عسكرية خاصة، مهمتها الدفاع عن المستوطنات والمستوطنين، وهذه الوحدات أشبه ما تكون بوحدات الميليشيا أو الحرس المدني".

---

[13] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 185.

[14] معين محمود، **مرجع سابق**.

ويستفاد مما تنشره الصحف الإسرائيلية نفسها عن نشاطات المستوطنين وأعمالهم، أنه قبل بضع سنوات، كانت الوحدات المسلحة من بين المستوطنين صغيرة، وضعيفة، ويشرف عليها قادة غير أكفاء. أما اليوم، فقد أصبحت هذه الوحدات منظمة حسب الأصول العسكرية، ومعدة للتدخل الفوري، ويشرف عليها قادة شبان أكفاء، ولدى هذه الوحدات شبكات اتصال ومعدات عسكرية ضخمة وثقيلة، وإن معظم هذه الوحدات تابعة للقيادة العسكرية لحركة جوش أمونيم.

وأكثر من هذا، فإن صحيفة هآرتس تقول بأن المستعمرات "تعدّ خارج نطاق سلطات القانون الإسرائيلي، وفي أحسن الأحوال، فإنه يتمّ الدخول إليها من جانب تلك السلطات بعد مباحثات ومفاوضات معقدة، وكأنها منطقة تحت سيادة أخرى، أو على الأقل، كأن لها حكماً ذاتياً".

أدى القرار الذي اتخذته محكمة إسرائيلية في أواخر أيلول/ سبتمبر 1983، بأن تجري علناً جلسات محاكمة زئيف فريدمان، مساعد رئيس بلدية كريات أربع، وموشيه روزنتال Moshe Rosenthal، المسؤول عن الأمن في المستعمرة، بتهمة حيازة أسلحة بدون تصريح وطمس الأدلة والشهادة بالزور، بعد القبض عليهما في إطار التحقيق في الاعتداءات التي تعرض لها ثلاثة من رؤساء بلديات الضفة الغربية، إلى كشف النقاب عن نشاط الجماعات الاستيطانية الإرهابي في الضفة الغربية.

وقد اعترف فريدمان بأنه قام، بمبادرة شخصية منه على حدّ زعمه، بإبطال مفعول قنبلة يدوية الصنع، وبطمس معالمها تماماً، بعد أن عثر عليها مخبأة في مبنى بلدية كريات أربع، وكانت القنبلة مغلّفة بورق صحف يحمل تاريخاً يسبق الاعتداء على رؤساء البلديات بعدة أيام، وتبين أن المادة المتفجرة المستخدمة فيها، هي من النوع نفسه الذي يستخدمه الجيش الإسرائيلي[15].

ويشير الجدول رقم 3/1 إلى ملخص لأعمال الإرهاب والجرائم التي ارتكبها المستوطنون من سنة 1980 وحتى نهاية سنة 1984، والتي تصل في مجموعها إلى 1,919، منها 735 اعتداء ضدّ الأشخاص، و1,184 اعتداء ضدّ الممتلكات.

كما وردت في النشرة الصادرة عن مؤسسة القانون من أجل الإنسان بأن أعمال العنف التي قام بها الجيش الإسرائيلي منفرداً أو متعاوناً مع المستوطنين

[15] عمر الخطيب، إسرائيل: تحولات في المجتمع والسياسة.

بلغت 226 حادثة خلال سنة 1985، أدت إلى استشهاد 9 فلسطينيين (4 بواسطة الجيش و5 بواسطة المستوطنين)، وإصابة 20 شخصاً (15 بواسطة الجيش و5 بواسطة المستوطنين وروابط القرى).

جدول 3/1: إحصائية بأعمال الإرهاب والجرائم التي ارتكبها المستوطنون (1980-1984)[16]

وصف الاعتداء	العدد	وصف الاعتداء	العدد
حوادث صغيرة	384	اعتداء على الأماكن العامة	24
حادثة قتل	23	تخريب السيارات	725
حادثة خطف	38	عدد الجرحى	191
اعتداء على الأرض	71	حادثة إزعاج ومضايقات	99
اعتداء على الأماكن المقدسة	41	المسّ بالثروة الحيوانية	83
اعتداء على المساكن والمحلات التجارية	120	اعتداء على المدارس والكليات	30

من الجدول، نرى أن معظم حوادث العنف الاستيطاني كانت موجهة ضدّ ثلاثة محاور: الإنسان، والأرض، والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وتشكل هذه المحاور الثلاثة المرتكزات الأساسية للانتماء الفلسطيني. وعليه، فلا غرابة أن تضع الحركة الاستيطانية في مقدمة أهدافها القضاء على هذه المرتكزات.

ونورد فيما يلي بعض الأمثلة التي توضح استخدام المستوطنين للعنف كوسيلة وحيدة من أجل القضاء على تطلعات الفلسطينيين، عن طريق الإلغاء التدريجي لمرتكزات ارتباطهم ببلدهم:

أ. على صعيد محور الإنسان: هناك مثلاً 32 حادثة قتل و38 حادثة اختطاف، وكان من بين المخطوفين حوالي 19 طفلاً.

ب. على صعيد محور الأرض: تشير معظم الدراسات والإحصائيات إلى أن نصف مساحة الضفة الغربية قد صودرت من أجل إقامة المستعمرات وتوسعتها عن طريق ربطها ببعضها، بحيث تشكل حزاماً خانقاً حول القرى والمدن العربية، تماماً كما تمّ تطويق مدينة القدس وعزلها عن باقي أنحاء الضفة الغربية.

[16] يوسف أبو سمرة، **مرجع سابق**، ص 26.

ج. على صعيد المحور الثالث: لم تسلم المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية من هجمات المستوطنين. فقد قام أفراد أو جماعات منهم بالاعتداء على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في معظم أنحاء الضفة الغربية. كما شارك المستوطنون الجيش الإسرائيلي أكثر من مرة في وضع الحواجز وإغلاق الطرق المؤدية إلى المدارس والجامعات، وفي حالات كثيرة تمّ اقتحامها والاعتداء على الطلبة والعاملين داخل مثل هذه المؤسسات. ويشير الجدول رقم 3/1 إلى أن هناك ثلاثين حالة اعتداء ضدّ المدارس، منها واحدة ضدّ روضة أطفال. وغالباً ما تقوم السلطات، مع المستوطنين أحياناً، بإغلاق هذه المؤسسات التعليمية لفترة قصيرة، أو لفترات طويلة.

كما يقوم المستوطنون عادة بإقامة حواجز أمنية، بهدف قطع الطرق وتعطيل أعمال المواطنين وتفتيشهم بطرق مهينة، وكان أهم هذه الحوادث يوم 1985/2/3، حيث شارك حوالي ثلاثة آلاف مستوطن معظمهم من الشباب صغار السن، بقطع حوالي 28 طريقاً رئيسية في منطقة القدس، أي كل الطرق المؤدية من القدس وإليها، والتي تربطها ببقية مدن الضفة الغربية.

وبما أن المؤسسات البلدية في الضفة الغربية وقطاع غزة من أهم مظاهر التعبير عن الهوية والانتماء الفلسطيني، قامت إحدى عصابات المستوطنين بمحاولة قتل رؤساء بلديات أكبر ثلاث مدن في الضفة الغربية، وتكفلت سلطات الاحتلال بإبعاد آخرين. وأكملت الخطة بإقالة من لم ينجح المستوطنون في قتله، وعينت ضباطاً إسرائيليين كرؤساء للبلديات في نابلس، والخليل، ورام الله، والبيرة، وغزة.

كما قامت شبكة تخريبية أخرى، بمحاولة تفخيخ ست حافلات عربية في القدس الشرقية في تموز/ يوليو 1984. وقد تمّ إلقاء القبض على معظم عناصر هذه الشبكة، واعترفوا بكل ما قاموا به من حوادث قتل وخطف ونسف، وثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ مسؤولية هذه الشبكة عن معظم حوادث العنف الاستيطاني المنظم. كما ثبت أيضاً، تواطؤ السلطة المحتلة وعساكرها معهم، نتيجة الأحكام المخففة التي فرضت عليهم داخل سجن مفتوح، حيث قضوا نصف مدة الحكم أو أقل ثم أفرج عنهم[17].

[17] **المرجع نفسه**، ص 26-27.

إن محاولة أجهزة الأمن الإسرائيلية كشف النشاط الإرهابي اليهودي، أواسط الثمانينيات، تظهر إلى جانب شبكة جوش أمونيم السرية الشهيرة، وجود سلسلة من المجموعات الأقل تنظيماً ومهارة، ولكنها خطرة بالتأكيد. ومن تلك المجموعات، كانت هنالك مجموعة من أعضاء حركة كاخ، التي تمثل عملها الأبرز في إطلاق الرصاص على حافلة عربية، إلى الشمال من رام الله. كما حاولت إحراق مكاتب صحيفة الفجر المقدسية. وهنالك مجموعة لفتا، التي زرع أعضاؤها مواد ناسفة في ساحة المسجد الأقصى، في إحدى ليالي شتاء 1982. وهنالك مجموعة عين كارم، التي حاولت إلحاق الضرر ببعض الكنائس، فضلاً عن قاتلي السائق العربي، الذين عوقبوا بالسجن المؤبد، قبل أن يصدر رئيس الدولة عفواً عنهم.

ومن الواضح، أن محاولة قتل رؤساء البلديات العربية، في حزيران/ يونيو 1980، تتطلب الكثير من التنظيم، وكان اختيار الأهداف على مستوى من الدقة. وجاء منفذو هذه العملية الإرهابية، وهم من مستوطني جوش أمونيم، من خلفية اجتماعية مختلفة تماماً عن خلفية أعضاء مجموعة عين كارم، وغيرهم ممن كانوا يتحينون الفرص للانتقام من العرب، أو لإلحاق الضرر بالأماكن المقدسة[18].

ومن النماذج الرائجة لإرهاب المستوطنين خلال تلك الفترة:

- سنة 1980، وضع عبوات ناسفة في سيارات رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة. ونتيجة ذلك بترت ساقا بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس، وأخمص قدم كريم خلف رئيس بلدية رام الله وأصيبت قدمه الأخرى بجراح بالغة، بينما نجا رئيس بلدية البيرة إبراهيم الطويل بأعجوبة.
- سنة 1981، إشعال النار في حافلة لطلبة جامعة الخليل، وعدد من المحلات التجارية في منطقة السوق.
- سنة 1982، قتل شاب من قرية بني نعيم، وآخر من قرية سنجل، وفتاة في مخيم العروب، وشاب عمره 16 عاماً في نابلس، وشاب في مدرسة الحسين بن علي في الخليل، وطفلة عمرها أربع سنوات في الخليل أيضاً، وصبياً عمره 12 عاماً في البيرة.
- سنة 1983، إطلاق النار وتفجير قنابل في مخيم قلنديا، وجامعة بيرزيت، ومسجد القزازين في الخليل، وحديقة في نابلس، وعلى حافلات في رام الله والبيرة، واقتلاع أشجار من أراضي قرى دورا، وسنجل، وبطين، وطولكرم.

[18] عبد القادر ياسين، **مرجع سابق**، ص 69.

وفي شهر آذار/ مارس 1983، ارتكب المستوطنون جريمة جديدة استهدفت طلاب المدارس، وأسفرت عن إصابة الآلاف من الطالبات والطلبة بالتسمم، وخاصة في مدارس جنين وعرابة وميثلون وبرقين وطولكرم، بعد أن قاموا برش مادة كيميائية سامة على ستائر المدارس، يؤدي استنشاقها إلى حدوث التسمم.

وفي السنة ذاتها، قتل المستوطنون الطفلة عائشة البحش في مدينة نابلس، وأحرقوا ست سيارات فلسطينية في القدس، وقتلوا ثلاثة مواطنين في مخيم الدهيشة، وأحرقوا أربعة آلاف دونم من الزيتون في منطقة نابلس. كما ارتكب المستوطنون جريمة إرهابية في الخليل، عندما اقتحموا الجامعة وأطلقوا النار باتجاه الطلبة، فقتلوا ثلاثة وجرحوا 23.

وأخطر تلك الاعتداءات حدث عند منتصف نهار الجمعة الموافق 1983/2/25، إذ انفجرت قنبلة مخبأة تحت كومة من الحجارة خارج مسجد القزازين في الخليل، قبل وقت قصير من خروج نحو ثلاثة آلاف مصلٍّ، الأمر الذي أدى إلى جرح اثنان وإعطاب سيارتين كانتا متوقفتين في المنطقة ذاتها. ورعاية الله وحدها أنقذت الناس من الإصابة، وذلك لأن الصلاة في هذا المسجد الواقع في سوق المدينة تأخرت بعض الشيء[19].

وتوجد تقارير كثيرة عن قيام المستوطنين بتخريب أملاك الفلسطينيين في الخليل، ويقول أحد التقارير الصادر في 1983/5/13، إن جماعة تسمي نفسها "قبضة المدافعين" ادعت المسؤولية عن تخريب نحو ستين سيارة. وفي 1983/7/1، أضرم المستوطنون النار في حافلة تملكها شركة عربية في قرية العروب قرب الخليل، وأذاع الراديو الإسرائيلي أن المستوطنين اليهود ادعوا مسؤولية حرقها.

وكانت طفلة تبلغ من العمر خمسة أعوام قد أصيبت، بينما كانت تشاهد التلفاز في البيت، برصاص المستوطنين خلال احتفالهم بعيد المساخر (البوريم) Purim Holiday يوم 1983/2/28، حيث تصف، والدة الضحية في تصريح مشفوع بالقسم أحداث ذلك المساء، فتقول إنها رأت ثمانية مسلحين يسيرون في الشارع، وهم يغنون بصوت عالٍ بالعبرية والإنجليزية: "اتركوا هذه الأرض، فهي أرض إسرائيل سوف نذبحكم"[20].

[19] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 187-188.

[20] **المرجع نفسه**.

وفي سنة 1984، كانت ممارسات المستوطنين الإرهابية مشابهة لجرائمهم في السنة السابقة ومن أبرزها: إحراق مسجد سعد الدين في مدينة نابلس، وتحطيم سيارات في رام الله، ومحاولة نسف المسجد الأقصى، واغتيال الشاب وحيد فياض (17 عاماً) في أحد حقول جنين، وإلحاق أضرار بالغة في حقول قرية بني حسين، وإطلاق النار على راهب في الكنيسة المعمدانية بالقدس، وإحراق حافلة عربية في رام الله وإصابة ستة من العمال، وتفجير مسجد النبي صموئيل بقنبلة موقوتة، ومنع المزارعين من زراعة 700 دونم من أراضيهم في منطقة الخليل، وقتل عشرة فلسطينيين في حوادث متفرقة[21].

لم يتوقف مسلسل الاعتداءات والعنف من قبل المستوطنين بانتقال الحكومة الإسرائيلية إلى حزب العمل في السنتين التاليتين 1985 و1986، بل شهدت تعزيزاً وتوسيعاً لرقعة الإرهاب الموجهة للفلسطينين في الضفة الغربية، إلى درجة قيام ستة نواب من أعضاء الكنيست بالاستيلاء على أحد البيوت العربية في حي القصبة، مطالبين بتكريس الاستيطان اليهودي في قلب مدينة الخليل[22].

وقطع إرهاب المستوطنين شوطاً بعيداً في مطلع كانون الثاني/ يناير 1986، حين نشر نائب رئيس بلدية القدس، الحاخام نسيم زئيف Nissim zeev، تصريحات بشأن الأخطار التي تهدد ضاحية النبي يعقوب المقدسية بسبب وجود العرب فيها. كما زارها الحاخام كهانا، في واحدة من جولاته المعهودة، الداعية إلى طرد العرب، وعقد ممثل حركة شاس مؤتمراً صحفياً في الضاحية، حرض فيه على العرب هناك.

وفي أحد أيام كانون الثاني/ يناير 1986 طلب ثلاثة مستوطنين من أسرة عربية مغادرة منزلها، الكائن في ضاحية النبي يعقوب، واندلعت أحداث عنف ضدّ العرب المقدسيين في هذه الضاحية. وفي كانون الثاني/ يناير من السنة التالية، وصل إرهاب المستوطنين ذروته، حين اجتاحوا منازل الفلسطينيين في القدس الشرقية، وأعملوا فيها إحراقاً، وتدميراً، وتخريباً، وتقتيلاً بقاطنيها[23].

---

[21] يوسف الحسن، **مرجع سابق**، ص 231-233.

[22] حسن التميمي، الخليل: مدينة موغلة في القدم عربية النشأة، صحيفة **الأسواق**، الأردن، 1996/12/5، ص 23.

[23] عبد القادر ياسين، **مرجع سابق**، ص 69-70.

وفي 1987/6/7، شنّ قرابة مئة مستوطن، هجوماً على مخيم الدهيشة للاجئين، حيث رجموا المخيم بالحجارة، وتسلل اثنان منهم إلى داخل المخيم، وأطلقا النار على بيوته، مما أدى إلى تحطيم جميع نوافذ المنازل، على طول طريق القدس – الخليل، عدا عشرات نوافذ المنازل، وزجاج العديد من السيارات داخل المخيم.

وقد أثار هذا الحادث ردات فعل متنوعة، حتى أن صحفياً إسرائيلياً رأى أن ذلك الاعتداء "أخطر وأدهى من أعمال الإرهاب والقتل، التي قامت بها الحركة السرية اليهودية"، بل يقرّ الصحفي نفسه، بأن "هنا بداية منهج" مختلف، حيث "ليس ثمة أعمال إرهاب، يقوم بها أفراد من الحركة السرية، وإنما أعمال عصيان، وتمرد، ورفض الامتثال لأوامر الجنود والضباط، صراحةً، مع اللجوء إلى القوة الجسدية".

ويستطرد الصحفي نفسه:

> لقد تحولت كريات أربع إلى الحصن الأول والأكبر على خريطة البلد لأعضاء كاخ، والمنجرين وراءهم. فمن كريات أربع تخرج نار التحريض، والتنظيم لكل التظاهرات وأعمال العنف المختلفة، بينما يفترض أن مستوطنات جوش أمونيم منخرطة في الدفاع المحلي للجيش الإسرائيلي، وهي تخضع لسلطته وإمرته. ومن أجل ذلك، خصص لها سلاح وقوة بشرية. ومن الجهة الثانية، هي رأس جسرٍ أيديولوجي وسياسي، يهدف إلى جر دولة إسرائيل كلها، وربما إجبارها، على تحقيق هدف ضمّ المناطق إلى إسرائيل، وفرض سيادة إسرائيلية كاملة عليها[24].

4. مرحلة حرب العصابات:

ما كان لإرهاب المستوطنين واعتداءاتهم أن تستمر دون أن تشعل، مع عوامل أخرى، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في الضفة الغربية وقطاع غزة، ناهيك عن أن قيام المستوطن هيرتزل بوكوزا يوم 1987/12/8، بمداهمة عمال فلسطينيين عند معبر بيت حانون، شمال قطاع غزة، وقتله أربعة منهم وجرح ثمانية آخرين، كانت الشرارة التي أشعلت خزان الغضب الشعبي، فَوُلِدَت الانتفاضة.

---

[24] حفاي أشد، **دافار**، 1987/6/12، انظر ترجمتها العربية في: نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 7، السنة 14، تموز/ يوليو 1987، ص 533-534.

في هذه الانتفاضة، أثبتت المستعمرات، مدى حيويتها في المنطقة، ومدى ضرورة الوجود اليهودي في كل مناطق الضفة بالذات، بحسب زعم الحاخام موشيه ليفنغر، أحد مؤسسي جوش أمونيم، وواحد من أبرز قادتها. لأنه ثبت، في رأيه، بأن قوة الانتفاضة في الأمكنة التي يستوطنها اليهود كانت أقل من قوتها في المناطق الأخرى. ففي الخليل، كانت الانتفاضة أقل من تلك التي في نابلس وفي قطاع غزة، الخالية تقريباً من اليهود. ولولا المستعمرات والمستوطنون لكان حافز الجيش الإسرائيلي على قمع الانتفاضة أقل كثيراً. ويضيف ليفنغر: "لكانوا شعروا في يهودا والسامرة كما لو كانوا في بلد غريب، كما سبق أن شعروا في لبنان... إن هذا يعطيهم الإحساس بأنهم مدعوون إلى الدفاع عن الوطن، لا إلى القتال في بلد غريب".

وبروح هذا الرأي، فإن مستوطني كريات أربع، ثم المستوطنين من جيرانهم، عمدوا إلى تنظيم دوريات التطويق، الخاصة بهم. وهي مجموعات تتجول بسيارة في مراكز حراسة الجيش الإسرائيلي، وتوزع القهوة والكعك على الجنود حتى يشعروا بأنهم على مقربة من بيوتهم[25].

في بداية الانتفاضة، اعترى الخوف والارتباك المستوطنين في الضفة والقطاع، ولكن بعد مضي حوالي ستة أشهر، أخذ المستوطنون يلحون على الحكومة الإسرائيلية، كي تصعد إجراءاتها القمعية ضدّ الانتفاضة.

وهذا أليكم هعتسالي، حليف ليفنغر، يقول فيما يتعلق بإبعاد ناشطي الانتفاضة، الذي اعتمدته الحكومة الإسرائيلية: "لو كانوا فعلوا ذلك في بداية الانتفاضة، لكان يكفي إبعاد ألفي شخص. أما اليوم، فيجب إبعاد خمسة آلاف، من أجل وضع حدّ للانتفاضة، فوراً"[26].

وبالرغم من السياسة الإرهابية التي ينفذها الجيش الإسرائيلي ضدّ الفلسطينيين، والصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها المستوطنون كحمل السلاح والتجول به وتنظيم دوريات مسلحة، وإطلاق النار، فإن هؤلاء المستوطنين يتهمون الحكومة والجيش

[25] ران كسليف، **مرجع سابق**، ص 613.

[26] **المرجع نفسه**.

الإسرائيليين باعتماد "سياسة مرنة تجاه السكان العرب، تشجعهم على تصعيد مقاومتهم"، ويطالبون باستخدام إجراءات أكثر تشدداً ترتكز على إطلاق النار على الفلسطينيين بشكل كثيف، واعتماد سياسة الإبعاد وتدمير البيوت على نطاق واسع للتخفيف من الكثافة السكانية العربية.

كما طالبوا بإعطائهم صلاحيات إضافية وإشراكهم في حملات القمع التي ينظمها الجيش الإسرائيلي. ومما تجدر الإشارة إليه، أن المنظمات الاستيطانية التي ينتمي إليها المستوطنون والأحزاب اليمينية والدينية، تتعاطف وتؤيد هذه التوجهات وتمارس ضغوطات مكثفة على الحكومة الإسرائيلية للأخذ بها وتطبيقها.

ولعل في هذا كله، ما يفسر إصرار المستوطنين على توسيع دائرة العقاب الجماعي، من دون قيود قانونية. ففي مظاهرات نظمها مجلس يهودا والسامرة وغزة، رفع شعار "فلتدمر بيتا"، قالت سكرتيرة جوش أمونيم، دانئيلا فايس Daniella Weiss، إن القرية "ليس لها حقّ في الوجود". وطالبت شبيبة حزب تسوميت بنقل جميع أهالي القرية إلى لبنان، فوراً، بينما اكتفى رئيس سكرتارية إيلون موريه بالمطالبة بطرد 200 عائلة، في حين اقترح عضو الكنيست أليعازر فالدمان محو القرية من الوجود[27].

أرادت حركة هتحيا بأن تعبر عن هذا المزاج الفاشي، فأصدرت برنامجها لضرب الانتفاضة، وفيه اقترحت:

> أولاً، اعتبار زعامة الانتفاضة خارج القانون... ثانياً، الطرد من البلاد... ثالثاً، سحب الجنسية من العرب في إسرائيل الذين يضرون بأمن الدولة... رابعاً، فرض عقوبة الإعدام في حالات خطيرة... خامساً، تعديل وضع المحكمة العليا بالنسبة للانتفاضة، فلا يسمح لأهالي الضفة والقطاع التوجه إليها للنظر في أوامر الطرد من البلاد... سادساً، استئصال المؤسسة الإرهابية لـ م.ت.ف... سابعاً، عدم استخدام جامعات وكليات عربية أوكاراً تخريبية... ثامناً، التساهل في أوامر إطلاق النار... تاسعاً، الحيلولة دون قيام م.ت.ف. بتمويل الانتفاضة... عاشراً، منع مزايا اقتصادية لشعب

[27] أولك نيتسر، **دافار**، 1988/5/30، انظر ترجمتها العربية في: نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 6، السنة 15، حزيران/ يونيو 1988، ص 429-430.

الضفة والقطاع... حادي عشر، هدم أبنية الخطرين من الناحية الأمنية، والاستيلاء عليها... ثاني عشر، عدم استخدام المساجد في نشاط إرهابي... ثالث عشر، تشديد الرقابة على جسور نهر الأردن[28].

وفي مواجهة الانتفاضة، قام المستوطنون بدورهم الإرهابي جنباً إلى جنب مع جيش الاحتلال، ومن ذلك: إلقاء قنابل مختلفة الأشكال (أقلام، لعب أطفال، لعب كرتون، علب معدنية جذابة...إلخ) في القرى والتجمعات السكانية تنفجر عند لمسها أو اللعب بها، وزرع ألغام ضدّ الأفراد وعبوات مفخخة في مداخل القرى الفلسطينية، وإطلاق النار على المواطنين الفلسطينيين بشكل يومي تقريباً، والتسلل إلى القرى وهم يرفعون الكوفية الفلسطينية على مقدمات سياراتهم وإطلاق النار بشكل مفاجئ على المواطنين[29].

كما صعّد المستوطنون اعتداءاتهم، فاستباحوا عدداً من القرى والمدن الفلسطينية، ومن ذلك قرية بيتا بقضاء نابلس يوم 1988/4/6. وعلى الرغم من أن أبناء القرية حذروا المستوطنين من الاقتراب من قريتهم، إلا أنهم لم يستجيبوا، ورد أحدهم بإطلاق النار بشكل عشوائي، فقتل أحد الشبان، وجرح آخر. وأكملت سلطات الاحتلال المهمة بنسف 13 منزلاً، وأبعدت ستة من الشبان العرب، واعتقلت أربعين من أبناء القرية[30].

وتكرر الأمر ذاته في مدينة الخليل، التي استبيحت هي الأخرى عدة مرات خلال الانتفاضة، فأحرق المستوطنون المحال التجارية والسيارات العائدة إلى المواطنين الفلسطينيين، واعتدوا على أصحابها، وهشموا الممتلكات الفلسطينية وخربوها، ولولا تشجيع الحكومة الإسرائيلية لما حدث ذلك.

وقد أكدت منظمات حقوق الإنسان، التي تراقب الأوضاع في الضفة الغربية، أنه بات من المألوف مشاهدة المستوطنين الذين يداهمون التجمعات السكانية الفلسطينية، وهم مسلحون بمدافع رشاشة برفقة جنود الجيش الإسرائيلي، يتحرشون بالشبان ويستفزون مشاعر الأهالي بأشكال متعددة، ويطلقون النار إرهاباً ويعتدون على

---

[28] برنامج حركة هتحيا لضرب الانتفاضة، **يديعوت أحرونوت**، 1988/7/29، انظر ترجمتها العربية في: **الملف**، العدد 53/5، آب/ أغسطس 1988، ص 456-458.

[29] عبد الفتاح الجيوسي، **الانتفاضة: قراءة في الحقائق والأرقام** (عمّان: د.ن، 1992)، ص 92-93.

[30] لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: النص الكامل لـ"تقرير بيتا"، **دافار**، 1988/4/28، وردت ترجمتها العربية في: **الملف**، العدد 50/2، أيار/ مايو 1988.

الممتلكات، فيهشمون النوافذ والسخانات الشمسية، ويحطمون المتاجر والسيارات، بحجة أن أحدهم تعرض للرشق بالحجارة عند مروره بالقرب من هذه القرية أو تلك، أو وجهت له شتيمة من أحد الصبية الصغار. كما أصبح منظراً عادياً، أن تعرض وسائل الإعلام مستوطناً يصوب بندقيته على مجموعة من الشبان الفلسطينيين ويطلق عليهم النار، بحجة أنه قُذِف بزجاجة حارقة أو رُشِق بحجر.

تعددت فصول حرب العصابات التي شنها المستوطنون في الضفة الغربية خلال الانتفاضة الفلسطينية، واتخذت أشكالاً وأساليب مختلفة، بلغت من الوحشية والقسوة حداً لا يصدق. وفي كل مرة، كانت مجموعات المستوطنين تبحث عن طريقة جديدة أكثر وحشية.

ففي 1987/12/12، على سبيل المثال، كان الحاخام موشيه ليفنغر يجوب ومجموعة من أتباعه، شوارع مدينة الخليل، ويقومون بضرب المواطنين العرب بالهراوات وأعقاب البنادق تحت نظر الجنود الصهاينة الذين كانوا ينظمون حراسته.

وفي 1987/12/23، اقتحمت عناصر تابعة للحاخام مئير كهانا أيضاً بلدة شفا عمرو، شمالي فلسطين المحتلة، لإثارة الاضطراب والخوف في صفوف المواطنين المضربين تضامناً مع الضفة الغربية وقطاع غزة، واستنكاراً لإجراءات القمع الإسرائيلية.

وفي 1988/1/19، قال أرييه، وهو أحد المستوطنين في الضفة الغربية، أنه إذا تعين إطلاق النار، فذلك يعني أنه لم يكن هناك خيار آخر، مشيراً، بذلك إلى الحادث الذي وقع يوم 1988/1/11، حيث قتل صبي فلسطيني يبلغ 17 من العمر، عندما أطلق رئيس مجلس مستعمرة جيفا بنيامين Geva Binyamin، بنحاس فالرشتاين Pinchas Wallerstein، النار عليه وأرداه قتيلاً.

ومما يثبت حقيقة أن المستوطنين هم قوة ميليشية موازية للجيش الصهيوني، وليسوا مدنيين مسالمين، ما صرح به القائد العسكري لمستعمرة جيفا بنيامين، ميتزانا: "إن رئيس المجلس قال إن إطلاق النار على الشاب جاء بناء على الأوامر الصادرة عن الجيش".

وفي 1988/1/19، اقتحم المستوطنون مخيم العروب ليلاً، وداهموا عدة منازل، وحطموا محتوياتها، واعتدوا على قاطنيها بالضرب والإهانات والاستفزازات الدينية

واللاأخلاقية. وفي 1988/1/20، داهمت قوة مشتركة من جيش الاحتلال والمستوطنين، عند منتصف الليل، قرية كفر الديك قرب نابلس. واقتحمت خمسة منازل بعد تحطيم أبوابها ونوافذها بالبلطات والهراوات والقضبان الحديدية، واعتدوا على المواطنين ضرباً بالأدوات المذكورة، فأصيب ما يزيد عن 15 مواطناً. وكان المستوطنون قد اقتحموا مسجد القرية، وحطموا نوافذه، وقلعوا الأشجار، واستولوا على الأرض.

وفي 1988/1/21، قامت مجموعة من المستوطنين بالاعتداء على قطعة أرض، تقع في منطقة وادي الحمام غربي قرية بيت أولا، وقاموا بقلع مئتي شجرة زيتون مستخدمين مناشير كهربائية. وبعد يومين، أقدم المستوطنون على تمزيق إطارات سبع سيارات عربية في القدس.

وفي 1988/1/25، أحرق المستوطنون سيارة في أبو ديس، وعندما صرخت صاحبتها مستنجدة فرّوا وهم يطلقون الشتائم العنصرية ضدّ العرب باللغة العبرية. وفي 1988/2/3، اختطف المستوطنون أربعة شبان من قرية سلواد القريبة من رام الله، واقتادوهم إلى جهة غير معلومة. وفي اليوم نفسه، خطف المستوطنون ثلاثين طفلاً تقل أعمارهم عن 12 عاماً من مخيم الدهيشة، وأخلوا سبيل بعضهم بعد عدة ساعات، وسلموا البعض الآخر لسلطات الاحتلال.

وفي ساعات متأخرة من ليلة 1988/2/3، تمركزت سيارة عند مدخل قرية سلواد، وكان بداخلها عدد من المستوطنين المتنكرين بالزي الشعبي الفلسطيني، وخاصة الحطة والعقال، وقد وضعوا على السيارة شارة (صحافة)، واستدرجوا أربعة شبان، وأشهروا السلاح في وجوههم. وبعد فترة وجيزة، حضرت سيارة عمومية على خطّ البلدة فأوقفوها وأمروا سائقها بالنزول، واستولوا عليها، وقاموا بخطف الشبان فيها، وكان هنالك عدد آخر من المستوطنين في المنطقة، أخذوا على الفور بإطلاق النار عشوائياً في البلدة ولمدة أربع ساعات.

وباستمرار تتوالى التقارير عن خطف الأطفال وضربهم وإلقائهم في الطريق، فقد تعرض فتى من بيت حنينا بالقدس، عمره 14 عاماً، للخطف بسيارة مدنية، ثم ترك في الطريق بعد ضربه بقسوة. وفي 1988/3/1، أطلق المستوطنون من مستعمرة هموش النار على القرويين، بينما كان الجنود الصهاينة واقفين، بل توجه أحد المستوطنين إلى جندي يسأله بغضب: لماذا لا تطلق النار.

وفي 1988/3/2، حاول المستوطنون اقتحام قرية حجة القريبة من نابلس ليلاً، فتصدى لهم مواطنوا حجة والقرى القريبة، وردوهم على أعقابهم بعد معركة مشهودة. وفي 1988/3/3، حاولت مجموعات من المستوطنين في منطقة الخليل اقتحام بلدتي بيت أمر وأذنا إلا أن الجماهير الفلسطينية تصدت لها بكل بسالة، فأفشلت محاولاتها وطردتها من البلدة. وهاجمت مجموعة أخرى من المستوطنين مدرسة للبنين في بورين بقضاء نابلس، حيث أطلقوا النار وقنابل الغاز على الفلسطينين، فأصابوا عدداً منهم بجروح.

وفي 1988/3/3 أيضاً، شهدت مدينة الخليل وجوارها صداماً واسعاً مع قوات الاحتلال والمستوطنين، الذين تدفقوا على مدينة الأنبياء احتفالاً بعيد يهودي، هو عيد البوريم. كما تحدت بلدة أذنا الاحتلال، وصدت محاولة اقتحام للمستوطنين. وفي 1988/3/7، دارت مواجهات دامية قرب مسجد القزازين في مدينة الخليل، أصيب خلالها أكثر من أربعين فلسطينياً بجروح مختلفة واختناقات وتسمم، من جراء إطلاق جنود العدو والمستوطنين الرصاص وقنابل الغاز السام عليهم. كما قام المستوطنون بتدمير عدة محال تجارية و11 سيارة للمواطنين الفلسطينيين في بيت لحم، واعتدوا على سكان مخيم الدهيشة المجاور بالضرب بالعصي وإلقاء قنابل الغاز.

وفي 1988/3/8، اختطف المستوطنون أربعة شبان من قرية بيت وزن أثناء الليل. وفي اليوم التالي، قامت عصابات المستوطنين من مستعمرة أريل في منطقة نابلس، بإغلاق الطريق الرئيسي واعتدت على السيارات والمواطنين الفلسطينيين بالحجارة والضرب. كما قاموا بالاعتداء على الممتلكات، وشنوا هجوماً على قرية كفر حارث المجاورة، وأحرقوا عدة سيارات، واعتقلوا عدداً من سكان القرية. وفي 1988/3/10، أقدم المستوطنون على جريمة بشعة، تمثلت في شنق الطفل خميس نمر (11 عاماً)، بعد أن اختطفوه من مدينة القدس[31].

هذه الفعاليات الإرهابية تكررت يومياً على مدى سنوات الانتفاضة الفلسطينية، بل تقاسم الجيش الإسرائيلي والمستوطنون ارتكاب المجازر الوحشية. ففي حين، أقدم المستوطن عامي بوبر Ami Popper، وهو من جهاز منظمة المستوطنين المسمى "دولة يهودا" وعضو في حركة كاخ، على إطلاق النار باتجاه عدد من العمال الفلسطينيين في

[31] معين محمود، **مرجع سابق**.

مستعمرة ريشون لتسيون فقتل ثمانية منهم وأصاب 11 عاملاً يوم الأحد الموافق 1990/5/20؛ ارتكب جيش الاحتلال وحرس الحدود في تشرين الأول/ أكتوبر من السنة نفسها، مجزرة أوقعت أكثر من عشرين شهيداً داخل المسجد الأقصى[32].

5. مرحلة تخزين السلاح والعصيان المدني:

مع أن الإجراءات الصهيونية بلغت ذروتها بتقسيم الحرم الإبراهيمي الشريف في أعقاب قيام المستوطن باروخ غولدشتاين بقتل 29 فلسطينياً فجر 1994/2/25، وفرض قيود أمنية على مداخل الحرم، لا سيّما نقاط تفتيش، إلا أنه غدا واضحاً أن المستوطنين باتوا يشكلون قوة رئيسية ثابتة بعد الجيش الإسرائيلي. ولأول مرة، يحقق المستوطنون إرهاباً نشطاً ضدّ الشعب الفلسطيني، وهم يشعرون بالفخر في أثناء اعتداءاتهم على السكان والممتلكات[33].

ترافقت المساعي الاستيطانية الاستعراضية، مع تطورين بارزين وخطرين، وربما مترابطين، في أوساط المستوطنين. يتمثل التطور الأول، في الدعوات إلى عصيان مدني في مواجهة السلطات الإسرائيلية؛ والثاني في تخزين السلاح في المستعمرات. فقد أصدرت حركة حي فاكيام، بعد أسبوع من توقيع اتفاق أوسلو، بياناً دعت الجمهور فيه إلى العصيان المدني، وأعلنت فيه أن أعضاءها يعدون أنفسهم منذ الآن "متحررين من قيم النظام الخائن، ومن قوانينه وتعليماته". ودعت الحركة الجنود إلى رفض الأوامر التي تطلب منهم المشاركة في "الانسحاب والتفكيك وإقامة دولة العدو".

وفي أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر 1993، نشرت أوساط مقربة من حركة كاخ، أنباء بشأن تخزين أسلحة في المستعمرات، تشمل هذه الأسلحة مسدسات وبنادق وقنابل يدوية ومتفجرات وضعت في مخابئ، بعد أن جرى تهريبها من روسيا وتشيكيا، أو بعد سرقتها من معسكرات الجيش الإسرائيلي، حيث أكدت مصادر عسكرية حوادث سرقة الأسلحة، وقالت إن تخزينها لا يقتصر على المجموعات المتطرفة، بل يشمل أيضاً من صنفتهم معتدلين، بعد أن توصلوا إلى استنتاج هو أن الأمور تتدهور، ولا مناص من عمل شيء ما.

---

[32] **الرأي**، 1992/6/18، نقلاً عن: التقرير الشهري لدائرة الشؤون الفلسطينية، عمّان.

[33] تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية، نشر في: **القدس**، 1996/9/24، ص 3.

كما أكد يوئيل ليرنر، أحد قادة هيئة الحكم الذاتي اليهودي في يهودا والسامرة وغزة، أن ظاهرة تخزين السلاح تنتشر في أكثر من 50% من المستعمرات. ومما زاد الأمر خطورة، المعدات الأمنية التي اكتشفتها الأجهزة الأمنية مصادفة مع الحاخام أبراهام طوليدانو Avraham Toledano في الفترة نفسها. فالمنظار وكاتم الصوت، ليسا من المعدات الضرورية للدفاع عن النفس أو عن المستعمرات. كما أشارت صحيفة هآرتس، أن ما اكتُشف لدى طوليدانو يشير إلى إمكان وجود هيئة منظمة تخطط لشنّ هجمات، واعتداءات على أرواح بشرية[34].

ومن سخريات القدر، أن أعضاء في حركة كاخ، الذين قررت سلطات الاحتلال عدم تجنيدهم، لعدم ملاءمتهم عقلياً ونفسياً للخدمة العسكرية، تلقوا أسلحة من الجيش الإسرائيلي لأنهم يسكنون في المستعمرات، وقد استغلوا سلاحهم لتخويف الفلسطينيين والاعتداء عليهم. وكان عضو حركة كاخ تيران بولاك Tiran Pollack، قد أشهر سلاحه عند مدخل مسرح الحكواتي مهدداً بإطلاق النار، وبولاك نفسه، دخل عنوة قيادة الوحدة القطرية للتحقيق في الجرائم في شرطة بتاح تكفا، في الوقت الذي استجوب المحققون هناك فيصل الحسيني وحنان عشراوي بتهمة لقاء قادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، ولكن الشرطة في كلتا الحالتين لم تكلف نفسها عناء التحقيق مع بولاك وتجريده من سلاحه[35].

حسب التقديرات، يوجد بحوزة المستوطنين في الضفة الغربية ما لا يقل عن 20 ألف قطعة سلاح أوتوماتيكي من طراز عوزي وجاليلي Galil وإم–16، مصدره وحدات الاحتياط للجيش الإسرائيلي، وقيادة الدفاع الإقليمي المسؤولة عن أمن المستوطنين، ومستودعات المستعمرات المخصصة للحراسة والحماية. وهناك مصدر آخر كشركات الحراسة، والسلطات المحلية التي تزود موظفيها بأسلحة خاصة مثل المؤسسات.

إن تعدد مصادر السلاح أدى إلى وجود كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة، استغلها المستوطنون لإقامة مستودعات سرية لاستعمالها إذا ما تقرر إجلاء المستوطنين، وإعادتهم إلى داخل المناطق المحتلة سنة 1948. وعلى الرغم من مئات حوادث الاعتداء

---

[34] خالد عايد، "المستوطنون منذ "إعلان المبادئ" حتى ما بعد مجزرة الخليل،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 18، ربيع 1994، ص 200-201.

[35] **البيادر السياسي**، العدد 2557، 1994/3/12، ص 30-31.

على الفلسطينيين، لم تتغير سياسة التساهل التي عمّت أجهزة الشرطة والجيش والمحاكم وكافة دوائر الحكومة التي غضت الطرف عما يحدث.

فالشرطة، المسؤولة عن التحقيق في الجرائم التي تُرتكب بحقّ الفلسطينيين، تدعي بأنها لا تملك القوى البشرية الكافية، ولا تتلقى المساعدة اللازمة من السلطات العسكرية؛ والجيش يدعي بأنه غير مؤهل لمثل هذه التحقيقات؛ والنيابة العامة تهمل الملفات الخاصة باعتداءات المستوطنين؛ بينما المحاكم تتساهل معهم، وتخفف الأحكام الصادرة بحقهم[36].

التعليمات الخاصة باستخدام السلاح الموجود في أيدي المستوطنين قائمة منذ زمن طويل، وقد أوضحها الجيش الإسرائيلي، وهي تخول المستوطنين استخدام السلاح لأغراض دفاعية، دون أن تنقض "مشروعية مطاردة قاذفي الحجارة والقبض عليهم لتسليمهم إلى الشرطة"، على حدّ تعبير الناطق العسكري[37]. ولكن هذه التعليمات جرى تعديلها في سنة 1992، بحيث يبادر هؤلاء المستوطنون إلى إطلاق النار، بدعوى حماية أرواحهم أسوة بجنود الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية[38].

إن مواقع تدريب المستوطنين متنوعة ومنتشرة، في الضفة الغربية، وحتى داخل فلسطين المحتلة سنة 1948. ومن أمثلة ذلك أن التلفزيون الإسرائيلي بثّ تقريراً تقوم فيه مجموعتان من المستوطنين بالتدرب على إطلاق النيران؛ كما أوضحت صحيفة حداشوت Hadashot العبرية أن المستوطنين في أثناء تدريبهم، يقومون بجولات ودوريات مسلحة في قلب المناطق العربية، فيحطمون زجاج السيارات العربية، ويطلقون النيران على خزانات المياه. وهناك أمثلة متكررة تبرزها اللقطات التلفزيونية التي تظهر المستوطنين يحطمون زجاج المصابيح الكهربائية في شوارع الخليل، وهم يتدربون على استخدام السلاح[39].

---

[36] **المرجع نفسه**.

[37] خالد عايد، "المستوطنون: منذ "إعلان المبادئ" حتى ما بعد مجزرة الخليل،" ص 206.

[38] **الرأي**، 1992/5/7.

[39] **الحرية**، العدد 1577، 1993/5/23، ص 24.

وفي السياق نفسه، هناك معسكر للشباب في جبال القدس، يتدرب فيه أعضاء حركة كاخ على السلاح. وقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية صورة على الصفحة الأولى لمجموعة من المستوطنين الشباب الذين يرتدون قمصاناً صفراء، وهم يتدربون على رشاشات عوزي التي يستعملها الجيش الإسرائيلي. وقالت الصحيفة، بأنه يتمّ تعليم المستوطنين أيضاً كيفية التصرف عندما يتعرضون للاستجواب على أيدي رجال الشرطة. كما يتلقى المتدربون دروساً في القانون والتاريخ اليهودي المكثف، تتخللها صلاوات ودراسات دينية، ورحلات، وأعمال يدوية، وغير ذلك من النشاطات[40].

القائمون على برامج تدريب المستوطنين في الضفة الغربية، أياً كان انتماؤهم، وضعوا أهداف خطتهم على النحو التالي:

أ. عرقلة عملية انسحاب الجيش الإسرائيلي، في محاولة لوضع حدّ نهائي لتنفيذها.
ب. دفع عامة الجمهور والحكومة للاقتناع بأنه ليس بالإمكان خنق المستعمرات، أو إزالتها.
ج. إيجاد وتوليد زخم لموجات معارضة في الجمهور الإسرائيلي لأي اتفاق سلام مع الفلسطينيين[41].

ظلّ المستوطنون في الضفة الغربية على حالهم من الاستفزازات والاستعدادات، التي بلغت ذروتها خلال كانون الأول/ ديسمبر 1993، حين كرر الحاخام اللواء احتياط شلومو غورين إصدار فتوى تقول إن الأمر بإخلاء المستعمرات لا يُلزم الجنود، وعليهم أن يرفضوه. والجندي الذي يتلقى أمراً يعارض سنن التوراة، عليه أن يلتزم شريعة التوراة، لا الأمر العلماني. وبما أن استيطان الأرض فريضة، وإزالة المستعمرات خرق للفريضة، فإنه ليس على الجندي أن ينفذ أمراً بإزالة مستعمرات[42].

6. مرحلة نشاط التنظيمات المسلحة:

إذا كان المستوطنون قد برروا التدريب العسكري، وتخزين الأسلحة والعتاد والذخيرة، بعجز الجيش الإسرائيلي عن حمايتهم، فإنهم انتقلوا إلى تبرير آخر. فالمستوطنون أرادوا أن يثبتوا قدرتهم على قمع الشعب الفلسطيني وتصفية انتفاضته،

[40] **الوطن**، الكويت، 1987/8/18، ص 13.

[41] إياد عبد الخالق، الإرهاب اليهودي، **فلسطين الثورة**، العدد 967، 1994/1/9، ص 15.

[42] خالد عايد، "المستوطنون: منذ "إعلان المبادئ" حتى ما بعد مجزرة الخليل،" ص 206.

بعد أن أثبت الجيش الإسرائيلي عجزه في ذلك. الأمر الذي يعني انتقال المستوطنين إلى هجمات انتقامية جديدة دون البحث عن ذرائع لهجماتهم. وهذا يعني على الصعيد النظري، انتقال المستوطنين، حسب وجهة نظرهم نفسها، من الدفاع إلى الهجوم، ولا يخفى هنا أن المستوطنين كانوا دائماً مهاجمين.

ونشير هنا إلى تشكيل ما سمّي بـ"حاخامو يهودا والسامرة وغزة" بمبادرة من المستوطنين، وذلك للانتقام من الفلسطينيين في كل مكان من الأرض المحتلة. كما نشير، إلى اجتماع المستوطنين وقادتهم وحاخاميهم، وشنهم هجوماً عنيفاً على تقصير الجيش في قمع الانتفاضة، وتأكيدهم على الاستعداد للقيام بهذا الدور، عن طريق قيامهم بنشاطات عسكرية وأمنية هجومية في الشوارع، وإقامة التنظيمات والميليشيا المسلحة.

صدرت عدة تهديدات من المستوطنين، بدءاً من باروخ مارزيل، الذي صرح بـ"أننا سنتجول في كل الزوايا في يهودا والسامرة، وسندخل كل قرية لا يدخلها الجيش". ومطالبة الحاخام بنيامين (بني) ألون الذي طلب المزيد من الدعم العلني من الحكومة، وطالب وزير العدل الإسرائيلي بطرد قادة التنظيمات الفلسطينية، محذراً أن المستوطنين سيقومون بذلك إذا لم تفعل الحكومة الإسرائيلية[43].

ومنذ الإعلان عن تشكيل "حاخامو يهودا والسامرة وغزة"، وبدء المستوطنين بتسيير الدوريات في المدن والقرى الفلسطينية، تصاعدت الاستفزازات والاعتداءات على الفلسطينيين. ففي 1991/12/27، أجرى مستوطنو كريات أربع جولة استفزازية في قرى عربية في منطقة الخليل، كما أجرت حركة كاخ جولة مشابهة في منطقة نابلس. وفي ليلة 1991/12/29، قام حوالي مئتي مستوطن بدخول قرية الرام الواقعة شمالي القدس، وتظاهروا في شوارعها وهم يلوحون بالأعلام الإسرائيلية.

كما حاول نحو 150 مستوطناً يوم 1991/12/19، دخول ضاحية البريد في الخليل، ولكنهم فشلوا في ذلك. كما قامت مجموعة من المستوطنين، في اليوم نفسه، بتحطيم النوافذ والسيارات، واقتلاع الأشجار، وإطلاق الرصاص في عدة مناطق.

[43] يونس حطاب، حرب المستوطنين في الأراضي المحتلة، **الحرية**، 1992/1/19، ص 16.

وفي يوم 1991/12/30، اقتلع المستوطنون من مستعمرة إيلون موريه عشرات الأشجار في مناطق عديدة، وبرروا ذلك بأن الجيش يفعل الأمر نفسه. وفي اليوم نفسه، هاجم نحو 150 مستوطناً من مستعمرات إيلون موريه وحومش Homesh وعينات، خلال جولة استفزازية، عدداً من القرى العربية، وكسروا مئات الألواح الزجاجية للنوافذ والسيارات. وقد تكرر تكسير الزجاج، بشكل دعا الصحف الإسرائيلية إلى إطلاق تسمية "ليالي البلور" على ليالي الأراضي المحتلة، لكثرة ما تتعرض البيوت للرشق بالحجارة.

وفي ليلة 1991/12/31، أطلق المستوطنون، النار في بلدة عنبتا قرب طولكرم. وذكر أحد المستوطنين، ويدعى باروخ ليور Baruch Lior، أن المستوطنين انطلقوا في قافلة تتألف من ثلاثين سيارة. وأنهم دخلوا عدة قرى عربية وهددوا السكان العرب فيها بالانتقام الشديد. وفي 1992/1/6، قطع المستوطنون عدداً من الطرق في غزة وقلقيلية ونابلس، وأطلق عدد منهم عيارات نارية في الهواء، لتفريق العمال الفلسطينيين[44].

لم يكتفِ المستوطنون بتصعيد وتيرة أعمال العنف، لإحباط اتفاق أوسلو، فقد اتجهوا نحو العمل التنظيمي السري، وتشكيل فصائل مسلحة. وتزامن هذا التوجه مع إقرار رئيس أركان الجيش الإسرائيلي آنذاك الجنرال إيهود باراك، بتوسيع إطار إجراءات إطلاق النار ضدّ الفلسطينيين، من أجل "تحسين قدرات الجيش الإسرائيلي في مجال إصابة رجال المنظمات والمطلوبين"، والذي ترافق بدوره، مع منح المستوطنين سلطات واسعة للقيام بأعمال الشرطة في الضفة الغربية[45].

لم يكن مستغرباً أن تسعى مجموعات المستوطنين إلى وراثة المنظمات الإرهابية الصهيونية مثل الهاغاناه وشتيرن والأرجون، التي شكلها المهاجرون اليهود الأوائل إبان الانتداب البريطاني، وإلى تكرار الدور الذي لعبته هذه المنظمات في تنظيم المجازر في المدن والقرى الفلسطينية، وذلك لإحداث موجات جديدة من التهجير تخفف تدريجياً من الكثافة الديموغرافية العربية.

ومما لا شكّ فيه، أن تحول المستوطنين إلى ميليشيا موازية للجيش الإسرائيلي، وأخذهم دوراً أمنياً أساسياً ضدّ الشعب الفلسطيني، صبّ في خانة تأجيج النزعات

[44] مجلة **إلى الأمام**، دمشق، العدد 2125، 1992/2/14، ص 7، نقلاً عن: **هآرتس**.

[45] آمال شحادة، الخليل تحت سيطرة المستوطنين، **الوسط**، العدد 584، 2003/4/7، ص 10.

المتطرفة لدى هؤلاء المستوطنين، وفرض وقائع جديدة تركت بصماتها على النشاط الاستيطاني في الضفة الغربية، تمثل في زيادة التواجد المسلح الإسرائيلي في مختلف أنحاء الأراضي المحتلة.

أول التنظيمات المسلحة التي شكلها المستوطنون اليهود، وبدأت العمل الإرهابي ضدّ أبناء الشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة، ما أطلقت عليه وسائل الإعلام اسم "المنتقمون الصهاينة"، حيث قام هذا التنظيم بإطلاق النار من سيارة إسرائيلية باتجاه سيارة فلسطينية يوم 1991/12/28، مما أدى إلى وقوع ثلاثة جرحى، هم طبيب وشقيقته مع ابنتها الرضيعة، والثلاثة من مدينة الخليل[46].

وأصبح المستوطنون وجهاً لوجه مع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية بعد تشكيل وحدات الحرس المدني، من مستوطنين متطوعين، قامت بمهام الشرطة وحرس الحدود، وقطعت الطرقات العامة، ومنعت آلاف العمال الفلسطينيين بالقوة من الذهاب إلى أعمالهم.

الوضع الجديد الذي فرضه المستوطنون، بمؤازرة الجيش الإسرائيلي، أظهر استعدادهم للقيام بأعمال هجومية منظمة ضدّ الفلسطينيين، بعد أن حصلوا على دعامتين متلازمتين، من الحاخامات والحكومة الإسرائيلية على حدٍّ سواء. فبالنسبة إلى تأييد جهة "حاخامو يهودا والسامرة وغزة" للمستوطنين، فقد نقلت صحيفة معاريف العبرية عن الحاخام بني ألون، رئيس مدرسة بيت أوروت Beit Orot الدينية، الواقعة على جبل الزيتون بالقدس المحتلة، أنهم قد أخذوا على عاتقهم "تعبئة الفراغ الروحي، وتقديم الإرشاد للمستوطنين بشأن كيفية الردّ على العمليات ضدهم، إلى جانب قيادة النضال على الصعيد السياسي"[47].

وأما من جهة تأييد الحكومة الإسرائيلية، فإنها، وعلى الرغم من التصريحات التي صدرت عن المستشار القانوني للحكومة ميخائيل بن يائير Michael Ben-Yair، والتي أعرب فيها أن تشكيل المستوطنين لميليشيات مسلحة يعدّ مخالفاً للقانون ويحرض على

[46] مجلة **الهدف**، بيروت، العدد 1037، 1991/1/13، ص 19، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1991/12/28.

[47] **الحرية**، العدد 1510، 1991/12/29، ص 10، نقلاً عن: **معاريف**، 1991/12/18.

التمرد، كونها ستحلّ محلّ الجيش في مهمة فرض القانون والنظام العام، إلا أنها، أي الحكومة، لم تتحرك فعلياً لإيقاف الاستعدادات العملية التي تمّ تنفيذها على الأرض، والتي شكلت إرهاصات ما قبل الإعلان عن تنظيمات المستوطنين المسلحة، وأهمها كشف الصحف الإسرائيلية النقاب عن قيام المستوطنين بتجميع الأسلحة والذخائر وتخزينها وإخفائها، مع أنهم يمتلكون عتاداً حربياً من الأسلحة المرخصة، وكذلك وسائل تمويل، وسيارات، ونظام لوجستي حقيقي، وهم يتهيؤون نفسياً وعسكرياً، منذ فترة طويلة لارتكاب الجرائم ضدّ الفلسطينيين.

العنف الاستيطاني اتخذ أبعاداً خطيرة، عبر ارتكاب الجرائم والمذابح الجماعية تحت سمع وبصر قوات الاحتلال، وبمساندتها أحياناً. فخلال ستة أيام فقط، من 4-1993/12/10، قتلت ميليشيا المستوطنين ستة فلسطينيين، ثلاثة منهم من عائلة واحدة، وجرحت أكثر من عشرة أشخاص في عمليات جرت جميعها داخل مناطق انتشار الجيش، الذي نفذ حظر تجول شامل على التجمعات العربية، مستثنياً من ذلك المستوطنين، الذين أعلن مجلس مستعمراتهم إنشاء منظمة علنية باسم هشومير (الحارس)، تضم متطوعين يهود للقيام بعمليات انتقامية ضدّ الفلسطينيين، وقد عُيِّن الجنرال الاحتياط يوسى كولر قائداً لهذه المنظمة[48].

بينما كان قرابة 800 من أبناء مدينة الخليل، يؤدون صلاة الفجر، في الحرم الإبراهيمي، في حوالي الساعة 5:30 من صباح يوم الجمعة الموافق 1994/2/25، اقتحم المستوطن المنحدر من أصل أمريكي، باروخ غولدشتاين الحرم، وأمطر المصلين بوابل من نيران رشاشه، فقتل 29 مصلياً، بينما كانت دورية عسكرية إسرائيلية ترابط على مقربة من الحرم، مهمتها التدقيق في هويات الداخلين إلى الحرم والخارجين منه، بل إن غولدشتاين نفسه اقتحم الحرم الإبراهيمي، على مرأى من جنود تلك الدورية.

وقد سبق لغولدشتاين أن اعتدى بالضرب على المصلين بالحرم عينه، يومي 4 و1993/10/7. وفي المرة الثانية، ألقى مواد كيميائية حارقة على سجاد الحرم. وأرسلت الهيئة الإسلامية، في 18 من الشهر عينه، رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي، إسحق رابين، شَكَت فيها من اعتداءات غولدشتاين تلك. وبعد أن أنهى غولدشتاين

[48] إياد عبد الخالق، الإرهاب اليهودي، ص 15.

مذبحته، تمكن مصلون، نجوا من المذبحة، منه، وفتكوا به بأيديهم، وقد غدا قبره مزاراً للإسرائيليين عموماً، وللمستوطنين بشكل خاص[49].

كان من بين نتائج مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف أن تصاعدت جرائم المستوطنين عموماً، واتجه هؤلاء نحو إقامة التنظيمات العسكرية السرية، وقد تطرقنا إلى تركيبة تلك التنظيمات في الفصل السابق، بيد أنه من الأهمية بمكان هنا أن نشير إلى محاولات تلك التنظيمات لارتكاب المزيد من الجرائم العنيفة.

ومن ذلك، اعتقال الحاخامين إيدو ألبا Ido Elba ومئير كورين Meir Koren مع ضابطين بتهمة الانتماء إلى مجموعة سرية كانت تحضر لتنفيذ اعتداءات على الفلسطينيين، حيث تمّ العثور على أربعين قطعة سلاح وكمية من المتفجرات، سرقها الضابطان من مخزن للجيش الإسرائيلي.

وقد أفادت الإذاعة الإسرائيلية أن جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) يتهم رئيسا المجموعة إيتان ويهودا كاهالانى بمحاولة قتل شاب فلسطيني في 1994/9/2، كان ماراً على متن دراجته بالقرب من مستعمرة بيتار عيليت في الضفة الغربية[50].

قضية أخرى أحيطت بسرية شديدة من جانب الشرطة الإسرائيلية، وكُشِف عن بعض جوانبها بعد خمسة أشهر من قيام الشاباك باعتقال مجموعة من المستوطنين، في 1996/4/29، إثر معلومات عن قيامهم بالإعداد والتخطيط لتنفيذ اعتداءات مسلحة في مدينة القدس. ولكن الشرطة الإسرائيلية تراجعت في مداولات لاحقة أجرتها المحكمة الإسرائيلية في القدس، بعد خمسة أيام من اعتقالهم، عن الاتهامات التي وجتها إليهم، وقامت بإطلاق سراحهم[51].

القدر أنقذ حياة مئات المصلين في الحرم الإبراهيمي، حين أقدمت مجموعة من المستوطنين على إطلاق النار باتجاه الفلسطينيين الذين كانوا يؤدون الصلاة في الحرم الإبراهيمي الشريف يوم 1996/12/21. ويبدو أن ذلك استفز مجموعة أخرى من المستوطنين، فاتجهت نحو مدرسة قرطبة الأساسية الواقعة بالبلدة القديمة في الخليل، وقامت بضرب الطالبات، لتندلع مواجهات بين المواطنين الذين هبوا لإنقاذ الطالبات

[49] عبد القادر ياسين، **مرجع سابق**، ص 74.

[50] **الدستور**، العدد 9725، 1994/9/19، ص 28.

[51] **الرأي**، العدد 9507، 1996/9/12، ص 35.

من جهة والمستوطنين من جهة أخرى. وعندئذ، تدخل الجيش الإسرائيلي لصالح المستوطنين، وقام باعتقال سبعة شبان وابنة مديرة المدرسة، بدعوى أنها رشقت المستوطنين بالحجارة[52].

وعلى الرغم من أنه لم تقع مجازر بحجم مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، إلا أن القسم اليهودي في جهاز الشاباك حذّر من إمكانية خروج غولدشتاين جديد هي إمكانية واقعية، بل إن وسائل الإعلام الإسرائيلية حفلت بالعديد من التحقيقات التي تناولت هذه القضية. ففي صحيفة معاريف، على سبيل المثال، كتب إيريز روتم Erez Rotem، تحت عنوان "الشاباك يواجه صعوبة لتحديد وكشف هوية باروخ غولدشتاين المقبل":

> منذ المجزرة التي نفذها غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي، عزز الشاباك جهوده في أن ينشر قواته في الميدان تبحث في صفات المجنون المتطرف الذي قد ينهض ذات صباح ويقوم بإطلاق النار على أكبر عدد ممكن من العرب، وكانت الخليل دائماً المختبر الدائم من ناحية الشاباك في محاولة لتشخيص مثل هؤلاء الشواذ. يقولون في الشاباك إن الخليل هي دفيئة لنار متطرفة متدينة تؤمن بالمنقذ، والمسافة بين الحلم والواقع بالنسبة لهم هي كالمسافة بين الإصبع والزناد. ومن جهة أخرى، فإن محاولة تشخيص القاتل المقبل قبل أن يخرج إلى السوق مهمة مستحيلة.
>
> ثمة في المنطقة عشرات، إذا لم يكن مئات اليهود الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف، ويستعدون لتنفيذ عمل يمنع الانسحاب من الخليل. إن مثل هذا العمل، سيعتبر بالنسبة لهم معجزة من السماء، ومنفذه سيرتقي إلى مرتبة النبي الحقيقي، مثل غولدشتاين. وحسب تقدير خبراء، فإن القاتل المحتمل محاط بحياته اليوم بعناصر كثيرة تؤثر على قراره لأن يقوم بهذا العمل حتى لو دفع حياته ثمناً لذلك.
>
> إن القدرة على التأثير في البيت تنطوي على أهمية لا بأس بها، ولكن في كل ما يتعلق بالعناصر الدينية المتطرفة فإن تأثير الحاخام، أو وجهة نظر المدرسة الدينية التي تعلم فيها القاتل، هو قوي جداً وهو الذي يبلور وجهة نظره ومساره في الحياة.

[52] **الرأي**، العدد 9608، 1996/12/22، ص 21.

إن حيازة السلاح الشخصي تمنح الإحساس بالقوة، والإحساس بالقدرة، بمساعدة السلاح، على تغيير قرار الحكومة. وفي معظم المدارس الدينية، حسب التقديرات، تظهر مسألة إخلاء الخليل كأمر نهائي لا رجعة عنه. والمدرسون في هذه المدارس يعرضون قرار إخلاء الخليل ككارثة ألمت باليهود. في مثل هذه الظروف حتى لو لم يكن هناك تحريض للقتل، فإن بذور التمرد تزرع في القاتل المقبل. والخطر من عمليات أخرى، بما في ذلك اغتيال رئيس الحكومة يتفاقم كلما تقدمت المسيرة السياسية.

هذه الإمكانية موجودة وسط المستوطنين والجمهور الديني – الوطني في البلاد بصورة هائلة. لديهم ميل لاستخدام السلاح، وفي أجزاء واسعة من الجمهور، يتعلمون في مدارس دينية ذات وجهة نظر متطرفة. كل واحد منهم يحمل إمكانية أن يكون القاتل المقبل الذي لا يستطيع الشاباك تجاهله.

على ضوء هذه المعطيات، والصفات المرسومة للقاتل المقبل، يدعي الشاباك أنه من الصعب جداً تشخيص القاتل اليهودي الذي سينهض ذات صباح، ويقرر اغتيال رئيس الحكومة أو العرب. لقد تمّ إحاطة رئيس الحكومة بطوق محكم من الحراس، ولكن في شوارع الخليل، فإن إمكانية منع وقوع مثل هذا الحادث تكاد تصل إلى الصفر[53].

أحد مستشاري بنيامين نتنياهو العسكريين نقل إلى إحدى الوسائل الإعلامية الدفاعية في لندن، المعروفة عادة بعلاقاتها الاستخبارية على نطاق واسع في الغرب، أن أجهزة الأمن الإسرائيلية اعتقلت في شهر آب/ أغسطس 1997 سبعة من المستوطنين، وهم متلبسون بنقل عبوات ناسفة وسيارات ملغومة، إلى مناطق سكانية فلسطينية في محاولة لتفجيرها[54].

ولكن الأخطر من بين نشاط التنظيمات العسكرية السرية للمستوطنين، هو محاولة مستوطنين متدينين استئجار شقة سكنية تشرف على القدس القديمة، وعلى المسجد الأقصى، بهدف استخدامها كموقع لإطلاق النار من أسلحة رشاشة على مصلين في

[53] **القدس العربي**، العدد 2382، 1997/1/3، ص 7، نقلاً عن: إيريز روتم، **معاريف**، 1997/1/2.

[54] **العرب اليوم**، العدد 93، 1997/8/17، ص 5.

أثناء تأديتهم للصلاة خلال شهر رمضان، الذي تُؤَم فيه عادة جموع غفيرة من المصلين في جنبات المسجد الأقصى المبارك وساحاته[55].

وفي تصعيد آخر، ألقى مستوطنون يوم 1998/3/13، عبوة ناسفة قُدِّر وزنها بين 400-600غ من المواد المتفجرة في شارع نابلس قرب باب العمود، الذي يكون عادة مزدحماً بالفلسطينيين في ساعات الصباح الأولى من أيام الجمع، الأمر الذي أدى إلى إصابة ستة من المواطنين الفلسطينيين بينهم طفلان[56].

وبأسلوب مشابه، ألقى مستوطنون يوم 1998/11/14، قنبلة باتجاه تجمع كبير للفلسطينيين بالقرب من مسجد أهل السنة في سوق الخضار المركزي بمدينة الخليل، الذي يتواجد فيه كل جمعة قرابة خمسة آلاف مصلٍّ، غير أن القنبلة لم تنفجر، ومع ذلك، تعرض عدد من المصلين والبائعين للاعتداء من قبل الجيش الإسرائيلي والمستوطنين، الذين اعتبروا أن ملقي القنبلة هو عربي وليس من المستوطنين[57].

7. مرحلة إرهاب التلال:

شكلت مسألة امتلاك الأرض محور الصراع مع الحركة الصهيونية، وبسبب كونها كذلك، كانت الجبهة الأطول عمراً، والأشد سخونة، والأكثر تواصلاً واستمرارية منذ نشأة القضية الفلسطينية وحتى الآن. فلقد كان امتلاك الأرض وما زال، يعني امتلاك الوطن، وخسارة الأرض تعني خسارة الوطن والحرية وحقّ تقرير المصير.

منذ أن بدأ الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل أكثر من مئة عام، والمستوطنون يتبعون الأسلوب نفسه: يحددون هدفهم العيني سواء أكان أرضاً زراعية أو موقعاً عسكرياً استراتيجياً أو نبع بئر ماء، ويسيطرون على الأرض، ويبدأون البناء فوقها.

في الضفة الغربية بالذات، اتبع المستوطنون النهج الذي كانوا قد اتبعوه في الجليل. إذ سيطروا على رؤوس الجبال والتلال، والبحث عن الأرض الخصبة لم يعد ذا شأن هنا. والهدف من الاستيطان لم تعد له علاقة بالحسابات الاقتصادية، إنما تحول إلى قضية قومية، وإلى قضية أمنية – عسكرية عبر السيطرة على مواقع استراتيجية. ويتجاوز

---

[55] **القدس العربي**، العدد 2692، 1998/1/6، ص 7، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1998/1/5.

[56] **الرأي**، العدد 1005، 1998/3/14، ص 1 و28.

[57] **فلسطين المسلمة**، كانون الأول/ ديسمبر 1998.

الاستيطان هنا، عملية التهويد التي حملتها الصهيونية، ليصبح رمزاً لفرض التفوق بكل مفاهيمه، ويكون بالنسبة إلى الفلسطينيين رمزاً للقهر والكبت والاستغلال[58].

وجد الفلسطينيون أنفسهم مرة أخرى يخوضون حرب تلال جديدة بينهم وبين المستوطنين، مماثلة لتلك التي سبقت المرحلة الأولى من إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في سنة 1993، وقد أكدت الحقائق على أرض الواقع أن المستوطنين لم ينتظروا هذه المرة الدعوة الرسمية التي خرج بها وزير الخارجية ووزير البنية التحتية أريل شارون بالاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي في الضفة الغربية، قبل أن يشرع الجيش الإسرائيلي بتنفيذ إعادة انتشاره الثاني.

وفي مقابل مساحة نسبتها 13% من أراضي الضفة الغربية، حددتها الدولة العبرية في خرائط لتتمّ إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي فيها، دون أن تستشير الفلسطينيين أو تحصل على موافقتهم بشأنها، وعرضتها أمام زعماء المستوطنين ليُدخِلوا أكثر من 170 تعديلاً عليها، لم يرَ الفلسطينيون سوى فقد المزيد من أراضيهم بحجة هذا الانسحاب. إذ استولى المستوطنون منذ التوقيع على مذكرة واي ريفر على عشر تلال فلسطينية، في طولكرم شمالاً مروراً بغور الأردن شرقاً وحتى الخليل جنوباً، نصبوا فوقها بيوتاً جاهزة وخيماً لإقامة بؤر استيطانية جديدة عليها.

ومن بين هذه التلال، تلك التي تشرف على قرية شرفة في منطقة طولكرم، والتي أطلق المستوطنون عليها اسم أفني حيفتس Avnei Hefetz، وجبل الرأس في منطقة نابلس والتي تشرف من الجهتين الشرقية والغربية على مستعمرة شيلو، وجبل جدع القريب من قرية يانون في منطقة نابلس، وبالقرب من مستعمرة إيتمار، وهارحمدا على جبل محمد بالقرب من كفر قدوم وجبعة بالقرب من مستعمرة يتسهار.

وفي غور الأردن، أقام المستوطنون 127 وحدة سكنية جديدة على أرض مساحتها سبعين دونماً تقع خارج المخطط الهيكلي لمستعمرة تومير. وأما في منطقة الخليل، فقد استولى المستوطنون على موقعين مرتفعين بالقرب من بلدة يطا.

هذه التلال القريبة من المستعمرات اليهودية، والتي أصبحت بؤراً استيطانية جديدة، تقع جميعها خارج الخرائط الهيكلية لهذه المستعمرات. ويهدف الإسرائيليين من خلال

[58] آمال شحادة، المستوطنون يتمردون على شارون أم يساعدونه، **الوسط**، 2003/6/9، ص 5.

الاستيلاء عليها، وضع اليد على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الفلسطينية وضمها إلى المستعمرات، لتصبح مأهولة ويجري التفاوض بشأنها مع الفلسطينيين، في إطار التسوية النهائية، على هذا الأساس.

المستوطنون اليهود انتقلوا للعمل خارج المخططات الهيكلية، معتمدين على القانون الإسرائيلي الذي يلزم المؤسسة العسكرية بحماية أي موقع يستولي عليه الإسرائيليون. وهذا ما حدث بالفعل، إذ امتنع الجيش الإسرائيلي عن إخلاء الكرفانات الاستيطانية، مع أنها نُصِبَت خارج إطار الخرائط الهيكلية للمستعمرات القائمة، فصارت مثلها غير قانونية[59].

هذا المخطط الاستيطاني، بتطبيقاته التي جرت على الأرض، أتاح المجال أمام سلطات الاحتلال لابتلاع أكبر جزء من الضفة الغربية، وإقامة المزيد من المواقع الاستيطانية عليها، مستفيدة من حقيقة أن الاستيطان، ومصير المستعمرات، كان من الموضوعات التي تركتها منظمة التحرير الفلسطينية لمفاوضات المرحلة النهائية وفق اتفاق أوسلو.

واللافت للنظر أن أكثر من نصف البؤر الاستيطانية التي أقامها المستوطنون على رؤوس التلال، والتي وصل عددها إلى نحو 120، معظمها خالية من السكان، إذ كان المستوطنون يضعون 3-4 مبانٍ مؤقتة ويرفعون عليها العلم الإسرائيلي، ويضربون سياجاً حول أراضيها، فتصبح بالنسبة إليهم مستعمرة ومأوى[60].

ومن ذلك، تمّ تكليف ستة جنود لحراسة مستوطن يهودي واحد، اختار العيش فوق تلة نائية جنوب مدينة الخليل. فاقترح الجنود الستة على ذلك المستوطن أن يعيش في فندق على حسابهم، فهكذا يرتاح هو في مكان محترم، ويرتاحون هم من حراسته، التي لم تكن عبئاً أمنياً عليهم وحسب، بل كانت أيضاً عبئاً شخصياً ونفسياً. وقد نقلت إحدى الصحف الإسرائيلية عن أحدهم، مدافعاً عن نفسه في وجه الانتقادات التي وجهها إليهم المستوطنون: "كنا نشعر أننا نقوم بمهمة تنطوي على الكثير من المهانة، فهل يعقل أن يوظف ستة جنود، تدربوا على القتال، ويمكن أن يؤدي الواحد منا العديد من المهمات

[59] سائدة حمد، إسرائيل تسرع وتيرة التوسع الاستيطاني وترسم سلفاً حدود الكيان الفلسطيني، **الحياة**، 1998/11/18، ص 4.

[60] آمال شحادة، المستوطنون يتمردون على شارون أم يساعدونه، ص 5.

الوطنية في مكافحة الإرهاب، فيرسلونه في مهمة سخيفة كهذه، لأن يهودياً مجنوناً قرر احتلال تلة فلسطينية".

والمستوطن كما أكد كثير من معارفه، هو فعلاً مختل العقل، فتصرفاته غريبة ومستهجنة، كما أن مثل هذه النقاط الاستيطانية، لا يستطيع الجيش الإسرائيلي أن يخليها إلا بقرار من الحكومة، وهناك قرارات عدة صدرت في هذا الشأن، لكنها قرارات عامة لم تنفذ[61].

في كل مرة، كان المستوطنون يستغلون أي حادث ضدهم، وأحياناً بدون حوادث ضدهم، حتى يقوموا بخطوة تحقق لهم تعزيز الاستيطان والاستيلاء على البيوت والممتلكات العربية، إضافة إلى سعيهم المتواصل لإعطاء بعض القانونية لسلوكهم الاستيطاني، خاصة فيما يتعلق بمطالبتهم إقامة مستعمرة جديدة مقابل كل قتيل إسرائيلي يلقى مصرعه في هجوم تنفذه المقاومة.

فقد اقترح هؤلاء المستوطنين على حكومة بنيامين نتنياهو سنة 1996، اتباع سياسة صارمة من العقوبات الجماعية الواسعة بحقّ التجمعات السكانية الفلسطينية التي يخرج منها المهاجمون، أو تقع الهجمات على مقربة منها، بما في ذلك فرض قيود مشددة على تنقل الفلسطينيين على طرق المواصلات التي يسلكها المستوطنون[62].

وإلى جانب السيطرة على رؤوس التلال في نحو 120 موقعاً في الضفة الغربية، فإن المستوطنين استولوا على عشرات المنازل في الخليل، وأولها كان بيتاً مملوكاً للأوقاف الإسلامية بالقرب من الحرم الإبراهيمي الشريف، وتمّ الاستيلاء بحراسة جنود الاحتلال، وقد قاموا بضمه إلى مستعمرة بيت هداسا Beit Hadassah[63]

كما شهدت هذه المرحلة أيضاً، تصعيداً في تحركات المستوطنين نحو مصادرة أراضي الفلسطينيين، مع أن هذه المهمة كانت في السابق مقتصرة على جيش الاحتلال، ووفق أوامر عسكرية صادرة عن سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي. ومن ذلك، إقدام

---

[61] آمال شحادة، الخليل تحت سيطرة المستوطنين، ص 10.

[62] **القدس العربي**، العدد 2211، 1996/6/18، ص 5.

[63] **القدس**، العدد 9617، 1996/6/6، ص 1.

مجلس مستعمرة سلعيت Salit على توسيع الأرض المحيطة بالمستعمرة، في سنة 1996، وضمّ ما مساحته مئة دونم من أراضي قرية كفرصور القريبة[64].

وقام المستوطنون من مستعمرة حدشاه بالاستيلاء على أربعين دونماً من أراضي قرية بدو قضاء رام الله، بينما أقدم المستوطنون في كدوميم Kedumim على مصادرة ما يزيد على خمسين دونماً من أراضي قرية كفرقدوم. وفي منطقة نابلس، صادر مستوطنو شافي شومرون Shavei Shomron وإيتمار وأريل ما يزيد عن ألفي دونم من أراضي قرى الناقورة وعورتا واسكاكا ومردة ويأسوف وكفل حارس[65].

أما في الجفتلك، بالقرب من وادي الأردن، فقد قام مستوطنون من مستعمرة أرجمان بالاستيلاء على محطة الفارعة الزراعية بحماية الجنود الإسرائيليين، وهي تقع على أرض تبلغ مساحتها 380 دونماً، وتتبع وزارة الزراعة بالسلطة الفلسطينية، وقاموا بعمليات جرف واسعة في أرض المحطة[66].

وتصاعدت حملة الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، حيث أقدم مستوطنو خارسينا، قرب الخليل، على الاستيلاء على أراضٍ تبلغ مساحتها 500 دونم. وفي منطقة بيت لحم، قام عدد من مستوطني تقواع باقتحام أرض تقع إلى الجنوب من قرية تقوع، وقاموا بزراعة أشجار حرجية في تلك الأراضي بهدف الاستيلاء عليها، وضمها للمستعمرة. كما صادر مستوطنو أفرات نحو 500 دونم من أراضي قريتي الخضر وأرطاس في منطقة بيت لحم، وضموها إلى مستوطنتهم[67].

وفي نهاية العام، استولى مستوطنو أريل على أكثر من ثلاثة آلاف دونم من أراضي مدينة سلفيت، مزروعة بالزيتون والأشجار المثمرة، ووضعوا حولها الأسلاك الشائكة ومنعوا أصحابها من دخولها[68].

---

[64] **القدس**، العدد 9620، 1996/6/9، ص 3.

[65] **القدس**، 1996/6/25، ص 4، و1996/7/1، ص 1، و1996/7/7، ص 1.

[66] **القدس العربي**، 1996/11/12، ص 5.

[67] **القدس**، 1996/10/18، ص 1 و23، و1996/11/20، ص 1.

[68] **القدس**، 1996/12/18، ص 1.

أخذت الهجمة الاستيطانية أبعاداً جديدة، تمثلت بتصعيد الأعمال العنيفة التي يمارسها المستوطنون، لا سيّما في محيط الحرم الإبراهيمي وجوار البؤر الاستيطانية العشوائية التي قام نزلاؤها بأعمال توسع وإضافة وحدات سكنية جديدة، إذا لم يمرّ أسبوع خلال سنة 1997 دون أن يحدث مثل ذلك.

ففي البلدة القديمة ومدينة الخليل، تجمعت أعداد كبيرة من المستوطنين يوم 1997/11/30، في محيط مبنى الدبويا، وساروا في مسيرة اخترقت شارع الشهداء، ومحيط سوق الحسبة، ومحيط النبي إبراهيم، انتهاء بمحيط الحرم الإبراهيمي، تحت حماية كبيرة من قبل قوات الاحتلال. ولم يكتفِ المستوطنون بإعاقة حركة السيارات العربية، بل عمدوا إلى إطلاق عبارات تدعو إلى ترحيل العرب عن المدينة[69].

كما هدد المستوطنون من حركة كاخ بإهدار دم المواطنين الفلسطينيين، وإجلائهم عن مدينة الخليل. وجاءت تهديدات المستوطنين على شاكلة بيانات تحريضية، وكتابة شعارات معادية صريحة على أبواب المحلات التجارية في شارع الشهداء، تنصّ على أن الموت للعرب قريب[70].

وعلى صعيد الاعتداءات المسجلة في المركز القانوني للدفاع عن الأراضي الفلسطينية التابع للجنة الوطنية والإسلامية لمواجهة الاستيطان، قامت مجموعة من المستوطنين، في 1998/2/1، بالاعتداء على اثنين من حراس الحرم الإبراهيمي عن طريق رشقهما بمادة حارقة.

وفي 1998/2/3، قام أحد المستوطنين بإطلاق النار بشكل عشوائي على طلبة مدرسة عمر بن عبد العزيز الواقعة على الخط الالتفافي (60)، بهدف ترويع الطلاب ضمن الخطة الأمنية لترحيلهم من المدرسة، في حين قام مستوطن آخر بمطاردة طالبات مدرسة قرطبة الأساسية في أثناء عودتهن إلى بيوتهن. واعتدى مستوطنو بيت هداسا على سكان حيّ القصبة وخان شاهين، وذلك بقطع أسلاك الكهرباء والهاتف، وتكسير زجاج نوافذ البيوت وإلحاق الأضرار بها.

---

[69] **الدستور**، 1997/11/30، ص 19.

[70] **الرأي**، 1997/6/29، ص 44.

وتعرضت الزراعة الفلسطينية لحملة شرسة أيضاً، إذ قام مستوطنو سوسيا بحراثة وتخريب 200 دونم من أراضي بلدة يطا، مزروعة بالمحاصيل الشتوية، بينما أتلف المستوطنون ثلاثين دونماً في قرية مرسم بقضاء دورا، عن طريق رشها بالمواد الكيماوية الحارقة، بالإضافة إلى إحراق محاصيل زراعية في بلدة إذنا تقدر مساحتها بـ 15 دونماً. وأقدمت مجموعة أخرى من المستوطنين من مستعمرة يائير Yair على قطع أشجار الزيتون واللوز، كانت مزروعة في أرض مساحتها 55 دونماً، وتعود ملكيتها لبلدة يطا[71].

وعلى مدى يومين، شهدت مدينة الخليل أحداثاً وصدامات عنيفة، إثر قيام مجموعة من المستوطنين باقتحام حيّ أبو سنينه الخاضع لسيطرة السلطة الفلسطينية في المدينة، وارتكاب اعتداءات واسعة ضدّ المواطنين الفلسطينيين ومنازلهم وممتلكاتهم[72].

كما اعتدت مجموعة من المستوطنين على أراض عائلة شريتح في وادي الفرس، وقاموا باقتلاع ثلاثة آلاف شجرة زيتون وتخريب مئتي دونم مزروعة بالمحاصيل الشتوية[73].

ويستدل من تقرير أعده عضو الكنيست أحمد الطيبي، أن اعتداءات مستوطني الخليل كانت أكثر عنفاً ودموية من تلك في نابلس. فقد سجلت حادثة قتل واحدة، وخمس حالات إطلاق نار في الخليل، مقابل حادثة إطلاق نار واحدة في منطقة نابلس خلال الشهور الستة الأولى من سنة 1998، والتي نفذ المستوطنين خلالها 45 اعتداء. لكن مستوطني منطقة نابلس كانوا أكثر نشاطاً في إلحاق أضرار مادية في الفلسطينيين، لا سيّما من خلال اقتلاع الأشجار وإتلاف المحاصيل الزراعية، وسلب الأغنام والخيول، إضافة إلى أعمال تجريف الأراضي[74].

اعتداءات السبت التي ارتكبها المستوطنون في قلب مدينة الخليل ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم، لم تكن مجرد اعتداءات لحظية، إذ ثمة معطيات تؤكد أن تزايدها جاء في

---

[71] تقرير المركز القانوني للدفاع عن الأراضي الفلسطينية التابع للجنة الوطنية والإسلامية لمواجهة الاستيطان، الخليل، 1998/3/22.

[72] **الرأي**، 1998/3/18، ص 19.

[73] **الدستور**، 1998/4/27، ص 25.

[74] **القدس العربي**، العدد 2889، 1998/8/25، ص 5.

سياق الإرهاب المنظّم، من منطلقات دينية يؤمن بها المستوطنون، وسجلات حقوق الإنسان ومراكز الشرطة تبرهن ذلك.

مارس المستوطنون أسلوب عربدة (الكاوبوي) على النمط الأمريكي ضدّ المواطنين الفلسطينيين، ومنطقة الخليل هي الأكثر تعرضاً للاعتداءات والاستفزازات الاستيطانية، وبدعم من الجيش والشرطة. ففي أعياد السبت اليهودية، برزت جياد الإرهاب الاستيطاني في شوارع المدينة، حيث شوهد المستوطنون يمتطون الخيول ملوحين بسلاسلهم الحديدية، تماماً كما يجري في أفلام الكابوي الأمريكية، فيقتحمون المقبرة الإسلامية في شارع الشهداء، ثم ينتشرون بشكل استفزازي فوق القبور، في حين تقف دوريات حرس الحدود والشرطة على مقربة منهم لحراستهم.

كما نفذ المستوطنون، وهم يركبون الخيول، ويحملون السلاسل الحديدية، حملة اعتداءات في موقع جبل جوهر وشارع الكسارة القريب من مستعمرة كريات أربع. وكانت حصيلة ذلك، تحطيم 29 سيارة وشاحنة وإتلافها، تعود ملكيتها للمواطنين الفلسطينيين.

وأدت حوادث دهس متعمدة، قام بها المستوطنون في سوق الخضار المركزي القريب من مستعمرة أبراهام أبينو وموقع تلّ الرميدة إلى إصابة عدد من المواطنين، بينهم طفلة لاحقها المستوطن فوق الرصيف الخاص بالمشاة وضربها بسيارته.

وفي الأسبوع التالي، وفي يوم السبت أيضاً، أحرق المستوطنون ستّ سيارات وعدد من المحلات التجارية وخياماً للبطيخ، في موقع المدرسة الإبراهيمية المطلة على ساحة المسجد الأقصى. وبصورة عامة، لا يتمّ تقديم المستوطنين المعتدين للمحاكمة، وليس هذا فحسب، إذ أن أبشع الجرائم التي وقعت، وذهب ضحيتها الشهيد أبو تركي، الذي ضربه المستوطنون على رأسه وهو يسير في الشارع العام، قالوا إن ذلك جاء بهدف التسلية وليس القتل، وأطلقت سلطات الاحتلال سراح المجرمين[75].

وبحسب إحصائية صادرة عن الأمن العام الفلسطيني في منطقة الخليل، نفذ المستوطنون في سنة 1998 وحدها أكثر من 140 اعتداء ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم في

[75] **الرأي**، العدد 10173، 1998/7/16، ص 34.

البلدة القديمة من مدينة الخليل، لا سيّما في محيط البؤرتين الاستيطانيتين أبراهام أبينو وبيت هداسا، وذلك بهدف إجبار الفلسطينيين على الرحيل من المنطقة[76].

أما في قرية بني نعيم، غرب مدينة الخليل، فقد اتبع مستوطنو بني حيفر Pnei Hever أسلوب السرقة المبطنة في استيلائهم على أراضي القرية، حيث استولوا على نحو أربعين دونماً في البداية، أتبعوها بـ 150 دونماً تقع في الناحية الشرقية للقرية، وهي أراضٍ مزروعة بأشجار الزيتون واللوزيات[77].

وفي السياق نفسه، استولى المستوطنون في البؤرة الاستيطانية القريبة من مستعمرة معاليه عاموس Ma'ale Amos على 150 دونماً من أراضي قرية الرشايدة قرب بيت لحم، بغرض توسيع بؤرتهم[78].

وكان أخطر الهجمات الاستيطانية، المسّ بحياة الفلسطينيين بصورة مباشرة، عبر إلقاء مواد حارقة من شباك منزل نعمان شكري دعنا، منتصف ليل 1996/11/3، مما أدى إلى احتراق جزء من محتويات المنزل وإصابة 22 شخصاً ببعض الحروق والاختناق، جراء انتشار الدخان في المنزل وهم نيام. وقد اكتفت الشرطة الإسرائيلية بتسجيل الحادث، دون إجراء أي تحقيقات جادة فيه[79].

8. مرحلة الحرب المنظمة:

ظاهرة عنف المستوطنين واعتداءاتهم، الموجودة منذ وقت طويل، ازدادت كماً ونوعاً بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، في 2000/9/28، والتي جاءت احتجاجاً على زيارة زعيم حزب الليكود وقتها، أريل شارون لساحات المسجد الأقصى المبارك، وما أعقبها من جرائم بشعة ارتكبتها قوات الاحتلال، وتراوحت بين قتل متعمد، إلى تدمير وتخريب أو سرقة ممتلكات المواطنين الفلسطينيين.

---

[76] **الدستور**، العدد 11283، 1991/1/12، ص 12.

[77] **القدس العربي**، العدد 3135، 1999/6/7، ص 5.

[78] **الرأي**، العدد 10506، 1999/6/15، ص 42.

[79] مجلة **حقوق الناس**، القدس، الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة، العدد 30، السنة 3، آب/ أغسطس 1999، ص 24.

وسائل الإعلام والمراكز والجمعيات المعنية بحقوق الإنسان، أصدرت تقارير حول هذه الظاهرة خلال أعوام انتفاضة الأقصى، وقد عبرت عما شهدته الضفة الغربية من حالة فلتان منقطعة النظير من قبل المستوطنين، من قبيل: "جرائم المستوطنين... الوجه الآخر للاحتلال"، و"المستوطنون... عصا شارون الغليظة لتكسير عظام الفلسطينيين وتشريدهم وتخريب ممتلكاتهم"، و"المستوطنون يعربدون ويعتدون على المواطنين"، و"عنف المستوطنين وتراخي الحكومة الإسرائيلية... إهمال إجرامي"[80].

صحيح أن انتفاضة الأقصى تمكنت، وعلى نحو كبير، من إرباك المخططات الإسرائيلية على أكثر من صعيد. فالاستيطان، على سبيل المثال، تأثر من جراء الانتفاضة والمقاومة المسلحة، وتناقصت وتيرته بحسب تأكيدات إسرائيلية، ذلك أن عمليات المقاومة رسخت شعوراً متزايداً، ساد في أوساط المستوطنين، بعدم الأمن والقلق على مصير عائلاتهم. ولكن مع كل ذلك، كان من السهل على المراقبين للممارسات الإرهابية، التي صدرت عن المستوطنين خلال انتفاضة الأقصى وبعدها، أن يقرروا أن تلك الممارسات شهدت اتساعاً وشمولاً، نتيجة ضخامة التحرك الذي قام به المستوطنون على أكثر من صعيد. ولم يكن من الصعب تبيان ملامح هذا التحرك، أو الوصول إلى غاياته وأهدافه، فهو ليس جديداً، بل هو قديم وله في الذاكرة الفلسطينية القريبة شواهد.

ولكن ما شدّ الانتباه، وأقلق المراقبين والمتابعين، ووضع العديد من علامات الاستفهام، هو ما مثلته تلك الممارسات من تركيز واضح، ليس باتجاه المشاركة في قمع الانتفاضة وإخماد صوتها، بل في الحرب المنظمة ضدّ الفلسطينيين، واستهداف حياتهم وممتلكاتهم، مع تعمد المستوطنين إثارة الرعب في قلوب الفلسطينيين وإرهابهم.

ونظراً لطبيعة الحرب المنظمة التي تشنها عصابات المستوطنين ضدّ الفلسطينيين، وخطورتها عليهم، وعلى أملاكهم، والتي تتمّ تحت حراسة وحماية قوات الاحتلال، بل وفي حالات عديدة، يتمّ إطلاق النار بشكل مشترك من قبل جنود الاحتلال والمستوطنين معاً، مما يشكل عامل تشجيع لهم، فإن قادة المستوطنين، كلٌّ في منطقته، يُعدّون مسؤولين عن أعمال العنف، لأنهم متورطون بشكل مباشر أو غير مباشر بتخطيط الهجمات ضدّ الفلسطينيين وتنفيذها.

---

[80] آلون كارمل، ترجمة وليد هادي، "عنف المستوطنين وتراخي الحكومة الإسرائيلية،" المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان، القدس، العدد 22، السنة 5، نيسان 2001؛ وتقرير المركز الفلسطيني للإعلام، 2006/1/2.

كما أنهم مسؤولون، بصورة غير مباشرة، عن أعمال العنف هذه من خلال تصريحاتهم وتحريضهم ضدّ الفلسطينيين، والعرب بشكل عام، وموافقتهم الضمنية وعدم استنكارهم لما يحدث من هجمات. وموضوع غياب الرفض أو التنديد بالهجمات يشمل أيضاً الحكومة الإسرائيلية والقادة السياسيين والدينيين[81].

لم تكتفِ الحكومة الإسرائيلية بإهمال مسؤوليتها في توفير الحماية للفلسطينيين الخاضعين للحكم العسكري الإسرائيلي، فهي لم تعتقل، ولم تحقق، ولم تحاكم المستوطنين الذين ارتكبوا هجمات وجرائم، بل إن وزير الدفاع بنيامين بن إليعازر Binyamin Ben-Eliezer أعلن تأييده لأعمال المستوطنين، حين قال: "يواجه مجلس المستوطنات معركة فُرضت عليه، وهم يقومون بذلك بهدوء وشجاعة، ويقدّمون مثالاً يحتذى، أنا أُحييكم..."[82].

وعلى الرغم من كل ما ارتكبته قوات الاحتلال من جرائم وقتل وتنكيل بحقّ الفلسطينيين، داخل مدنهم وقراهم، إلا أن هذا لم يقنع حاخاماتهم بهذا العدد من الضحايا، فهم يتمنون لو استطاعوا تنفيذ عمليات بأنفسهم ضدّ الفلسطينيين. وفي هذا الإطار، أعرب الحاخام جدعون بريل، حاخام مستعمرة ألون شفوت Alon Shvut، بين بيت لحم والخليل، يوم 2001/2/12، عن أمله في التمكن من تنفيذ عمليات في قلب المدن الفلسطينية، وقال: "لو استطعنا إقامة ميليشيات، والدخول إلى المدن العربية، وتنفيذ عمليات تخريبية لفعلنا ذلك"[83].

استخدم المستوطنون السلاح الناري في حالات كثيرة، كما واستخدموا المتفجرات في بعض الحالات، بالإضافة إلى استخدام العصي والحجارة والآلات الحادة. وكانت هذه الاعتداءات العنيفة تتمّ بحراسة قوات الاحتلال وشرطته التي لم تتدخل لوضع حدّ لهذه الاعتداءات، ودون اعتقال أي من الجناة في معظم الحالات، بما في ذلك حالات القتل.

وأخذت اعتداءات المستوطنين خلال الانتفاضة بشكل عام، وبعد تولي حكومة أريل شارون الحكم بشكل خاص، منحنى خطيراً، فقد شنّ المستوطنون حرباً منظمة، كان

---

[81] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**، سلسلة إصدارات الانتفاضة (2) (القدس: الجمعية الفلسطينية لحماية الإنسان والبيئة – القانون، 2001)، ص 1.

[82] آلون كارمل، **مرجع سابق**، نقلاً عن: **هآرتس**، 2001/3/13.

[83] **فلسطين المسلمة**، آذار/ مارس 2001.

أخطرها أعمال القتل المنظم للفلسطينيين، وتفجير أسطوانات غاز مفخخة وسط مدينة الخليل، وإحراق المنازل والمشاتل الزراعية والمدارس، كما حدث في مدينة الخليل وقريتي الساوية واللبن الشرقي في الضفة الغربية، ومواصي خان يونس في قطاع غزة[84].

في السنة الأولى للانتفاضة، استشهد 17 مواطناً ومواطنة على أيدي المستوطنين في الضفة الغربية، جراء إطلاق النار والقتل بدم بارد. وقد تبدو هذه الأرقام صغيرة، مقارنة بعدد الشهداء والجرحى الذين سقطوا برصاص الجيش الإسرائيلي، إلا أنها مؤشر أكيد على أن جرائم المستوطنين أصبحت تعدّ مشكلة خطيرة، خاصة وأنها أصبحت اعتداءات يومية، تقع بمناسبة وبدون مناسبة، وبحسب ما تفيد منظمات ومراكز حقوقية "تعدّ تلك الاعتداءات شيئاً اعتيادياً في الضفة الغربية"[85].

ويتحدث موظف في السلطة الفلسطينية، يسكن في الضفة الغربية، عن هذه الاعتداءات فيقول: "المستوطنون يقومون بالاعتداء علينا، وينكلون بنا دون تدخل قوات الاحتلال التي تحرص على توفير الأمن والأمان لهم. وإن حصل، وقام الفلسطينيون بالدفاع عن أنفسهم، فإن قوات الاحتلال تتدخل لحماية المستوطنين، وتقوم باعتقالنا"[86].

إسرائيلياً، تقرّ الشرطة الإسرائيلية بارتفاع وتيرة اعتداءات المستوطنين على الفلسطينيين في الضفة الغربية. فعلى سبيل المثال، كان هناك ارتفاع بنسبة 15-20% على عدد الملفات التي فتحتها الشرطة ضدّ المستوطنين في سنة 2004، وذلك بالمقارنة مع سنة 2003.

ومن الحوادث الموثقة، اعتقال الشرطة الإسرائيلية خمسة مستوطنين من مستعمرة يتسهار، للاشتباه في أنهم هاجموا راعٍ فلسطيني وسرقوا منه قطيعاً من الأغنام، حيث تمّ العثور عليه داخل المستعمرة. وقام عدد من المستوطنين بالاعتداء على رجال الشرطة بعد اعتقال زملائهم، مما استدعى وصول قوة أخرى، قامت بتخليصهم من أيدي المستوطنين[87].

---

[84] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[85] المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، التقرير الأسبوعي: 27 ديسمبر 2001-2 يناير 2002.

[86] الاستيطان في الضفة يقتل الحلم بإقامة الدولة الفلسطينية، موقع صحيفة **فلسطين**، غزة، 2007/9/16.

[87] **فلسطين المسلمة**، تموز/ يوليو 2004، ص 12.

القسم اليهودي في جهاز الشاباك، أشار أن ضباطه العاملين في الضفة الغربية طالبوا بإعادة تعريف مصطلح "اليمين اليهودي المتطرف"، والعمل على توسيعه على خلفية تزايد ظاهرة التطرف بين المستوطنين. وقال هؤلاء الضباط، إن الخطر من عمليات متطرفة من قبل المستوطنين، قد يتجسد، ليس فقط من قبل مجموعات تعرف بأنها يمين متطرف، بل من أوساط تعدّ معتدلة ومتزنة، وسط السكان اليهود في أنحاء الضفة الغربية وخارجها[88].

إذن، شهد المجتمع الصهيوني بشكل عام، وأوساط المستوطنين بشكل خاص، جنوحاً أكثر باتجاه التطرف، الأمر الذي تجسد في الانتخابات التشريعية العامة، والتي جاءت بعدد من زعماء الأحزاب اليمينية المتطرفة إلى سدة الحكم. وقد انعكس هذا الجنوح نحو التطرف في الأعمال العدائية التي نفذها المستوطنون داخل المناطق المحتلة منذ سنة 1948، ضدّ الفلسطينيين هناك.

وخلال الانتفاضة، شكل المستوطنون مجموعة من التنظيمات الإرهابية المسلحة، قامت بأعمال إرهابية منظمة ضدّ الفلسطينيين، وضدّ ممتلكاتهم. وعلى الرغم من معرفة قوات الاحتلال بهذه التنظيمات، وتركيبتها، وهيكلتها، وزعامتها، إلا أنها لم تقم بالواجب الذي يمليه عليها القانون الدولي، بل إنها كانت تغضّ الطرف دائماً عن هذه الجرائم، وفي حالات كثيرة، كانت تشارك هذه التنظيمات في اعتداءاتها.

لقد استخدم المستوطنون السلاح الناري ضدّ الفلسطينيين في حالات كثيرة، ثم طوروا أساليب اعتداءاتهم بزرع متفجرات في عدد من الممتلكات الفلسطينية، وفي أكثر من مرة، وذلك بهدف إيقاع أكبر عدد من الضحايا في صفوف الفلسطينيين. كما واستخدموا وسائل أخرى للقتل، كالتعذيب الوحشي حتى الموت، أو الدهس المتعمد، أو إلقاء الحجارة باتجاه الضحايا.

في 2000/10/1، وهو اليوم الثالث من أيام الانتفاضة، استشهدت الطفلة سارة عبد العظيم حسن (عام ونصف العام)، من قرية قصرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس، على يد مستوطن أطلق النار على سيارة والدها، بينما كان عائداً بها من مدينة نابلس بعد علاجها من مرض ألمّ بها. وأفاد والدها، أنه لم يستطع تحمل بكاء طفلته المرّ،

[88] **معاريف**، 2001/2/13.

فحمل الصغيرة في سيارته الخاصة، وتوجه إلى مدينة نابلس لعلاجها. وفي أثناء عودته، أطلق مستوطن النار على سيارته بالقرب من مفترق عقربا، فأصاب الطفلة برصاصة قاتلة في رأسها، كما وأصيبت ابنة شقيقه ريما، عندما كانت الصغيرة في حضنها، وتجلس بها في المقعد الخلفي.

وفي 2000/10/11، استشهد محمد غسان صالح بوزيه (39 عاماً)، من سكان قرية كفل حارس في منطقة سلفيت، دهساً على يد أحد المستوطنين بالقرب من مفترق سلفيت، حيث تقع هناك مستعمرة أريل، عندما كان محمد ينتظر سيارة تقله إلى قريته في أثناء عودته من عمله.

في 2000/10/17، استشهد فريد موسى عيسى نصاصرة (28 عاماً)، من سكان قرية بيت فوريك في منطقة نابلس، حيث أصيب بعيار ناري اخترق الخاصرتين، بعد أن هاجمت مجموعة من المستوطنين القادمين من مستعمرة إيتمار المزارعين الفلسطينيين في أثناء قطفهم ثمار الزيتون، وأطلقوا النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد نصاصرة على الفور، وإصابة ثلاثة آخرين من عائلته.

وفي 2000/11/14، استشهد مصطفى محمود موسى عليان (50 عاماً)، من سكان مخيم عسكر في نابلس، جراء إلقاء حجر كبير على رأسه من قبل المستوطنين، بينما كان يقود سيارته المخصصة لنقل الخضار على الشارع الملتف حول رام الله من الجهة الشرقية، بالقرب من مفترق مستعمرة كوكب الصباح.

ومع اشتداد آلة القمع الإسرائيلية ضدّ الفلسطينيين، والتي تعدّ عامل تشجيع للمستوطنين على ارتكاب جرائمهم، قام المستوطنون بأعمال قطع للطرق الرئيسية التي تربط بين مدن الضفة الغربية، واعتدوا على الفلسطينيين وممتلكاتهم، مستخدمين السلاح الناري، والآلات الحادة، والعصي، والحجارة، فأصابوا العديد من الفلسطينيين وحطموا سياراتهم. ففي 2000/10/3، أطلق المستوطنين النار على مفترق قرية زعترة في منطقة نابلس، فأصابوا عشرة مواطنين.

وفي ساعات صباح يوم الأربعاء الموافق 2001/5/2، أغلق المستوطنون طريق رام الله – نابلس في مقطعين، الأول مقابل مستعمرة عوفرا، والثاني على مفترق مخماس، وقاموا برمي الحجارة والزجاجات الفارغة باتجاه سيارات الفلسطينيين، وأغلقوا

الطرق. وقد تمّ ذلك بحضور قوات من جيش وشرطة الاحتلال، التي لم تعمل على إبعاد المستوطنين عن الطرق. وفي حوالي الساعة 3:30 من اليوم نفسه، قامت مجموعات من المستوطنين بأعمال عربدة عند مفترق مستعمرتي أفرات ودانيال Daniel، على طريق بيت لحم – الخليل، وقاموا بمهاجمة السيارات الفلسطينية بالحجارة والقضبان الحديدية، وإحراق الإطارات تحت سمع وبصر بل وحراسة قوات الاحتلال، فأصيبت فلسطينية بجرح في رأسها، أدى إلى كسر في الجمجمة، نتيجة قذفها بحجر كبير.

وبعد ظهر يوم الخميس الموافق 2001/6/14، قام خمسون مستوطناً مسلحين بالأسلحة النارية والقضبان الحديدية، بمهاجمة المركبات الفلسطينية المارة على طريق الخليل – بيت لحم، بالاتجاهين. كما وهاجموا المركبات على الطرق الفرعية والزراعية على مفترقات قرى تقوع، وزعترة، والمنيا، وسعير، وبيت عينون، مما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة في خمس سيارات فلسطينية، وأصيب أربعة مواطنين بجراح مختلفة.

وفي حوالي الساعة 7:30 من صباح يوم الجمعة، الموافق 2001/6/22، قام حوالي خمسون مستوطناً من مستعمرات كريات أربع، وخارصينا Kharsina، وكرمي تسور Karmei Tzur إلى الشمال الشرقي من مدينة الخليل، بإغلاق المدخل الشمالي لبلدة حلحول بالصخور، وملاحقة المركبات الفلسطينية التي كانت متوقفة خلف السواتر الترابية، التي كانت قد أقامتها قوات الاحتلال في وقت سابق على مداخل البلدة. وقد طارد المستوطنون الفلسطينيين الذين حاولوا عبور الطرق واعتدوا عليهم بالضرب، وهاجموا مركباتهم بالقضبان الحديدية، وأغلقوا طريق القدس – بيت لحم عند مفترقي مخيم الفوار وكفار عصيون. وقد أصيب جراء هذه الاعتداءات مواطنان، إضافة إلى تحطيم زجاج سيارتهما.

وفي حوالي الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق 2001/6/26، اعترض عدد من المستوطنين، سيارة شحن فلسطينية على الشارع الاستيطاني الموصل بين مستعمرة إيلون موريه ومعسكر حوارة جنوبي مدينة نابلس، وأرغموا السائق على التوقف والترجل من الشاحنة، ثم انهالوا عليه بالضرب المبرح على كافة أجزاء جسمه.

وفي حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين الموافق 2001/7/23، رشق عدد من المستوطنين الحجارة على سيارة فلسطينية بالقرب من قرية الساوية على شارع نابلس – رام الله، مما أدى إلى إصابة سائقها بحجر في وجهه، وبشظايا الزجاج في عينيه.

كما شهدت انتفاضة الأقصى، حرباً منظمة شنّها المستوطنون المدعومون بقوات الجيش وشرطة الاحتلال ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم، من خلال تنظيم هجمات وصلت إلى الأحياء السكنية والمارة على حدٍّ سواء، وقد شملت إطلاق الرصاص على المواطنين ومنازلهم وسياراتهم، ومهاجمتها بالحجارة والمواد الحارقة. ونورد هنا، نماذج لبعض الحالات التي تمّ توثيقها:

أكدت رفقة عبد الله الكرد (75 عاماً)، من سكان الشيخ جراح، أن المستوطنين تمركزوا خلال ثلاثة أيام متتالية 7-2000/10/9، قرب حيّ الشيخ جراح، وكانوا يصرخون "الموت للعرب". وقالت إنه نتيجة أصوات وتحركات المستوطنين، والمصادمات التي وقعت بينهم وبين الشباب، أصيب حفيداها بحالة رعب كبيرة، وأصبحا يعانيان من قلة النوم.

وفي إفادة مشفوعة بالقسم، أدلى بها عزّ الدين الشرباتي، الذي يسكن في حيّ قنطرة الحمام الواقع وسط مدينة الخليل، قال فيها: "بعد ظهر يوم الخميس الموافق 2000/10/26، أخذ المستوطنون يرشقون منزلي بالحجارة، وبأكياس الرمل، وبأكياس ماء آسنة، وبالبيض الفاسد، مرددين شعارات: الموت للعرب، اذبحوا الشرباتي، وقد تمّ ذلك على مرأى ومسمع من جنود الاحتلال المرابطين على سطح منزلي وحوله".

وفي إفادة أخرى، أدلى بها أحمد مصطفى شقير، في كفل حارس بمنطقة نابلس، قال:

> في حوالي الساعة الثانية ليلاً، من يوم 2001/10/9م، قام عدد من المستوطنين بحرق دكاننا وما فيه من بضائع، ومواد تموينية ومحتويات أخرى... أما خسائري بالدكان، ومحتوياته التي حرقت، فكانت أكثر من 100 ألف شيكل [حوالي 23,800$][89]، مع العلم أن الدكان الذي قاموا بحرقه يقوم بإعالة أربع عائلات، منهم عائلتي. وبعد أن أحرقوا محلي، توجهوا إلى قرية بديا وقرية مسحة، حيث قاموا بحرق العديد من المحال التجارية على نفس الخط.

وخلال ساعات نهار يوم السبت الموافق 2001/3/10، قامت عدة مجموعات من المستوطنين، بسلسلة اعتداءات واستفزازات، استهدفت أحياء: جبل الرحمة، وتلّ الرميدة، والسهلة، وشارع الشهداء بوسط مدينة الخليل. واعتدى المستوطنون على سكان المنطقة والمارة، تحت سمع وبصر قوات الاحتلال التي كانت ترافقهم وتوفر

[89] تمّ احتساب سعر صرف الشيكل حسب أسعار سنة 2001.

الحماية لهم، وأسفرت هذه الاعتداءات عن إصابة مازن دعنا، المصور التلفزيوني بوكالة رويترز للأنباء Rueters News Agency، وحسام أبو علان، المصور الفوتوغرافي بوكالة الأنباء الفرنسية، وطفل من حيّ تلّ الرميدة.

وفي حوالي الساعة 2:30 من فجر يوم الأربعاء الموافق 2001/3/28، صعّد المستوطنون من وتيرة اعتداءاتهم المنظمة، في الجزء المحتل من الخليل. وطالت هذه الاعتداءات ممتلكات المواطنين التي تقع في الجزء الخاضع للسيطرة الفلسطينية، حيث أقدم المستوطنون على إشعال النيران في تسع سيارات فلسطينية كانت تقف على جنبات الشارع، وأمام منازل أصحابها في حيّ الكرنتينا، اثنتان منها تعود لبلدية الخليل. وفي ساعات الظهر، أشعل المستوطنون النيران في جزء من مقرّ دائرة الأوقاف الإسلامية في المدينة، وألحقت النيران أضراراً بالغة في الأثاث.

وفي ساعات المساء، من يوم الإثنين الموافق 2001/4/2، هاجم عدد من المستوطنين قرية حارس قضاء سلفيت، بحماية جيش الاحتلال، وقاموا بأعمال عربدة فيها، ووجهوا دعوات للأهالي لمغادرتها لأنهم سيقومون بإحراقها، في حين قام جنود الاحتلال بإطلاق قنابل الغاز على منازل المواطنين. وفي الليلة التالية، أعاد المستوطنون مهاجمة القرية، وأطلقوا موسيقى صاخبة عبر مكبرات الصوت، واعتدوا على الصحفية الأمريكية ديبورا رايدر Deborah Rider بالضرب، وحطموا كاميرا التصوير الخاصة بها. وحين حضرت شرطة الاحتلال، احتجزت الصحفية عدة ساعات في سيارة تابعة للشرطة، بحجة توفير الحماية لها.

وفي ساعات ظهر يوم الجمعة الموافق 2006/6/2، أضرم مستوطنون من متسيف شيلو، في جنوب شرقي مدينة نابلس، النار في الحقول المزروعة بالحبوب في قرية جالود، حيث أتت النار على 150 دونماً. وفي الساعة نفسها تقريباً، أضرم مستوطنون من البؤرة الاستيطانية المسماة جدعون، النار في أراضي بلدة بيت فوريك، حيث أتت النيران على 450 دونماً من الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون.

وفي اعتداء شبيه للاعتداء الذي مارسه المستوطنون في منطقة مواصي خان يونس في 2001/1/15، تعرضت قريتا الساوية واللبن الشرقي المتجاورتان، واللتان تقعان جنوبي مدينة نابلس، لأعمال تنكيل واعتداءات واسعة النطاق من قبل جنود الاحتلال والمستوطنين. وقد أسفرت هذه الاعتداءات عن إصابة ثمانية مواطنين، وإحراق مدرستين

وثلاثة منازل، وتحطيم نوافذ وأبوب مدرسة ثالثة وخمسة منازل أخرى. وفي فجر يوم الإثنين الموافق 2001/7/2، أضرم مستوطنان النار في أربع سيارات فلسطينية في أثناء وقوفها أمام منازل أصحابها في حيّ البقعة المجاور لمستعمرة خارصينا، إلى الشرق من مدينة الخليل[90].

كما شنّ المستوطنون حرباً ضدّ المزارعين الفلسطينيين وممتلكاتهم، استخدموا فيها الوسائل العدوانية كافة. ففي الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين الموافق 2001/3/26، هاجم عدد من مستوطني جنيم وكديم الواقعتين شرقي مدينة جنين ثلاثة مزارعين فلسطينيين من قرية فقوعة، واعتدوا عليهم بالضرب بأعقاب البنادق والأيدي والأرجل، وأصابوهم برضوض[91].

وفي مشهد آخر، قامت مجموعة من المستوطنين من البؤر الاستيطانية، ومن مستعمرة إيلون موريه مساء يوم الأحد الموافق 2001/10/16، بإحراق أراضٍ زراعية تقع شرقي قرية سالم، مزروعة بأشجار الزيتون، واقتلاع وتكسير 200 شجرة زيتون، حيث أتت النيران على على ما يقارب 300 دونم، ولولا تدخل أهالي القرية وبمشاركة إطفاء بلدية نابلس في إخماد الحريق لأتت النيران على مساحات واسعة من الأراضي.

هذه الحادثة لم تكن الوحيدة التي تستهدف قرية سالم وسكانها، فسجل الانتهاكات الصهيونية لا ينتهي. ففي 2002/5/23، أضرمت مجموعة من مستوطني إيلون موريه النار في حقول الزيتون والبقوليات الواقعة جنوب القرية، وأطلقوا النار على أهالي البلدة الذين هبوا لإخمادها. وقد أتت النيران على حوالي 300 شجرة زيتون وعلى عدد من الحقول الزراعية.

ولم يكتفِ المستوطنين بذلك، فقد استمروا باعتداءاتهم اليومية على الأهالي وأراضيهم، ففي 2005/11/27، قام عدد كبير من المستوطنين بتقطيع أكثر من 400 شجرة زيتون تعود ملكيتها لبعض العائلات التي تسدّ حاجاتها الأسرية من الإنتاج الزراعي، حيث استخدم المستوطنون المناشير الأوتوماتيكية واليدوية، مستغلين بذلك وجود الشارع الالتفافي الذي يمنع وصول الأهالي إلى أراضيهم.

---

[90] للاطلاع على كافة التفاصيل وحالات أخرى، انظر: **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[91] **المرجع نفسه**.

هذه صورة مصغرة عما تعانيه قرية سالم من ويلات الاحتلال والمستوطنين، فسكانها لن ينعموا بالأمن والسلام ما دام الاستيطان موجوداً، وما دامت مجموعات المستوطنين تتمادى في اعتداءاتها. وهذا الأمر ينطبق على جميع القرى والتجمعات السكانية الفلسطينية، ذلك أن الحرب الاستيطانية المنظمة أخذت أشكالاً عدة، وانتشارها الجغرافي يكاد لا يترك أي منطقة من أقصى شمال الضفة الغربية وحتى جنوبها. والحقيقة، إن المتابعين لهذه الحرب لم يجدوا مكاناً لما ذكرته بعض جمعيات ومراكز القانون وحقوق الإنسان، بأنها مجرد اعتداءات قام بها عدد محدود من المستوطنين[92]. ومن يرد أن يبحث عن دليل قاطع على تشجيع الدولة العبرية للإرهاب اليهودي المنظم، فإنه يجد هذا الدليل في قرار جهاز الشاباك، بالإفراج عن عدد من الإرهابيين من سكان المستعمرات، بعد أن أقرّ رفاق لهم في أثناء التحقيق معهم أنهم خططوا لتفجير عدد كبير من المساجد في الضفة الغربية وداخل المناطق المحتلة سنة 1984 في يوم الجمعة، وذلك لتحقيق أكبر عدد من القتلى بين الفلسطينيين.

ومن بين المساجد التي كان الإرهابيون اليهود يفكرون بتفجيرها، المسجد الأقصى. وحسب الاعترافات التي أدلى بها المجرم عوفر جملئيل، أحد أعضاء خلية بات عاين التي أدانتها محكمة إسرائيلية بمحاولة تفجير مدرسة إبتدائية للبنات في قرية صور باهر، فإن خلايا إرهابية أخرى قدد خططت لتفجير المساجد، وإنه كان شاهداً على بدء الإعداد لتنفيذ تلك الاعتداءات. وحسب مصادر الشاباك نفسها، فقد أكد جملئيل أن الإرهابيين الآخرين اتفقوا فيما بينهم على أن يُترك لكل خلية الحرية في الطريقة التي ترتئيها في تنفيذ عمليات تفجير المساجد، لكن بعد أن قام الشاباك باعتقال هؤلاء أخلى سبيلهم.

الشاباك ادعى أن المعتقلين لم يتعاونوا في التحقيق، واحتفظوا بالحقّ في الصمت في أثناء التحقيق، ذلك أن القانون الإسرائيلي يتيح لهم الصمت وعدم الإجابة عن أي سؤال يطرحه المحققون. وبكل تأكيد، لا يسمح القانون الإسرائيلي بممارسة أي ضغط جسدي أو حتى نفسي عليهم، لدرجة أن أحد الصحفيين سأل أحد المستوطنين بعد إطلاق سراحه، هل تعرضتم للتعذيب، فردّ عليه المستوطن: نعم لقد عذبونا، فبادره الصحفي، وكيف عذبوكم؟ فردّ المستوطن: لقد أجبرونا على قراءة صحيفة هآرتس!

[92] المركز الفلسطيني للإعلام، 2006/1/2.

بالطبع، فإنه لا يمكن لمثل هذا النوع من المعاملة أن ينجح في دفع الإرهابين للإدلاء باعترافات للمحققين، مع أنه عندما يقوم الشاباك بالتحقيق مع أي مقاوم فلسطيني، فإن مسلسل التعذيب الجسدي والنفسي يبدأ منذ أن يتمّ اعتقاله، ولا مجال هنا لإعطاء تفاصيل باتت معروفة حول وسائل التعذيب، غير الإنسانية، وغير الأخلاقية، والوحشية، التي يتبعها جهاز الشاباك مع المقاومين الفلسطينيين[93].

سياسة تقاسم الأدوار بين المستوطنين وسلطات الاحتلال، جعلت حتى منظمة بتسيلم يؤكد في تقرير نشره في كانون الثاني/ يناير 2007، أن ما أسماه عنف المستوطنين ليس تقصيراً موضوعياً، بل هو ناتج عن سياسة انتهجتها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، من أجل تمكين المستوطنين من المسّ بالفلسطينيين بهدف ترحيلهم. كما أكد التقرير، أن اعتداءات المستوطنين "تقع على مرأى من الجنود الذين لا يملكون الأوامر بوقفها، وفي بعض الأحيان يتمّ توجيههم إلى الامتناع عن الدفاع عن الضحايا، كما تمتنع الشرطة الإسرائيلية عن توفير الردّ المناسب على عنف المستوطنين"[94].

وإلى جانب هذه السياسة، فإن المستوطنين استطاعوا أن يجنوا ثمار ما زرعوه منذ زمن بعيد، ذلك أن تشجيعهم للأبناء والشباب على الانضمام للوحدات القتالية في الجيش الإسرائيلي، أدى إلى نجاحهم في التأثير على تركيبة القوات العاملة في الضفة الغربية لصالحهم. إذ إن 40% من صغار الضباط، هم من أبناء المستوطنين وأنصار الصهيونية الدينية، مع العلم أن هؤلاء لا يشكلون أكثر من 7% من عدد اليهود.

ومن أجل إثبات قدرة المستوطنين على تجنيد الجيش لصالحهم، استطاع المستوطنون جمع تواقيع 10 آلاف جندي وضابط من جيش الاحتلال على عريضة يؤكدون فيها أنهم غير مستعدين للمشاركة في إخلاء المستعمرات في قطاع غزة وشمال الضفة الغربية، في إطار خطة أريل شارون لفكّ الارتباط والانسحاب من قطاع غزة سنة 2005[95].

---

[93] صالح محمد النعامي، التنظيمات الإرهابية اليهودية الفلسطينية بسلاح جيش الاحتلال وتحظى بتواطؤ السلطات الصهيونية، **فلسطين المسلمة**، تشرين الثاني/ نوفمبر 2003، ص 18.

[94] للمزيد من التفاصيل، انظر: المركز الفلسطيني للإعلام، 2007/1/21.

[95] **فلسطين المسلمة**، آذار/ مارس 2005، ص 45.

ثانياً: أشكال الإرهاب:

شهدت الضفة الغربية وما تزال، اعتداءات شبه يومية من قبل المستوطنين على الفلسطينيين وممتلكاتهم ومقدساتهم، وهي اعتداءات مرتبطة بعقيدة متطرفة، وأهداف وطنية – دينية، ووجهة نظر تقول: إن الطرق غير الشرعية مقبولة، إذا كانت في سبيل تحقيق تلك الأهداف.

يقول إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفنسكي Norton Mezvinsky في كتابهما "التطرف اليهودي في إسرائيل" الذي طبع في سنة 1999: "إن هناك بعض الأحكام اليهودية المتطرفة التي تنصّ على أن قتل غير اليهود يعتبر جريمة أبسط بكثير من قتل اليهود، وأن الحفاظ على أرض يهودا والسامرة ملكاً لليهود تعتبر أولوية تبرر العديد من الأخطاء التي قد تقع"[96].

ومع أن مثل هذا الرأي العنصري لا يشترك فيه الكثير من اليهود، إلا أن أعمال العنف والهجمات التي يكون ضحاياها فلسطينيين تلقى موافقة ضمنية غير معلنة من الأكثرية، أو على الأقل، لا نجد من يقف من اليهود ويرفضها، أو يستنكرها.

فالحاخام موشيه ليفنغر، الذي يعدّ الأب الروحي للحركة الاستيطانية، ومن مؤسسي جماعة جوش أمونيم، يمثل نموذجاً صريحاً للمستوطن المتطرف الذي يؤمن بضرورة تحويل "دولة إسرائيل" إلى أمة مقدسة، تحكم وفق تعاليم التوراة، ويعارض أية تسوية مع الفلسطينيين، وبالطبع يحارب قيام دولة فلسطينية. ومع ذلك، نجد رئيس الحكومة أريل شارون يصف ليفنغر وزوجته بأنهما "بطلا هذا الجيل".

ليفنغر هذا أدين مرتين بقتل فلسطينيين في الخليل، في أحد المرات، في سنة 1988، قتل ليفنغر الشاب خالد صلاح وأصاب إبراهيم بالي بجرح خطيرة. وقد حُكِم عليه بالسجن خمسة أشهر، ولكن أفرج عنه بعد عشرة أسابيع فقط. ومع أن الحاخام ليفنغر أصبح كبيراً في السن، إلا أنه ما زال من أنشط قادة المستوطنين في الخليل[97].

---

[96] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 10.

[97] **المرجع نفسه**، ص 12.

وليس هذا فحسب، فحتى أوامر تقييد الحركة ضدّ المستوطنين الثلاثين، الذين وصفتهم حكومة نتنياهو بأنهم متطرفين، نجد قائد المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي الجنرال عوزي دايان Uzi Dayan يقلص عددهم إلى خمسة في بداية فترته، بينما يصرح رئيس الأركان موشيه يعلون Moshe Ya'alon أنه سيسعى لتجنب استخدامها، وهو ما كان[98].

تعددت أشكال الإرهاب الذي يمارسه المستوطنون، واتخذت أسالیباً وفصولاً مختلفة، بلغت من الوحشية والقسوة حداً لا يصدق. ويدلّ على ذلك، عمليات إطلاق النار تجاه المواطنين الفلسطينيين، وحرق المنازل والممتلكات، والاعتداء بالضرب، وإتلاف المزروعات واقتلاع الأشجار...إلخ.

جدول 3/2: توزيع جرائم المستوطنين خلال سنة 2007 حسب شكل الاعتداء[99]

شكل الاعتداء	النسبة المئوية (%)
الاعتداء على المزارعين ورعاة الأغنام	29
الاعتداء على البيوت والمنازل	19
أعمال التنكيل	14
الاعتداء على المقدسات الإسلامية	6
إطلاق النار	5
حوادث الدهس المتعمد	3
عمليات الطعن	2
قطع الطرق ورشق الحجارة	22

وهناك قائمة طويلة من وقائع الإرهاب الاستيطاني، التي اتسعت لتصبح حرباً منظمة ضدّ الفلسطينيين، تستهدف حياتهم وممتلكاتهم، وتتعمد إثارة الرعب والإرهاب. وللتدليل على ما سبق ذكره، نستعرض مختلف أشكال هذه الحرب، وأنواع الأسلحة التي استخدمها المستوطنون، والأساليب والممارسات الوحشية التي اقترفوها، وأمثلة من الأذى الجسدي الذي تسببوا به بحقّ المواطنين الفلسطينيين.

[98] **القدس العربي**، 1998/12/10، ص 9، نقلاً عن: نداف شرغاي، **هآرتس**، 1998/12/8.

[99] التقرير السنوي للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، ص 49.

1. عمليات القتل وإطلاق النار:

بعد نحو شهر من نشوب الانتفاضة الفلسطينية، سقط فتى من سلواد برصاص بنحاس فالرشتاين، رئيس مجلس مستعمرات منطقة رام الله، في أول حادث من نوعه يتمّ على أيدي المستوطنين. وسرعان ما أطلقت الشرطة الإسرائيلية سراح القاتل، وبرر اللواء عمرام متسناع Amram Mitzna، قائد المنطقة الوسطى حينها، جريمة القتل، بأن الفاعل تعرض لخطر يهدد حياته، فتصرف وفقاً للأصول المتبعة. ثم أصبح سلوك فالرشتاين، منذ ذلك الحين، نموذجاً يُقتدى به للمستوطنين في أخذ القانون بأيديهم، وقتل الفلسطينيين على هواهم. كما أن سلوك سلطات الاحتلال المختلفة، بالتواطؤ مع المستوطنين، أصبح القاعدة المشجعة لهم.

بعد جريمة القتل في سلواد، تواصلت جرائم المستوطنين الدموية، كما أنها اتسعت وتصاعدت مع اتساع الانتفاضة وتصاعدها. وكان لوجود السلاح بين أيديهم الدور الأساسي في الاستخدام الواسع له، وما ينتج عن ذلك من عمليات قتل وإصابة للمواطنين الفلسطينيين. ولأن المستعمرات تعدّ جزءاً من نظام الدفاع الإقليمي للجيش الإسرائيلي، فإن ذلك أتاح للمستوطنين حمل السلاح واستعماله وفقاً للقواعد المتبعة في هذا الجيش نظرياً، ووفقاً لقواعدهم الخاصة عملياً. وأعطى المستوطن، أسوة بالجندي، الحقّ في إطلاق النار على أي فلسطيني يلقي زجاجة حارقة عليه، عندما تكون حياته معرضة للخطر.

بل، إن القانون العسكري يبيح للمستوطنين مطاردة "مثيري الشغب"، ومعاقبتهم. وهكذا، يشكل المستوطنون "اليد التي تنفلت من عقالها"، في حين يكون "الجيش مقيداً نسبياً بردات الفعل"، بحسب شهادة رقيب أول في الاحتياط، خدم مع الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية[100].

سمحت حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين للمستوطنين، بالتسلح بمعدات مشابهة لتلك التي يستعملها الجيش الإسرائيلي، وتشمل تلك المعدات القنابل والمسدسات والأسلحة الأوتوماتيكية. وتسمح الحكومة للمستوطنين بتخزين الأسلحة في منازلهم، دون الحاجة للحصول على ترخيص رسمي[101].

---

[100] خالد عايد، "دور المستوطنين في مواجهة الانتفاضة/الثورة،" ص 221-222، نقلاً عن: **هآرتس**، 1988/3/23.

[101] **القدس**، 1993/12/10، ص 7.

ولأن المستوطنين الذين تزيد أعمارهم عن 18 عاماً، في معظمهم، إما جنود نظاميون أو جنود احتياط، ويفوق استعدادهم لإطلاق النار استعداد الجنود الآخرين، وهذا حسب تقرير يهوديت كارب مساعدة النائب العام الإسرائيلي، فإنهم يلجأون إلى استخدام سلاحهم بشكل دائم، وعلى نطاق واسع، سواء بإطلاق النار على الفلسطينيين في أثناء مرورهم في الشوارع العامة، أو مهاجمتهم في منازلهم، أو في حقولهم الزراعية.

وتشكل نسبة الشهداء الذين سقطوا بسبب إطلاق النار من قبل المستوطنين نسبة 60% من مجموع الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا على أيدي المستوطنين، هذا عدا عن عشرات الجرحى جراء إطلاق النار عليهم من قبل المستوطنين[102].

إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على التهور الشديد للمستوطنين، ويدلّ على حجم المشكلة التي يسببها الاستيطان، من حيث التصاعد في عمليات القتل والمساس بالحقّ في الحياة للمواطنين الفلسطينيين. وفي غالبية حالات القتل التي قام بها المستوطنون، إن لم يكن في جميعها، لم تكن حياتهم معرضة للخطر، ولم تقع تحت بند الدفاع عن النفس، وفي بعض هذه الحالات، كانت مشاعر الكراهية والحقد فقط هي التي تحركهم للقتل، ولعل حادثة قتل الفتى إياد قرابصة تدلّ على ذلك. فالشهيد إياد قرابصة (17 عاماً)، من قرية عين عريك، سقط برصاص أحد المستوطنين بالقرب من مدرسة بيتونيا، واستشهاده أعاد إلى الأذهان السؤال المطروح حول جدوى وفائدة الطرق الالتفافية التي بدأ شقها بعد اتفاق أوسلو، لتخفيف الاحتكاك ما بين الفلسطينيين والمستوطنين، وتوفير الأمن والحفاظ على أرواح المواطنين. ذلك أن المستوطن فضّل سلوك الطريق القديمة، ذات الحفر والالتواءات الحادة، على أن يسلك الطريق الالتفافي الذي خصصته حكومته لأجل راحته، واختار موعد خروج الطلبة من مدرستهم، ليتوقف، ويطلق الرصاص، إعلاناً منه أن الاحتكاك متواصل، وأن الطرق الالتفافية لن تمنع المستوطنين من تنفيذ عمليات القتل وإرهاب المواطنين الذين يدفعون الثمن في أغلب الأحيان، على الرغم من أن تلك الطرق أقيمت على حساب أراضيهم بعد مصادرتها[103].

---

[102] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[103] **الرأي**، 1998/10/15، ص 36.

وفي تصريح مشفوع بالقسم للجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة (القانون)، أدلى به الطالب حمدي أحمد عبد الحليم (17 عاماً)، ويسكن بيتونيا، أفاد أنه وفي حوالي الساعة 12:10 من ظهر يوم الخميس 1998/9/17:

> كنت أنا ضمن 11 طالباً عائدين من المدرسة، ضمن مجموعتين، الأولى كان عددها 8 طلاب، والثانية عددها 3 طلاب، وأنا كنت ضمن المجموعة الثانية التي كانت تسير خلف المجموعة الأولى على بعد 30 متراً تقريباً. وعندما وصلنا إلى مفرق عين عريك، فوجئنا بتوقف سيارة مستوطن صالون لونها أخضر، وكانت مغبرة، وهي معروفة لدينا، لأن سائقها حاول دهسنا في مرة سابقة. ودون مقدمات، أطلق المستوطن رصاصة من سلاحه، باتجاه المجموعة الأولى ولم يصب أحد. وعندما قام بتصويب سلاحه مرة أخرى باتجاه المجموعة، هربت المجموعة وتفرقت، حينها أطلق رصاصتين أصابت إياد قرابصة بالناحية اليسرى من بطنه، وشاهدت الدم على قميصه الأبيض. وفي هذه الأثناء، سمعت صوت خمس رصاصات أخرى، أصابت إحداها عيسى جبارين، وقد فرّ بعدها المستوطن من المكان[104].

وفي الجانب الآخر من جرائم المستوطنين التي وثقتها مؤسسة الحقّ وجمعية القانون الفلسطينيتان، ومقرهما مدينتي رام الله والقدس:

- في 1993/12/4، وفي حوالي الساعة الثامنة صباحاً، أطلق مستوطن النار باتجاه سيارة عربية عن مسافة عشرة أمتار تقريباً، بالقرب من مستعمرة كريات أربع، مما أدى إلى استشهاد طلال رشدي البكري (54 سنة).
- في 1993/12/10، وفي حوالي الساعة الثانية ظهراً، قام اثنان من المستوطنين، بإيقاف سيارة تقل عمالاً من بلدة ترقومية في أثناء عودتهم من مكان عملهم، وذلك بالقرب من بلدة خاراس بقضاء الخليل، وقاموا بإطلاق النار على رؤوسهم، من مسافة لا تزيد عن بضعة سنتيمترات، مما أدى إلى مقتلهم وتطاير عظام جماجمهم، والشهداء هم: محمد عبد المهدي فطافطة (29 عاماً)، وهو أب لأربعة أطفال؛ وسعدي عبد المهدي فطافطة (31 عاماً)، وهو أب لأربعة أطفال؛ وإسحق محمود فطافطة (30 عاماً)، وهو

[104] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، **التقرير السنوي 1998**، القدس، ص 24-25.

أب لثلاثة أطفال. وقد اتصل مجهول بالشرطة الإسرائيلية، وأعلن أن حركة كاخ هي المسؤولة عن الحادث[105].

- في 2000/10/18، استشهد إبراهيم عبد الرحمن داود العلامي (25 عاماً)، من سكان قرية بيت أمر بقضاء الخليل، إثر إصابته بعيار ناري في الرأس، أطلقه عليه المستوطنون، بينما كان يسير على طريق التفافية بالقرب من الخليل.
- وفي 2000/10/19، استشهد زاهي فتحي خليل العارضة (35 عاماً)، من سكان مخيم عسكر بمدينة نابلس، إثر إصابته بعيار ناري في الصدر، أطلقه عليه المستوطنون بالقرب من بيته. وأفاد المواطن عبد الحميد محمود يونس، من سكان بلدة عسكر، لجمعية (القانون)، وهو طالب يدرس في جامعة النجاح، أنه شاهد مجموعة كبيرة من المستوطنين يحملون حقائب، على ما يبدو أنها حقائب مواد إسعاف وأدوية وذخيرة، يتجهون إلى عسكر البلد، ولم يصاحبهم جيش الاحتلال، فقد كان جيش الاحتلال يراقبهم من بعيد للحماية، وعندها بدأوا بإطلاق الرصاص بشكل عشوائي، وبدون سابق إنذار على الناس وعلى المنازل، وكانوا يبعدون عن أقرب منزل مسافة تتراوح ما بين 70-100م تقريباً، ولكنهم كانوا قريبين من الناس الذين يقطفون أشجار الزيتون، حيث قاموا بإصابة العديد من الفلسطينيين الذين كانوا بعيدين عن المنطقة. وكان الشهيد زاهي العارضة، آنذاك، بعيداً أيضاً عن موقع المواجهات، حيث أصيب برصاصة قاتلة في بطنه، أردته على الفور.
- في 2000/12/17، استشهد الفتى محمد حامد علي شلش (18 عاماً)، من سكان قرية شقبا بمنطقة رام الله والبيرة، إثر إصابته بعيارين ناريين بالرأس على يد مستوطنين.
- وفي الساعة 8:30 من مساء يوم السبت الموافق 2001/3/3، أطلق مستوطن عياراً نارياً باتجاه الشاب أحمد حسن علان (25 عاماً)، بينما كان عائداً في سيارته الخاصة من عمله في مدينة رام الله إلى منزله في قريوت، فأصابه في رأسه، مما أدى إلى وفاته على الفور.
- وفي صباح يوم الأحد الموافق 2001/6/3، استشهد الشقيقان عايد محمد أبو عيدة (37 عاماً)، وزياد محمد أبو عيدة (30 عاماً)، من بلدة دورا في الخليل، في حين أصيب شقيقهما الثالث زيدان (28 عاماً) بإصابة بالغة. وأفاد الجريح زيدان أبو عيدة أنه في

[105] **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 17، شتاء 1994، ص 21-22، نقلاً عن: أضواء على حقوق الإنسان خلال العام 1993، مؤسسة الحق، رام الله.

حوالي الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد الموافق 2001/6/3، غادر مع شقيقيه منزلهم في بلدة دير دبوان برام الله، بسيارة شحن كان يقودها بنفسه، وعندما وصلوا إلى الأراضي الزراعية على طريق الشيخ عمار شرقي مدينة رام الله، منعهم جنود الاحتلال من المرور، فقرروا العودة إلى الطريق الالتفافية بين مستعمرة عوفرا ومدينة القدس. وعندما وصلوا إلى مفترق قرية برقة، كان عدد من المستوطنين يقفزون على رصيف الشارع قرب حاجز عسكري ثابت هناك. وفي هذه الأثناء، أطلق المستوطنون النار على السيارة، ففقد السيطرة عليها، مما أدى إلى ارتطامها بعمود كهرباء ثم انقلابها. وقد توفي عايد، متزوج وأب لثمانية أطفال؛ وزياد، متزوج وأب لسبعة أطفال، على الفور، في حين أصيب زايد، متزوج وأب لطفل في الشهر السادس من عمره.

- ارتكبت عصابات المستوطنين مساء يوم الخميس الموافق 2001/7/19، مجزرة وحشية، عندما أقدم مستوطنون على إطلاق النار من أسلحة رشاشة على أفراد عائلة فلسطينية من بلدة إذنا، غرب مدينة الخليل، مما أسفر عن استشهاد ثلاثة منهم، وإصابة خمسة آخرين، وصفت إصابة بعضهم بالخطيرة جداً. واستناداً إلى توثيق جمعية (القانون)، فإنه في حوالي الساعة 9:15 من مساء اليوم المذكور، وبينما كان عدد من أفراد عائلة طميزي، عائدين من عرس في بلدة إذنا إلى منزلهم الواقع على مفترق إذنا – ترقوميا، فتح عدد من المستوطنين النار من مسافة خمسة أمتار على سيارتهم بصورة مكثفة، مما أدى إلى استشهاد محمد حلمي مسلم طميزي (23 عاماً)، ومحمد سلامة موسى مسلم طميزي (22 عاماً)، متزوج منذ شهر ونصف، والرضيع ضياء مروان حلمي مسلم طميزي (ثلاثة شهور).
- في تمام الساعة 6:10 من صباح يوم الأربعاء الموافق 2001/8/29، أطلق مستوطنون، من داخل سيارة مسرعة، النار باتجاه سيارة فلسطينية كانت تقل ثلاثة مواطنين من عائلة واحدة، وتسير على الشارع الالتفافي الموصل بين مستعمرة معاليه أدوميم، شرقي مدينة القدس، ومستعمرة علمون Almon، شمالي شرق المدينة، مما أسفر عن استشهاد الشاب حيدر تقي جدوع عبد الجبار الخطيب (28 عاماً)، وإصابة والده وشقيقه بجراح[106].

[106] جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال.

- كما استشهد مساء يوم الخميس الموافق 2002/1/31، لؤي أحمد موسى عديلي (16 عاماً)، من قرية أوصرين جنوبي شرق مدينة نابلس، جراء إصابته بعيار ناري في الرأس، أطلقه مستوطن من مسافه صفر. واستناداً إلى تحقيقات جمعية (القانون) بهذه الحادثة اتضح أن مجموعة من الأطفال والفتيان من قرية أوصرين المحاذية للشارع الاستيطاني "شارع ألون"، الموصل ما بين مفترق زعترة جنوبي مدينة نابلس ومستعمرات الأغوار، قاموا برشق الحجارة باتجاه سيارات المستوطنين التي تستخدم هذا الشارع في حوالي الساعة 4:30 من مساء اليوم المذكور. وفي هذه الأثناء، أوقف أحد المستوطنين سيارته، وترجل منها حاملاً بندقية من نوع عوزي، وأطلق منها عياراً نارياً باتجاه جبين الفتى عديلي من مسافة صفر، فاخترق العيار رأسه ونفد من الخلف، واستشهد على الفور[107].

يتضح من خلال العرض السابق، أن حمل المستوطنين للسلاح إنما يشكل خطراً حقيقياً على حياة الفلسطينيين، بدأ يأخذ منحنى أقوى وأسرع في أعقاب تولي بنيامين نتنياهو رئاسة الحكومة الإسرائيلية في سنة 1996، على الرغم من محاولة المستشار القضائي السابق للحكومة الإسرائيلية أمنون روبنشتاين Amnon Rubinstein وضع تعليمات صارمة بشأن التعامل مع المستوطنين الذين يرتكبون جرائم القتل ضدّ الفلسطينيين، وذلك ناجم من تعامل الحكومة الإسرائيلية المهادن جداً، خاصة بعد تولي أريل شارون رئاسة الحكومة.

ويستدل من معطيات التقرير السنوي للمركز القانوني للدفاع عن الأراضي التابع للجنة الوطنية لمواجهة الاستيطان لسنة 1999، أن المستوطنين ارتكبوا 45 حالة إطلاق نار، بينها 47 بمنطقة الخليل، و42 بمنطقة نابلس، و41 بمنطقة القدس، و15 بمنطقة رام الله، وثلاثة بمنطقة جنين، وحالتان في بيت لحم، وحالة واحدة في كل من: طولكرم، وأريحا، والأغوار، وداخل المناطق المحتلة منذ سنة 1948[108].

إن الجرائم الدموية التي يرتكبها المستوطنون آخذة بالازدياد، ومرد ذلك في أساسه إلى استلامهم السلطة بصورة غير رسمية، ودون تكليف من الحكومة وهيئاتها الإدارية. إذ شهدت مراكز الشرطة زيادة بنسبة 13% في عدد الشكاوى المقدمة من

[107] المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، التقرير الأسبوعي: 27 ديسمبر 2001-2 يناير 2002.

[108] **الدستور**، العدد 11637، 2000/1/2، ص 29.

قبل فلسطينيين ضدّ مستوطنين اعتدوا عليهم أو على أملاكهم. وشهدت ساحة الاعتداءات على الفلسطينيين من قبل إسرائيليين زيادة بنسبة 68% سنة 1999. إذ بلغت الملفات الجنائية التي تمّ فتحها 42 ملفاً، بينما في الفترة الموازية من سنة 2002 كان عددها 25 ملفاً فقط[109].

قام المستوطنون ظهر الخميس 2011/1/27، بمهاجمة مزارعي قرية عراق بورين بالرصاص الحي، مما أدى لاستشهاد عدي ماهر قادوس (19 عاماً)، بعد أن وصل إلى مستشفى رفيديا بالمدينة وهو مصاب بجراح خطرة جداً نتيجة إصابته بأربع رصاصات، ثلاثة في جسده وواحدة في وجهه، وما لبث أن لفظ أنفاسه الأخيرة. وتعدّ منطقة جنوب نابلس منطقة ذات كثافة استيطانية كبيرة، ويقطن في المستعمرات الموجودة في محيط نابلس ما يزيد عن 30 ألف صهيوني، يتعمدون بشكل شبه يومي الاعتداء على الفلسطينيين وأراضيهم وممتلكاتهم[110].

وأقدم مستوطن بعد ظهر يوم الإثنين 2011/3/21، على إطلاق النار على مجموعة من المواطنين الفلسطينيين، خلال مشاركتهم بجنازة أحد المواطنين في بلدة بيت أمر بشمال مدينة الخليل. وقال شهود عيان إن المستوطن أطلق الرصاص عند اقتراب المشيعين من مقبرة البلدة، حيث كان واقفاً على الشارع الرئيسي المجاور للمقبرة، مما أدى لإصابة مسن بجراح خطرة، إثر إصابته بعيار ناري في رقبته، كما أصيب مواطن آخر بعيار ناري في الفخذ. وقد حضرت قوات كبيرة من جيش الاحتلال إلى المنطقة وأغلقت المدخل الرئيسي للبلدة، وقامت بالاعتداء على المواطنين والتنكيل بهم، ومنعتهم في الوقت نفسه إكمال عملية تشييع جثمان المتوفى[111].

كما استشهد أيسر ياسر فواز الزبن (16 عاماً) بعدما بقي ينزف لثلاث ساعات إثر إصابته في وقت متأخر من مساء الخميس 2011/5/13 بعيار ناري اخترق ظهره واستقر في القلب، بعدما أطلق مستوطنون النار نحو مجموعة من الفتية في منطقة وادي الحرامية برام الله. وادَّعت قوات الاحتلال أن الأطفال رشقوا سيارة للمستوطنين بالحجارة، وأن هؤلاء ردوا عليها بإطلاق النار[112].

---

[109] جوني منصور، **مرجع سابق**، ص 73.

[110] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/1/27.

[111] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/3/21.

[112] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/5/14.

عند حصول اعتداء فلسطيني على مستوطن، فإن الشرطة وأجهزة الأمن الأخرى تتحرك بسرعة، وتنفذ اعتقالات، وتهدم بيوتاً، وتغلق قرى، وتقطع طرقات، وغيرها من طرق القمع. وأما في حالة اعتداء مستوطن على فلسطيني، فإن أجهزة فرض النظام والقانون تتباطأ في معالجة الاعتداء، أو إلقاء القبض على المعتدي وتقديمه للتحقيق أو المحاكمة.

وقد كشف مركز المعلومات في منظمة بتسيلم، أن المدعي العام في الشرطة يبدأ بالتحقيق في شكوى مقدمة من فلسطيني ضدّ مستوطن بعد خمسة أشهر إلى سنة ونصف من تقديم الشكوى. ولهذا، فعندما تريد الشرطة القيام بالتحقيق في ملابسات الشكوى، فإنها، أي الشرطة، تواجه صعوبات كثيرة، بسبب طول الفترة الزمنية الفاصلة بين وقوع الحادث والشروع بالتحقيق.

والواقع أن قوى الأمن والاستخبارات العامة تعاملت بكفوف حريرية مع المستوطنين، في حالات كثيرة، إذا لم نقل في معظمها. وبناء عليه، فإن الاعتقالات التي كانت تنفذها هذه الأجهزة، وإطلاق سراح المعتقلين بسرعة، دون توجيه كتب اتهام أو دعاوى بالإخلال بالنظام العام، تركت انطباعاً أن هذه الأجهزة متعاطفة مع المستوطنين، وأنها، أي الأجهزة، غير معنية في التصادم معهم، كي لا تظهر بمظهر المعادي للمشروع الاستيطاني الذي تتبناه الحكومات الإسرائيلية على مرّ السنين، والذي لم تعلن أي حكومة إسرائيلية، حتى الآن، عن تخليها التام، والكلي، والنهائي، عن المشروع الاستيطاني[113].

2. اقتحام القرى وإرهاب السكان:

المستعمرات الكبيرة لها وظيفة أمنية رئيسية، إذ أن كل واحدة منها، مثل إيلون موريه وشاكيد Shaked وكرني شومرون وأريل، تتبعها عدة مستعمرات تعاونية في الجوار. وكل منها محمي من خلال جنود الدفاع القطري، وهم جميعاً جنود احتياط من سكان المنطقة ويقضون فترة خدمتهم الاحتياطية في حراستها. ولدى كل بؤرة، أجهزة اتصال حديثة ومتطورة، وعدد كبير من الخرائط والرموز السرية والشيفرية، وخطوط هاتف خاصة تعمل طيلة 24 ساعة.

[113] جوني منصور، **مرجع سابق**، ص 75-76.

أما في القرى التعاونية التابعة لتلك البؤر، فهناك ضابط أمن دائم، لديه جهاز اتصال حديث، وسيارة عمل لمراقبة وضع القرية بصورة دائمة، ويتوجب أن يكون أولئك ضباط سابقين في الوحدات المقاتلة، برتبة قائد سرية أو كتيبة أو أعلى. وأما أسلحة تلك البؤر وذخائرها، فتصلها عن طريق الجيش الإسرائيلي، حيث يوقع كل مستوطن على استمارة السلاح الذي بحوزته، إضافة إلى وجود مخزن سلاح في كل بؤرة، هذا إضافة إلى جميع وسائل الخدمات العامة، مثل السيارات والإسعاف والإطفائيات وناقلات المياه[114].

وفي أعقاب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، تمّ تشكيل بؤرة مدنية خاصة، ترتبط بالبؤر العسكرية آنفة الذكر بأجهزة اتصال متطورة، وتقوم هذه البؤرة، بتقديم التقارير لرئاسة البؤر حول الأماكن التي تسودها مظاهرات، ومكان رشق الحجارة ووقته، والطرق التي يقوم العرب بوضع حواجز عليها، ومكان تواجد قوات الجيش الإسرائيلي. وتقوم هذه البؤر بتجميع المعلومات من المستوطنين المسافرين على الطرق، ويمكنها، حين اللزوم، طلب النجدة من الجيش الإسرائيلي[115].

ولكن، هل استطاعت المستعمرات، أن تؤدي الدور الأمني المطلوب منها، والذي من أجله أقيمت؟ وما هي تجليات الانتفاضة الفلسطينية في هذا الجانب؟ يعتقد رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق إسحق رابين، أن المستعمرات في قطاع غزة، وموقعها، ساعد في حدوث مواجهات أقل مع السكان، قياساً إلى الضفة الغربية. ويقول الحاخام ليفنغر في الموضوع ذاته: "لقد أثبتت المستوطنات على وجه الخصوص، خلال فترة الانتفاضة، مدى حيوية وجودها وانتشارها في المناطق، وذلك نظراً لأن الأحداث الأخيرة أثبتت أن الانتفاضة كانت في المناطق القليلة أو الخالية من المستوطنات، أعنف من تلك التي تتواجد فيها المستوطنات"[116].

لكن الحقائق المادية العديدة اضطرت رابين، وتحت تأثير الضربات القوية للانتفاضة، أن يوجه النصائح إلى المستوطنين بأن يخرجوا منها إذا كانوا لا يستطيعون الصمود أمام نار الانتفاضة، حيث قال أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست: "إن أولئك

---

[114] حسام شحادة، **مرجع سابق**، ص 161.

[115] **المرجع نفسه**، ص 161-162.

[116] حسام شحادة، **مرجع سابق**، ص 162، نقلاً عن: **هآرتس**، 1988/6/29.

الذين ليسوا على استعداد للتكيف مع صراع طويل، عليهم أن يستخلصوا نتائجهم الشخصية حول وضعهم، وأن يخرجوا من المناطق". بل، إن ليفنغر نفسه، عاد ليقول: "هل نحن قادرون على مواجهة بهذا الحجم"[117].

الأمر الذي يعني، أن الوظيفة الأمنية التي على أساسها، ومن أجلها أقيمت هذه المستعمرات، اهتزت بشكل كبير في عصر الانتفاضة، وتحولت من مواقع دفاع وحماية إلى عبء أمني ثقيل. وفي هذا السياق، يقول يورام روبنشتاين Yoram Rubinstein:

> قيل لنا إن تواجد اليهود بين القرى العربية سيضاعف من قوة الردع الإسرائيلية، ثم جاء الواقع وأوضح أن هذه المستوطنات لا حول لها ولا قوة ولا أهمية، فوجود مستوطنات يهودية وسط سكان عرب معادين لا يساعد الجيش الإسرائيلي، بل يحتم عليه انتشاراً غير سليم لقواتنا، من أجل توفير الحماية للمستوطنات. ولم يزد المستوطنون من قوة ردعنا، وليس هذا فحسب، بل إنهم أدوا أكثر من أي عامل آخر إلى غليان قومي متطرف معادٍ لإسرائيل[118].

أتاح الجيش الإسرائيلي للمستوطنين مجالاً واسعاً لأن يكونوا جيشاً رديفاً وموازياً في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، واعتمد في كثير من الأحيان على الجماعات الاستيطانية المسلحة للقيام بعمليات قمع محددة للمشاركين في المسيرات والمظاهرت، وخاصة في الفترات التي يزداد فيها نقد الإعلام العالمي لممارسات الجيش الإسرائيلي.

تشترك المجموعات الاستيطانية جنباً إلى جنب مع الشرطة الإسرائيلية في قمع المتظاهرين العرب. ليس هذا فحسب، بل يتعمد المستوطنون التحرش بهؤلاء المتظاهرين واستفزازهم، كإطلاق الرصاص عليهم أو ملاحقتهم بالكلاب البوليسية أو قذفهم بقنابل دخانية، وذلك لحمل المتظاهرين على الردّ عليهم، وبالتالي تأليب رجال الشرطة، أكثر فأكثر، للتعامل مع المتظاهرين بأقصى قدر من الوحشية والقمع، اللذين وصلا، في كثير من الأحيان، حدّ إطلاق النار مباشرة على المتظاهرين، لا بقصد تخويفهم وتفريقهم، ولكن بقصد قتلهم.

---

[117] **المرجع نفسه**.

[118] مجلة **الملف**، العدد 52/4، المجلد 5، تموز/ يوليو 1988، ص 248.

وهذا يعني، إعطاء المستوطنين الضوء الأخضر للقيام بعمليات قمع، تصورها سلطة الاحتلال على أنها مجرد اشتباكات بين مدنيين يهود وعرب، لا دخل للجيش فيها. ولا بأس أن يتدخل الجيش بعد ذلك لفضّ الاشتباك، بعد أن يكون قد حقق الغرض منه. والمقصود بذلك، إبعاد الجيش عن الصورة التي تبدو كأنها عمليات عنف متبادل بين العرب والمستوطنين.

وقد ثبت أن بعض المسؤولين الإسرائيليين يحرضون المستوطنين صراحة ضدّ العرب، خلال الجولات التي يقومون بها في بعض المستعمرات. ومن ناحية أخرى يواجه الجيش الإسرائيلي، في بعض الأحيان، مآزق متعددة نتيجة مغالاة بعض المستوطنين في ممارسة القمع ضدّ العرب، بحيث تؤدي هذه المغالاة إلى ردّ فعل عكسي، تخشاه القيادة العسكرية، فتضطر إلى التدخل لوضع حدٍّ لسلوك هؤلاء المستوطنين. ويواكب ذلك، إصدار تصريحات انتقادية لهذا السلوك، يجري الترويج لها إعلامياً.

كما يتعرض الجيش، أحياناً، لانتقادات حادة من بعض الجماعات الاستيطانية التي تتهمه بـ"التسامح" مع ما تسميه بـ"الإرهاب العربي". وقد حدثت بعض المشكلات أيضاً، بين الجيش والمستوطنين، بسبب إطلاق بعض جماعاتهم النار بطريق الخطأ على جنود إسرائيليين في الظلام، ظناً أنهم من العرب. وأثارت الحوادث القليلة من هذا النوع بعض القلق في الأوساط الإسرائيلية الرسمية، التي خشيت أن تكون بروفا لمواجهات مقصودة في المستقبل، إذا حدث خلاف بين الجيش والمستوطنين.

كما تشمل هذه المخاوف، المدى الذي يمكن أن يصل إليه المستوطنون في فرض قوانينهم الخاصة أو أخذ القانون بأيديهم، كما يقال. ومع ذلك، لم يتخذ الجيش الإسرائيلي إجراءات جدية تجاه مغالاة المستوطنين في عملياتهم المسلحة إلا في مرات قليلة للغاية، تمّ خلالها نزع سلاح أعداد محدودة منهم. وقد تعرض هذا السلوك لانتقادات واسعة على الصعيد الدولي، وصفته صحيفة فاينانشيال تايمز Financial Times في أيار/ مايو 1988، بأنه يشبه مسلك "عصابات الغرب المتوحش في الأفلام الأمريكية".

تعدّ المدن والقرى العربية القريبة من المستعمرات، الهدف الأول والأسهل لهجمات المستوطنين، ومنها مثلاً مدينة الخليل، التي تعدّ هدفاً دائماً لمستوطني كريات أربع، وقرية خربتا المجاورة لمستعمرة فيلي. وتتخذ هذه الهجمات أشكالاً متعددة، مثل دخول

المدن أو القرى ومحاولة إضرام النيران فيها، أو إطلاق الرصاص على سكانها، وتدمير منازل وسيارات ومحلات.

كما تشمل الهجمات اقتلاع أو تجريف أشجار الزيتون والحمضيات، وإشعال النيران في حقول القمح. وفي هذا الإطار، يبعث المستوطنون أحياناً برسائل تهديد للسكان العرب، ويوزعون منشورات تحضّ على الانتقام منهم وتوجيه أقصى الضربات لهم.

ويمكن الإشارة، مثلاً، إلى منشور وزعته منظمة يدف جدعون، ونشرته بعض الصحف الإسرائيلية، وجاء فيه: "لقد نفذ صبرنا، ولذلك فأنت مدعو لضرب أية سياسة عربية، وطرد كل العرب من أي مكان يوجد به يهود... اضربوهم في الشوارع... اضربوهم في الأماكن التي يقيمون فيها وينامون"[119].

في ضاحية البريد بشمالي القدس، قام نحو 200 مستوطن مسلح، تجمعوا من عدة مستعمرات، بأعمال شغب، حيث لوحوا بأسلحتهم، ورفعوا الأعلام الإسرائيلية، وأضرموا النار في إطارات السيارات، وأغلقوا مدخل الضاحية بحاويات القمامة. وطالب هؤلاء سلطات الأمن باقتحام الضاحية لضبط كميات من الأسلحة المخبأة، وأعلن المستوطنون أنهم ينتمون لفصيل استيطاني يدعى "شعب إسرائيل حيّ".

وفي بلدة عنبتا وقرية برقة ومخيم نور شمس، قام نحو 150 مستوطناً، كانوا يستقلون عشرين سيارة، باقتحام عنيف، حيث أطلقوا النار في الهواء وهتفوا في مكبرات الصوت: نحن هنا وسنبقى إلى الأبد، وبعد تدخل قوات الجيش، أخلى المستوطنون هذه القرى.

وتكررت مثل هذه الغارات الاستعراضية والاستفزازية في الوقت نفسه، في وسط مدينة الخليل، وكذلك في قريتي بيت كاحل والسموع، حيث نجمت عنها أضرار فادحة بالسيارات والممتلكات. وصحيح أن الجيش يتدخل إذا زادت الأمور عن حدها، لكنه لا يفعل شيئاً ملموساً لردع المستوطنين[120].

طلبة كلية العلوم والتكنولوجيا في بلدة أبو ديس، قاموا يوم 1998/12/7، بمسيرة صامتة في البلدة للتعبير عن تضامنهم مع الأسرى الفلسطينيين، ولكن المستوطنين الذين تحرسهم إحدى الدوريات التابعة لقوات حرس الحدود الإسرائيلية تعمدوا

---

[119] **الشرق الأوسط**، العدد 4593، 1991/6/26، ص 2.

[120] صحيفة **الشعب**، الأردن، 1992/12/15.

الاحتكاك بالمسيرة، وإطلاق الرصاص العشوائي عليها، حيث أصيب عدد من الطلبة بجراح مختلفة[121]. وبعد نحو ساعتين من انتهاء المسيرة وتفريقها، كان الطالب الجامعي ناصر محمد خالد عريقات (21 عاماً) يقف على باب منزله بالبلدة، وهو يحمل كتبه الجامعية، ودون أي دواعٍ حصلت، صوّب مستوطن بندقيته مباشرة إلى رأس ناصر عريقات، وعلى بعد أقل من عشرة أمتار أطلق الرصاص عليه بصورة متعمدة، وأصابه في رأسه بعيار قاتل، أدى إلى تهشيم جمجمته وتناثر دماغه للخارج بوضوح تام، ففارق الحياة مساء يوم 1998/12/9[122].

أما في بداية انتفاضة الأقصى المبارك، فقد عاشت القرى ليالي رعب حقيقي، بعد إطلاق يد المستوطنين ليعيثوا الفساد، فالقرى تحت رحمتهم، يقتحمونها ويعتدون على سكانها العزل، ذلك أن المستوطنين لم ينتظروا المهلة الزمنية التي منحها رئيس حكومتهم إيهود باراك للفلسطينيين، وخرجوا في عتمة الليل (6-2000/10/7) في القرى والبلدات الفلسطينية في أكثر من موقع من محافظات الضفة الغربية، ليدبوا الرعب في قلوب الأطفال.

فقد حمل المستوطنون من مستعمرة أريل أسلحتهم، واحتلوا الشارع الرئيسي الذي يطلقون عليه (عابر السامرة)، ونصبوا الحواجز، وأوقفوا سيارات الفلسطينيين، ورشقوهم بالحجارة. وكان لقرية بديا، التي يشرف بعض بيوتها على الشارع العام، النصيب الأكبر من اعتداءات المستوطنين الذين حاولوا اقتحام القرية، وإضرام النيران في بعض المنازل. وعندما خرج الأهالي لصدهم سقط الشاب فهد بكر (22 عاماً) جراء رصاصة من أحد المستوطنين استقرت في رأسه.

وعاشت الأراضي الفلسطينية برمتها ليلة رعب وإرهاب لم تشهد لها مثيلاً، حتى في ذروة الانتفاضة الكبرى، فالمستوطنون الذين انفلتوا إلى الشوارع لمهاجمة سيارات الفلسطينيين وتكسير كل ما تطاله أيديهم، بما في ذلك رؤوس الآداميين بحجارتهم التي كانوا يقذفونها بثبات وطمأنينة، خصوصاً أن الجنود وفروا لهم الحماية والغطاء، وانضموا إليهم في غير موقع.

---

[121] **القدس العربي**، العدد 2979، 1998/12/8، ص 5.

[122] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، **التقرير السنوي 1998**، ص 27.

ووصلت الاعتداءات إلى منازل الفلسطينيين العزل الذين لم يعرفوا أين يمكن أن يخبئوا أطفالهم، من وحشية هؤلاء الذين هاجموهم في عقر دارهم في عتمة الليل، حيث لا وجود حتى لعدسات الكاميرا لتوثق هذه المشاهد التي تقشر لها الأبدان، فالشبان خرج بعضهم في ملابس النوم، والبعض الآخر دون أن يتمكن من ارتداء كامل ملابسه، في محاولة يائسة لصدّ الهجوم الوحشي.

والمشهد تكرر في قرية مسحة، التي أحرقوا فيها ثلاثين متجراً، كانوا قبل عشرة أيام فقط، يأتون لابتياع حاجاتهم منها، كما تكرر في زعترة وكفل حارس وعصيرة القبلية ومادما وسلفيت وغيرها.

وما إن بزغ الفجر، حتى اتسع نطاق الاعتداءات، وتحول المستوطنون من أريل وعوفرا وإيلون موريه، إلى قطّاع طرق حقيقيين، يمنعون أي فلسطيني من المرور في الشوارع التي استولوا عليها. ووقفت طوابير السيارات الفلسطينية على امتداد مئات الأمتار، تحت رحمة المستوطنين الذين أمروا السائقين بالعودة من حيث أتوا... وإلا فالويل الويل!.

أما في مدينة البيرة، التي تقع في معظمها تحت السيطرة الفلسطينية الكاملة، فمشهد الاعتداء يختلف قليلاً: المستوطنون من مستعمرتي بسجوت Psagot وكوخاف يعقوف Kochav Ya'akov يتفننون في إرهاب الأهالي، إذ تمرّ زخات الرصاص المضيء في عتمة الليل فوق الرؤوس المحتمية بالبيوت، التي تهتز من أصوات الرصاص من عيار 500 و800، وكأن حرباً حقيقية قد قامت[123].

كذلك، لم ينجُ الفلسطينيون من بطش المستوطنين حتى في يوم الغفران، اليوم الأقدس لدى اليهود، الذي يطلبون فيه من الله أن يغفر لهم ذنوبهم. ففي الأحياء والقرى العربية الممتدة بين رام الله والقدس، وعلى مدى خمس ساعات، شهدت هذه المنطقة ما يشبه حرب شوارع، بين أكثر من 300 مستوطن، خرجوا من المستعمرات المحاذية لحي الشيخ جراح والمصرارة.

قوات الشرطة الإسرائيلية، التي لا يبعد مقرها عن موقع الاشتباكات سوى أمتار، امتنعت عن التدخل ولجم المستوطنين، بل سارعت إلى نجدة هؤلاء، عندما رصدت

[123] **الحياة**، العدد 13725، 2000/10/9، ص 4.

تراجعاً من المستوطنين تحت وابل الحجارة والزجاجات الحارقة، التي أمطرهم بها المتظاهرون الفلسطينيون.

ولم يثنِ يوم الغفران مستوطني إيلون موريه من الخروج من المستعمرة، والاعتداء على المواطنين في قرية سالم، والتنكيل بهم، وسدّ الطريق بوجوههم، وإضرام النيران في سياراتهم[124].

وفي قطاع غزة، أحرق عشرات المستوطنين، وبحراسة جنود إسرائيليين ومساعدتهم، عشرين شاحنة فلسطينية عند معبر صوفيا Sofa Sufa، قرب خان يونس، وحطموا نحو سبعين شاحنة أخرى، كانت تقف عند معبري كارني Karni وإيريز Erez، وخطفوا ثلاثة شبان فلسطينيين في منطقة المواصي، قرب شاطئ مدينة خان يونس[125].

مثال آخر، لهذا الشكل من إرهاب المستوطنين، وهذه المرة من قرية سنجل، شمال مدينة رام الله، حيث قامت مجموعات من المستوطنين باقتحام القرية في حوالي الساعة السابعة من صباح يوم الأحد الموافق 2001/5/13، وأحرقوا شاحنة مع رافعة، وحطموا كميات من الطوب داخل معمل، تحت سمع وبصر جنود الاحتلال، الذين لم يحركوا ساكناً لإخضاع المستوطنين للقانون.

وفي حوالي الساعة السابعة من صباح يوم الأربعاء الموافق 2001/6/6، انتشرت أعداد كبيرة من المستوطنين في شوارع قرية الساوية، رافقتهم قوات من الجيش الإسرائيلي، وشاركتهم في إطلاق النار على منازل القرية، مما أشاع أجواء من الهلع والرعب في نفوس المواطنين.

وبعد نحو ساعتين، بدأ المستوطنون باقتحام عدد من المنازل، وإحراقها وتحطيم نوافذها وأبوابها وأثاثها، وإشعال النيران في الأراضي الزراعية والمشاتل. كما تعرضت ثلاث مدارس في قريتي الساوية واللبن الشرقي للاقتحام من قبل المستوطنين، الذين حطموا نوافذها وأبوابها وأشعلوا النيران في اثنتين منها.

وفي أعقاب هذه الاعتداءات، خرج المواطنون من منازلهم لردّ اعتداءات المستوطنين عليهم، والتي تمت تحت سمع وبصر وحراسة قوات الاحتلال، فأطلق جنود

[124] **الحياة**، العدد 13726، 2000/10/10، ص 5.

[125] **الحياة**، العدد 13727، 2000/11/9، ص 5.

الاحتلال الأعيرة النارية والمطاطية باتجاه المواطنين، وأسفر ذلك عن إصابة ثمانية منهم بجروح ورضوض.

كما اقتحمت 15 سيارة تابعة للمستوطنين في مستعمرة مجدليم Migdalim، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس، قرية قصرة المجاورة، وأطلقوا النار باتجاه عدد من منازل القرية، وحطموا زجاج منزلين، وأثاروا حالة من الرعب والفزع في نفوس الأطفال والنساء[126].

وفي الأعوام اللاحقة، وتحديداً في الفترة 2005-2011، تكررت وبشكل يومي الاعتداءات والجرائم التي يقترفها المستوطنون في قرى الضفة الغربية ومدنها، تحت حماية مشتركة من الاحتلال الصهيوني وقوات أمن السلطة، التي عجزت عن المساس بالمستوطنين مهما اقترفوا من جرائم. وتنوعت هذه الاعتداءات، بين تنفيذ اعتداءات يومية مباشرة ضدّ الأهالي والمزارعين وحقولهم وبين إجراءات وقرارات تنفذها سلطة الاحتلال لصالح المستوطنين من مصادرة أراضٍ وتخريبها، حتى بات المستوطنون وجرائمهم جحيماً يلاحق الأهالي في القرى والحقول القريبة والبعيدة عن المستعمرات.

ففي طريقة جديدة على قائمة الاعتداءات التي ينتهجها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم في الضفة الغربية، أقدمت مجموعة من المستوطنين على حرق العشرات من الخراف لمزارع فلسطيني، كان يرعى خرافه في منطقة الطويل الواقعة شرق قرية عقربا، حيث قدرت الخسائر بأكثر من 8,500 دينار أردني.

كما اندلعت مواجهات عنيفة في بلدة قصرة، جنوب نابلس، بين المواطنين الفلسطينيين وعشرات المستوطنين بعد ظهر يوم الخميس 2011/1/13، عقب اقتحامهم للبلدة بحماية من جيش الاحتلال، حيث أطلقوا عيارات نارية عشوائية باتجاه المواطنين الآمنين في أعمالهم ومنازلهم، ورشقوهم بالحجارة، وأحرقوا سيارة، واعتدوا بالضرب على كل من صادفهم من المواطنين، مما أدى لإصابة ستة مواطنين بجراح.

وقد باتت قرية عراق بورين جنوب غربي مدينة نابلس مسرحاً لهجمات المستوطنين وبلطجتهم، وكان آخر ضحاياهم الشهيد عدي قادوس، إذ أن أعداداً كبيرة من المستوطنين

[126] جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال.

يخرجون بشكل يومي من مستعمرتي يتسهار وبراخا Bracha، ويحاولون اقتحام القرية إلا أن المواطنين يتصدون لهم، ويمنعونهم من التقدم داخل قريتهم، بعد رجمهم بالحجارة، فيما يقوم جنود الاحتلال عادة بإطلاق قنابل الغاز والرصاص المطاطي على المواطنين، مما يؤدي إلى وقوع عدة إصابات وحالات اختناق في صفوفهم.

وعن حادثة استشهاد الفتى عدي قادوس، يقول المواطن محمد عبد الله من القرية: "بينما كان عدي يفلح أرضه، هاجمه المستوطنون وأطلقوا النار عليه وقتلوه بدم بارد، وهو ليس الشهيد الأول ولن يكون الأخير، نتيجة عدم وضع حدّ لإجرام المستوطنين، فالسلطة تقوم باعتقال كل من يوجد لديه قطعة سلاح، وتلاحق رجال المقاومة في القرية، وهو ما يشجع ويتيح المجال للمستوطنين لمواصلة إجرامهم".

ويؤكد أهالي القرية بأن قوات الاحتلال لم تحاول إبعاد المستوطنين عن محيط قرية عراق بورين، بل قامت بحمايتهم خلال هجومهم على القرية، وأن المستوطنين يواصلون اعتداءاتهم على القرية منذ فترة طويلة بشكل متواصل وخاصة في أيام السبت، حتى بات وكأنه تقليد استيطاني. وقد أصيب عدد من رعاة الأغنام وسائقي المركبات في هجمات بالحجارة نفذها مستوطنون من مستعمرة براخا.

عشرات المستوطنين المدججين بالأسلحة الرشاشة هاجموا قرية صافا، شمال مدينة الخليل، ودخلوا بين منازلها وبدأوا بإطلاق النار بشكل عشوائي، مما أدى إلى إصابة اثنين من السكان على الأقل، أحدهما في حالة خطيرة.

وألحق المستوطنون خراباً واسعاً وخسائر كبيرة بأراضي المواطنين في كل من قرى: حوسان، ووادي فوكين، ونحالين، غرب بيت لحم، بعدما قاموا يوم الخميس 2011/2/3 بضخ المياه العادمة وزرع أعمدة كهرباء كبيرة فيها. وقال رئيس المجلس القروي في نحالين إن أراضي منطقتي عيد فارس والكبارات المزروعة بأشجار الزيتون والعنب واللوزيات، تدفقت عليها المياه العادمة القادمة من مستعمرة بيتار عيليت وألحقت بها خسائر فادحة.

وشنّ مستوطنون مساء يوم السبت 2011/2/19 هجمات على منازل فلسطينية في البلدة القديمة وسط الخليل، مما تسبب بإصابة مواطن وإحداث أضرار مادية في بعض المنازل، بينما اقتحم غلاة المستوطنين من مستعمرة مسكيوت في الأغوار الشمالية منازل المواطنين في منطقة وادي الحلوة واعتدوا عليهم، وخاصة النساء، بالضرب المبرح في ساعات الليل.

واقتحمت قوات الاحتلال الصهيوني قرية طلوزة، شمال شرق نابلس، بعد ظهر يوم الثلاثاء 2011/2/22، وقامت بتمشيط شوارعها، في الوقت الذي هاجم فيه المستوطنون قريتي التوانة وبورين جنوبي الخليل ونابلس، حيث قاموا بتدمير عشرات الأشتال الزراعية في المنطقة، بالإضافة إلى إصابة عدد من الفلسطينيين بجروح ورضوض.

وفي اليوم التالي، واصل المستوطنون ممارساتهم الإجرامية، بدعم من جيش الاحتلال، حيث أحرقوا سيارتين لفلسطينيين في قرية بورين، كما ألقوا عدداً من الزجاجات الحارقة على منزل شرقي القرية، الأمر الذي أدى لإصابة عدد من الفلسطينيين بجروح.

وواصل المستوطنون اعتداءاتهم على المواطنين في قرى محافظة نابلس على التوالي، حيث أضرموا النار في جرافة فلسطينية في قرية بورين فجر يوم الجمعة 2011/2/25. وقامت مجموعة أخرى من مستعمرة يتسهار بقطع 25 شجرة زيتون معمرة، في قرية عوريف، وقامت مجموعات أخرى باقتحام قرية جيت، وقامت بكتابة شعارات معادية على مدخل القرية وأعطبت عدداً من إطارات السيارات.

ولليوم الثاني على التوالي، هاجم مستوطنو يتسهار فجر يوم السبت 2011/2/26 قرية بورين وقاموا بإحراق سيارة أحدهم، حيث أتت النار على أجزاء منها قبل أن يتمّ إطفاء تلك النار، كما قاموا بإضرام النار بجرافة في القرية.

وأغلق مستوطنون صباح يوم 2011/2/28 طرقاً في محيط مدينة نابلس وسط حماية قوات الجيش الصهيوني، وشرعوا برجم السيارات الفلسطينية بالحجارة، وسط الشتائم والتهديد بالسلاح للمواطنين المسافرين.

وفي اليوم نفسه، اعتدى مستوطنون على المواطنين الفلسطينيين وأصحاب المحلات التجارية الواقعة في منطقة شارع بئر السبع وسط مدينة الخليل، بعد أن عبروا شارع الإخوان المسلمين الذي يصل بين حيّ تلّ الرميدة ومنطقه باب الزاوية، واجتازوا نقطة عسكرية صهيونية دائمة على مدخله، وقاموا برشق محلات المواطنين ومنازلهم بالحجارة، وشتموهم بألفاظ نابية تحت سمع وبصر جيش الاحتلال الذي كان يقوم بحراستهم.

وفي مدينة قلقيلية، شنّ المستوطنون عصر يوم الإثنين 2011/2/28 هجمات على سيارات الفلسطينيين شرق المدينة، وذلك بعد ساعات قليلة على هجمات مماثلة على طريق يتسهار قرب نابلس. وقالت مصادر محلية إن عشرات المستوطنين الشباب من

مستعمرة كرني شومرون شرق مدينة قلقيلية اعتدوا على مركبات المواطنين، وقاموا بتحطيم ثلاث منها على الشارع الرئيسي بالقرب من المستعمرة. كما تجمع المستوطنون قرب قرية كفر لاقف على طريق قلقيلية – نابلس وهاجموا السيارات تحت حراسة جنود الاحتلال.

ومن بين الاعتداءات التي رصدتها المنظمات الحقوقية خلال أسبوع فقط، إقدام مجموعة كبيرة من المستوطنين، انطلاقاً من مستعمرة حلميش شمال غربي مدينة رام الله، مساء يوم الخميس 2011/3/3 على إغلاق مدخل قرية النبي صالح المجاورة، وذلك أمام أعين قوات الاحتلال المتواجدة في المنطقة، وقاموا بأعمال عربدة على الشارع الرئيسي المؤدي إلى القرى المجاورة، ورشقوا السيارات الفلسطينية المارة بالحجارة. ومع حلول ساعات صباح اليوم التالي، اقتحمت مجموعة من المستوطنين، يستقل أفرادها درجات نارية قرية رابا، جنوب شرقي مدينة جنين، وقاموا بالتجول في شوارعها بشكل استفزازي. وفي ساعات المساء، تجمهرت مجموعة من مستوطني عمانوئيل؛ شرقي مدينة قلقيلية، وشرعت برشق الحجارة باتجاه المركبات الفلسطينية المارة عبر طريق وادي قانا الواصل بين محافظتي قلقيلية وسلفيت.

وفي صباح السبت الموافق 2011/3/5، تجمهرت مجموعة من المستوطنين قرب مفرق قرية جيت، شمال شرقي مدينة قلقيلية، وقامت برشق الحجارة باتجاه المركبات الفلسطينية المارة عبر الطريق الواصلة بين محافظتي قلقيلية ونابلس. وفي ساعات المساء، اقتحم مستوطنون من تفوح، جنوبي مدينة نابلس، والأراضي الزراعية التابعة لقرية ياسوف، شرقي مدينة سلفيت، بينما اقتحمت مجموعات المستوطنين قرية رابا شرق مدينة جنين وجابوا شارعها العام بشكل استفزازي، بهدف إثارة الرعب في صفوف المواطنين، ثم توجهوا بعد ذلك إلى قريتي بردلة وكردلة بالأغوار الشمالية بهدف استفزاز سكانهما.

وشهد صباح اليوم التالي، تجمهر مجموعة من المستوطنين، الذين انطلقوا من مستعمرة كرني شومرون، شرقي مدينة قلقيلية، على مداخل قرية كفر لاقف المجاورة، وقاموا برشق الحجارة باتجاه المركبات الفلسطينية المارة عبر الطريق الواصلة بين محافظتي قلقيلية ونابلس.

كما شهدت بلدة قصرة، جنوب شرقي مدينة نابلس، أخطر الاعتداءات بتنسيق مشترك مع قوات الاحتلال، بحسب تقرير للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان. ففي حوالي الساعة الرابعة من مساء يوم الإثنين 2011/3/7، هاجم عشرة مستوطنين، انطلاقاً من البؤرة الاستيطانية (يش أد) المقامة على الجهة الجنوبية من أراضي بلدة قصرة، مسنّة فلسطينية ونجلها، اللذين كانا يحرثان أرضهما في تلك المنطقة، وشرعوا بإلقاء الحجارة باتجاه المسنة ونجلها، ثم اعتدوا عليهما بالضرب، مما اضطرهما للفرار باتجاه البلدة، وأخبروا الأهالي بأن المستوطنين يخلعون أشجار الزيتون في المنطقة. وفور قدوم المواطنين للدفاع عن أراضيهم، شرع المستوطنون وقوات الاحتلال، التي وصلت إلى المنطقة لحماية المستوطنين، بإطلاق الأعيرة النارية والأعيرة المعدنية المغلفة بطبقة رقيقة من المطاط والقنابل الصوتية تجاههم، مما أسفر عن إصابة سبعة مواطنين بجراح من بينهم طفلان، فضلاً عن إصابة مواطنين بحالات اختناق جراء استنشاقهم الغاز، وثلاثة آخرين بجروح ورضوض جراء الاعتداء عليهم بالضرب، ووصفت المصادر الطبية إصابة ثلاثة منهم بأنها بالغة الخطورة.

اعتداءات المستوطنين زادت خلال الأسبوع الأول من شهر آذار/ مارس 2011 بشكل كبير، حيث تمّ رصد 53 اعتداء، وهي مقارنة بالشهر السابق تشير إلى زيادة بنسبة 50% على الأقل. وأبرز أشكال اعتداءات المستوطنين التي سجلت كانت إلقاء حجارة على منازل المواطنين وسياراتهم، وإغلاق الطرق ومهاجمة المزارعين، وإحراق ممتلكات الفلسطينيين مثل السيارات والأشجار، وقطع الأشجار وهناك حالات دهس أيضاً. كما برز شكل جديد يتمثل بقيام المستوطنين بزراعة أشجار في أراضٍ فلسطينية تمهيداً للاستيلاء عليها في المستقبل القريب، بحجة وجود ممتلكات لهم في تلك الأراضي، بالإضافة إلى سعيهم لمحاولة الاستيلاء على مساجد ومقامات دينية إسلامية بهدف تحويلها إلى كُنُس يهودية، مثل مسجد النبي يونس في حلحول، ومقام النبي يوشع بن نون في كفل حارس بمحافظة سلفيت وغيرها.

وفي سجل اعتداءات المستوطنين سُجلت ثلاث حالات دهس خلال 48 ساعة لثلاثة أطفال في مدينتي رام الله والخليل، وهم: أماني جاسم المطور (11 عاماً) تعرضت للدهس المتعمد على طريق استيطاني شمال شرق الخليل، وقتادة حسني الرجبي (5 أعوام) بالقرب من الحرم الإبراهيمي الشريف، ووسام شاهر ناصر (3 أعوام) قرب قرية اللبن الغربي برام الله.

أما حيّ الرميدة في قلب مدينة الخليل، فقد هاجمته مجموعات المستوطنين يوم السبت 2011/3/12، وقامت بالاعتداء على بيوت المواطنين ورجمها بالحجارة تحت حماية قوات كبيرة من جيش الاحتلال، كما منع المستوطنون المدججين بالسلاح الفلسطينيين من الخروج من منازلهم تحت تهديد السلاح.

وفي سوق اللبن بالقرب من الحرم الإبراهيمي، اعتدى مستوطنون بالضرب المبرح على مواطن فلسطيني بينما كان متوجهاً لصلاة الظهر في الحرم. ونظمت مجموعات من المستوطِنَات مظاهرة صغيرة في شوارع الخليل القديمة وهنّ يهتفن: "الموت للعرب... الموت للفلسطينيين"، في الوقت الذي وزع فيه مستوطنون بياناً باللغة العربية هددوا فيه بقتل العرب، والقيام بعمليات ضدهم، مطالبين الفلسطينيين بالرحيل وإلا نالهم العقاب.

كما هاجم مئات المستوطنين عند منتصف ليلة السبت/ الأحد 2011/3/12، منازل الفلسطينيين في بلدة حوارة جنوبي مدينة نابلس، انطلاقاً من الحاجز العسكري زعترة، المقام شمالي البلدة وجنوباً من مفرق يتسهار. وقام المستوطنون بمحاصرة المنازل وتحطيم الممتلكات، والاعتداء على ساكنيها وحرق سياراتهم.

وهاجمت مجموعة من المستوطنين المدججين بالسلاح يوم 2011/3/14، قرية ياسوف شرق مدينة سلفيت، واعتدوا على منازل الفلسطينيين. واقتحمت مجموعة أخرى من المستوطنين فجر اليوم نفسه قرية جينصافوط بمحافظة قلقيلية، وأحرقوا جراراً زراعياً وسيارة، قبل مغادرتهم القرية.

كرر المستوطنون هجماتهم ضدّ منازل الفلسطينيين في مواقع متعددة من مدينة الخليل، وقاموا بإحراق سيارة مواطن، وأصابوا طفلاً من بلدة بيت أمر. كما كرروا اعتداءاتهم بحقّ منازل الفلسطينيين بالقرب من مستعمرة كريات أربع ومحيط مستعمرة خارصينا المتاخمتين للحدود الشرقية من المدينة. وفي غضون ذلك، هاجم المستوطنون وبحماية الجيش الصهيوني منازل الفلسطينيين في مخيم العروب الذي يقع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين مدينتي الخليل وبيت لحم.

استغلت سلطات الاحتلال، بالتبادل مع المستوطنين، عيد المساخر (البوريم) لتسجيل المزيد من الاعتداءات في محافظة الخليل. إذ لم يكتفِ الاحتلال بإغلاق مدن الضفة الغربية ومحافظاتها لعشرة أيام بسبب احتفالاته، إلا أن المناسبة استغلت لتسجيل عدة اعتداءات.

فمن جهتها قامت قوات الاحتلال بمداهمة العديد من القرى والبلدات في محافظة الخليل، ونصبت الحواجز على مداخلها، وقامت وعلى فترات متقاربة بنصب الحواجز وإيقاف المركبات والتدقيق في الهويات والسيارات على مداخل بلدات السموع ويطا وترقوميا وجسر حلحول وواد قبون والطريق الرئيسية بين المدينة والقرى الغربية.

وفي الوقت نفسه، استمرت اعتداءات المستوطنين ضدّ أراضي الفلسطينيين ومزروعاتهم في مختلف مناطق المحافظة. فقد أكد سكان بلدة يطا أن مستوطنين نفذوا اعتداءاتهم في منطقة (أم الخوص) وأبادوا مزروعات على مساحة مئتي دونم بالمبيدات الحشرية مما أدى إلى إتلافها، وتكرر الأمر في مناطق (خربة، ومنيزل، واللتوانة، وجبنة، وبئر العد). كما مارس المستوطنون اعتداءات مماثلة بالقرب من خربة قلقس المحاذية لمستعمرة بيت حجاي Beit Hagai جنوب الخليل، وقاموا بأعمال تخريب لمزروعات الفلسطينيين في أكثر من مئة دونم، ومنعوا الفلسطينيين من الوصول إلى أراضيهم وفلاحتها.

كما هاجمت مجموعات من مستوطني براخا ويتسهار وإيتمار قرية بورين، جنوب شرق نابلس، فجر يوم السبت 2011/3/21، وعاثوا فيها فساداً، وخاصة الجهة الشرقية منها، بينما هاجم مستوطنون من مستعمرة بركان Barkan قرب سلفيت مركبات المواطنين قرب بلدة بروقين، واعتدوا على أصحابها، ومنعوا حركتهم في محيط البلدة، وأغلقوا مدخل البلدة الشمالي، وتعرضوا للسيارات المتواجدة على الشارع الرئيسي بالحجارة والزجاجات الفارغة.

ورشق المستوطنون الحجارة باتجاه المنازل الواقعة على أطراف قرية عصيرة القبلية جنوب نابلس، صباح يوم السبت 2011/4/9، وأصابوا عدداً من الفلسطينيين بجروح متفاوتة، ثم توجهوا إلى قرية عوريف المجاورة، وأحرقوا سيارة وتسببوا بأضرار مادية في محرك كهربائي.

عشرات المستوطنين المدججين بالسلاح القادمين من مستعمرة براخا، هاجموا منازل المواطنين الواقعة في الجهة الشرقية لقرية بورين مساء يوم الثلاثاء 2011/4/19، تحت غطاء كثيف من إطلاق الرصاص، وحاولوا اقتحام أحد المنازل لوضع لافتة كبيرة على سطحه، واندلعت على الفور مواجهات بين المواطنين والمغتصبين. وأصيب

المواطن عيد برصاص المغتصبين، حيث أصاب عياران ناريان يده وخاصرته، وقد وصفت جراحه بالمتوسطة.

وقام المئات من المستوطنين بإغلاق الطرق المؤدية إلى مدينة نابلس ظهر الأحد 2011/4/24، وقاموا برشق سيارات المواطنين بالحجارة على مفرق قرية بورين، وعلى حاجز بيت فوريك قرب نابلس، مما أدى إلى تحطيم زجاج العديد منها، وإصابة مواطن فلسطيني ونجله، بعد اعتداء المستوطنين على السيارة التي تقلهم بالحجارة، قرب حاجز حوارة جنوب نابلس.

وفي سياق متصل، هاجم مستوطنون منازل وسيارات قرب مستعمرة كريات أربع في اليوم التالي، فيما دارت مواجهات على مدخل مخيم العروب، حيث حطموا زجاج سيارة، كما تعرض صاحبها نفسه للرشق بالحجارة. كما احترقت أربعة حوانيت بما فيها من بضائع ومواد غذائية في سوق القزازين بالبلدة القديمة في الخليل، نتيجة هجوم المستوطنين بالزجاجات الحارقة.

وفي يوم الثلاثاء 2011/5/17، ألقى مستوطنون زجاجة حارقة على منزل في منطقة الكسارة جنوب المدينة، لكن دون وقوع إصابات. وألقت مجموعة أخرى الحجارة على سيارات فلسطينية كانت تمرّ قرب جبل الرحمة وسط المدينة، مما تسبب بتحطيم زجاج سيارة.

وهاجم مستوطنون تحت حماية قوات الاحتلال الصهيوني، يوم الأحد 2011/5/22، مجموعة من النساء في قرية اسكاكا قرب سلفيت، مما أدى إلى إصابتهن بحالة من الفزع، بعد أن رشق المستوطنون النسوة بالحجارة بشكل مباشر بعد أن كمنوا لهن، كما قاموا بكيل الشتائم لهن على الرغم من تواجد جنود الاحتلال في المنطقة.

كما أصيب عدد من أهالي حيّ الشيخ جراح بالقدس برضوض وحالات اختناق وإغماء بعد رشّ أفراد من شرطة الاحتلال الغاز على وجوههم مباشرة مساء الجمعة 2011/7/1، كما دفع مستوطن الطفلة ملك رائد دياب نحو سيارة في أثناء سيرها، مما أدى إلى إصابتها برضوض، فيما أصيبت جمالات الغاوي برضوض في رأسها بعدما ضربها مستوطن بشكل مباشر، وقد نقلت للعلاج في مستشفى المقاصد.

أكثر من 500 مستوطن اقتحموا أطراف قرية عصيرة القبلية جنوب مدينة نابلس، تحت حماية قوات الاحتلال، مساء الأحد 2011/7/3، وهاجموا منازل المواطنين

بالحجارة، مما أدى إلى تهشم زجاج العديد من المنازل. وقد شاركت قوات الاحتلال بإطلاق الأعيرة المطاطية وقنابل الغاز المسيل للدموع باتجاه المواطنين، مما أدى إلى إصابة عدد منهم بحالات اختناق وإغماء.

وواصل المستوطنون اعتداءاتهم على الفلسطينيين في مختلف أنحاء الضفة الغربية ومناطقها؛ حيث أصيب صباح يوم 2011/7/18 ثلاثة مواطنين بجروح، بعد اعتداء مجموعة من المستوطنين عليهم بالضرب المبرح قرب قرية مخماس جنوب رام الله، حيث وصفت حالة أحد المصابين بالخطيرة جداً[127].

3. قطع الطرق ومهاجمة السيارات العربية:

ويأتي قطع الطرق، وعمليات تحطيم السيارات العربية أو إحراقها، شكلاً آخر من أشكال الإرهاب، الذي يمارسه المستوطنون، إذ كثيراً ما تلجأ مجموعات المستوطنين إلى أعمال العربدة والاستفزاز بقطع الطرق الرئيسية بين البلدات والمدن الفلسطينية، ومنع السيارات العربية من المرور، بل وقيامهم برشقها بالحجارة، حتى غدت تلك ظاهرة شبه يومية، تتسم بالاتساع الكمي والجغرافي.

وعلى الرغم من أن الحجارة أقل خطراً من الأسلحة، إلا أنها قد تسبب إصابات خطيرة أو حتى الموت، خاصة إذا تعرضت سيارة مسرعة لعملية رشق الحجارة. ففي صباح يوم 1987/7/23، أصيب عدة مواطنين في منطقة الخليل بجراح مختلفة، إثر تعرض سياراتهم للرشق بالحجارة من قبل المستوطنين على طريق أذنا – الخليل[128].

وفي يوم 1989/7/8، استشهد جمال ناصر الشماخ (31 عاماً)، بعد أن رشق المستوطنون سيارته بالحجارة، حيث انقلبت، وجرح أربعة آخرين كانوا معه قرب مستوطنة أوفاكيم Ofakim بقطاع غزة[129].

وفي اليوم التالي، تحطم زجاج سيارة في مخيم الجلزون بعد أن رشقها المستوطنون بالحجارة. وفي ليلة 1989/7/10، أصيب الشاب ماجد المطور من بيت جالا، بجرح خطير في رأسه إثر مهاجمة سيارته من قبل المستوطنين في منطقة البقعة (تلبيوت) Talpiot. وفي الليلة نفسها، ألقى أحد المستوطنين فأساً على سيارة المواطن جاك حوش من بيت لحم،

---

[127] بتصرف عن: المركز الفلسطيني للإعلام، تقارير إخبارية، 2011/1/13-2011/7/18.

[128] **الحرية**، العدد 1397، 1989/8/13، ص 22.

[129] **الوطن**، الكويت، 1989/7/9، ص 1.

فوق جسر للمشاة في تلبيوت بهدف قتله، مما أدى إلى كسر زجاج السيارة الأمامي. كما أطلق المستوطنون النار باتجاه سيارة فلسطينية في ضاحية شويكة، شمال طولكرم، قرب حاجز عسكري لم يحرك جنوده أي ساكن، على الرغم من سماعهم أصوات الأعيرة النارية.

وفي ليلة 1989/7/21، أصيب سامر سليمان الساحوري بجراح خطيرة في رأسه، إثر تعرض سيارته للرشق بالحجارة من قبل المستوطنين عند مفترق مستعمرة جيلو Gilo[130].

أما حوادث قطع الطرق الرئيسية في الضفة الغربية، فقد كانت بارزة بشكل جلي خلال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى (1987-1994)، وتكررت في أكثر من منطقة، وفي أوقات عديدة. ومن ذلك، قيام أكثر من خمسين مستوطناً بوضع حواجز على الطريق الموصل بين مدينتي نابلس والقدس، عند مداخل قرية سنجل يوم 1991/12/19، ومنعهم السيارات العربية من التوجه إلى القدس، وكذلك منع العمال العرب من الوصول إلى أماكن عملهم[131].

وقام المئات من المستوطنين بقطع ست طرق رئيسية في الضفة الغربية وقطاع غزة يوم الأحد الموافق 1992/1/5، حيث أشعلوا إطارات السيارات، ومنعوا العمال من التوجه إلى أماكن عملهم، ومن تلك الطرق: طريق نابلس – قلقيلية، وطريق بسجات زئيف – القدس، وطريق شمال قطاع غزة، وطريق خان يونس عند تجمع مستعمرات جوش قطيف[132]. ولم يتدخل الجيش الإسرائيلي، بل بقي في المكان لحماية المستوطنين، وعلى الرغم من اعتدائهم على الفلسطينيين، وقيامهم بإطلاق النار على العمال وسياراتهم وبعض المنازل. وليس هذا فحسب، بل إن أهارون دومب Aharon Domb، وهو من زعماء المستوطنين في القدس، تحدى قوات الأمن الإسرائيلية بأن المستوطنين سيواصلون التجول عمداً في القرى العربية، ونصب الحواجز على الطرق، وتوزيع منشورات

[130] **الحرية**، العدد 1397، 1989/8/13، ص 22.

[131] **الخليج**، العدد 4608، 1991/12/20، ص 17.

[132] **البيادر السياسي**، العدد 478، 1992/1/11، ص 39.

الوعيد والتهديد على الفلسطينيين، مطالباً الحكومة الإسرائيلية بأن تفعل أكثر من مجرد إبعاد الفلسطينيين عن وطنهم[133].

وتكرر المشهد نفسه يوم 1993/3/11، حيث أغلق المستوطنون الشارع الرئيسي الذي يربط غزة بمدينة خان يونس وأطلقوا النار، واعتدوا على السيارات الفلسطينية، ورددوا هتافات تطالب بالانتقام من الفلسطينيين وطردهم. كما أغلق المئات من المستوطنين، من تجمع مستعمرات جوش قطيف، يوم 1993/3/13 الطريق المؤدي إلى خان يونس، ورددوا هتافات عنصرية ضدّ الفلسطينيين[134].

وخلال سنة 1993 فقط، تعرضت مئات السيارات العربية في الخليل للتحطيم على أيدي المستوطنين، الذين كانوا يتحركون في شوارع المدينة، على شكل مجموعات كبيرة، مدججين بالسلاح ويرافقهم جنود الاحتلال في أحيان كثيرة.

ومن أبرز الحوادث التي وثقتها مؤسسة الحق الفلسطينية كما رواها أصحابها، في 1993/5/1، وفي أثناء توجه السيد صالح الكوازبة، من قرية سعير باتجاه مدينة الخليل، برفقة آخرين، وبالقرب من مستعمرة كريات أربع، حيث كان يتجمع حوالي ثلاثين مستوطناً على جانب الشارع، وعندما اقتربت السيارة التي كانت تقلّ المواطنين العرب، هاجمها المستوطنون بالحجارة، مما أدى إلى تحطيم زجاجها، وأدى ذلك إلى فقدان السائق للسيطرة على المقود، وبالتالي انحراف السيارة وارتطامها بجدار استنادي بجانب الطريق، وأدى ذلك إلى إصابة جميع ركاب السيارة، وعددهم ستة، بإصابات وجروح مختلفة[135].

أما بعد اتفاق أوسلو، فقد عبّر المستوطنون، بطريقتهم الخاصة، عن رفضهم لهذا الاتفاق، وذلك بإغلاق عشرين موقعاً على الطرق الرئيسية في الضفة الغربية، وإشعال النار في إطارات السيارات. ففي يوم 1995/7/21، تجمع المستوطنون على مدخل أم الريحان في منطقة جنين، منذ ساعات الصباح الباكر، وأقاموا الحواجز وعرقلوا حركة السير، ومنعوا السيارات العربية من المرور، وأغلقوا شارع جنين – يعبد، ورددوا الهتافات الداعية لإلغاء اتفاق أوسلو، وعدم الانسحاب من جنين[136].

---

[133] **الشرق الأوسط**، العدد 4787، 1992/1/6، ص 2.

[134] **فلسطين الثورة**، العدد 931، 1993/3/28، ص 11.

[135] **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 17، شتاء 1994، ص 26.

[136] **القدس**، العدد 9302، 1995/7/22، ص 1 و23.

كما تجمع عشرات المستوطنين بسياراتهم يوم 1996/11/25، قبالة بلدة بيتونيا، غرب مدينة رام الله، ومنعوا سيارات الفلسطينيين من المرور على طريق رام الله – القدس[137].

أعمال العربدة والاستفزاز تواصلت خلال انتفاضة الأقصى أيضاً. ففي يوم 2001/8/24، خرج العشرات من المستوطنين من مستعمرة أشكيلوت Ashkilot، المقامة على أراضي بلدة الظاهرية، وقاموا بقطع الطريق على عرب الرماضين، وأوقفوهم تحت وطأة البرد والمطر، واعتدوا على عدد منهم بالضرب. كما أوقف عدد آخر من المستوطنين، العديد من سكان بلدة سعير ومنطقة بيت عينون، وقاموا بالتدقيق في بطاقاتهم الشخصية، ومن ثم الاعتداء عليهم[138].

وطوال يوم الجمعة، الموافق 2001/6/15، قام المستوطنون باعتداءات مختلفة وأعمال عربدة في مدينة رام الله والمناطق المحيطة بها، تحت حراسة الجيش الإسرائيلي وحمايته. فعلى طول شارع (رام الله – نابلس) القديم، اعتدى المستوطنون على العشرات من السيارات المارة، مما أدى إلى إصابتها بأضرار مادية متفاوتة، وجرح أربعة فلسطينيين[139].

وفي عمل أكثر تنظيماً، قام المستوطنون من مستعمرة كدوميم، المحاذية لمدينة نابلس، بإشعال النار في إطارات السيارات على طريق (55)، ووضعوا أكواماً من الحجارة يوم الإثنين الموافق 2009/6/1، وعند مرور المواطنين الفلسطينيين، قام المستوطنون بإلقاء الحجارة، والاعتداء على الفلسطينيين بالضرب، مما أدى إلى إصابة ستة عمال كانت جراح أحدهم خطيرة.

كما أشعل المستوطنون، خلال أعمال العربدة، النيران في مئات من أراضي المواطنين المزروعة بالزيتون والقمح والشعير قرب نابلس وقلقيلية. وأغلقوا طريق يتسهار الالتفافي جنوب نابلس، وأشعلوا النيران بأكثر من عشرة مواقع من أراضي قرية بورين، جنوب نابلس. وأغلق مستوطنون، انطلقوا من عدة مستعمرات في نابلس،

---

[137] **القدس العربي**، العدد 2349، 1996/11/26، ص 5.

[138] المركز الفلسطيني للإعلام، 2001/1/25.

[139] **السبيل**، العدد 389، 2001/6/19، ص 16.

مفارق الطرق الرئيسية على طول الشارع الالتفافي الواصل بين شمال الضفة الغربية ووسطها، ورشقوا عدة سيارات فلسطينية مارة بالحجارة[140].

على أنه، لا بدّ من التأكيد، أن أعمال رشق الحجارة من قبل المستوطنين لا ترتبط فقط بقطع الطرق بين المدن والتجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية، ذلك أن مؤسسات ومراكز حقوق الإنسان رصدت عشرات الحوادث الموثقة التي قام بها المستوطنون، مجتمعين وفرادى، برشق الحجارة على السيارات العربية، الأمر الذي أدى إلى سقوط شهداء وجرحى في صفوف الفلسطينيين.

ومن هؤلاء مصطفى محمود عليان (48 عاماً)، من مخيم عسكر قرب نابلس، قتل على أيدي مستوطنين ألقوا حجراً كبيراً على سيارته. إذ يقول حسين سليمان، الذي كان معه ساعة وقوع الحادث في إفادته للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

> اعتاد مصطفى أن يسافر ومعه ابنه علاء إلى بلدة عناتا قرب القدس، لبيع الخضار هناك. ويوم وقع الحادثة كنا ثلاثة في الشاحنة، مصطفى يجلس بجوار ابنه علاء الذي يقود الشاحنة، وأنا في الخلف. في اليوم السابق للهجوم لم نستطع أن نعود إلى البيت في نابلس، لأن المستوطنين كانوا قد أغلقوا الطريق بين رام الله ونابلس.

وأضاف سليمان:

> الحادث وقع عندما هاجم حوالي 13 مستوطناً من مستوطنة عوفرا الشاحنة بالحجارة، فسقط حجر كبير على الزجاج الأمامي وأصاب مصطفى في رأسه وصدره، وعندما رأى ابنه علاء ذلك زاد من السرعة، بينما فقد أبوه الوعي وهو ينزف. وعندما وصلنا إلى مستشفى رفيديا في نابلس، قال الأطباء أن مصطفى قد توفي نتيجة ضربة قوية بجسم ثقيل على رأسه[141].

علي محمود الداموني (28 عاماً)، من قرية بورين قرب نابلس، أصيب بجروح خطيرة عندما رشقت سيارته بالحجارة، وهو مسافر على الشارع العام، حيث قالت

---

[140] **السبيل**، العدد 894، 2009/6/2، ص 8.

[141] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 35.

شقيقته إيمان، للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان: "بتاريخ 2000/12/8، حوالي الساعة 7:30 صباحاً، كان أخي علي يقود سيارته على الطريق الالتفافي قرب بورين، عندما قام مستوطنون بإلقاء حجارة عليه، فتحطم الزجاج الأمامي وجرح علي في رأسه، حيث مكث فاقداً الوعي لمدة 12 يوماً"[142].

كذلك، تتعرض السيارات العربية على الطريق بين قريتي حوسان ونحالين، قرب بيت لحم، للرشق بالحجارة، باستمرار، من المستوطنين في مستعمرة بيتار عيليت المجاورة، خاصة أيام السبت. وقد أفاد محمد حسن غياضة (33 عاماً)، للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان: "يقوم المستوطنون كل يوم سبت، ما بين الساعة 2-3 بعد الظهر، برشق السيارات العربية بالحجارة، خاصة في منطقة وادي البقر الخطرة، حيث من السهل أن يفقد السائق السيطرة على السيارة، وبالتالي تنقلب في الوادي، وهم يقومون بذلك بدون أي مبرر، فقط لإيذاء الفلسطينيين"[143].

يقوم المستوطنون، أيضاً، برشق بعض المنازل العربية بالحجارة، وخاصة في القرى القريبة من الطرق الالتفافية التي يسلكها المستوطنون، مثل قرية حوسان قرب بيت لحم، وقرية حوارة قرب نابلس. وحول ذلك، يقول محمد مصطفى عليان، من قرية حوسان، للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

> كان المستوطنون يلقون الحجارة على بيتنا الواقع على جانب طريق رقم 60 الالتفافي، ولكن الأمر زاد بشكل كبير بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. هم في العادة يرشقون الحجارة من الباص الذي يقلهم من وإلى مستوطنة بيتار عيليت. بتاريخ 2000/10/30م، وعند منتصف الليل، توقفت سيارة إسرائيلية في الشارع أمام بيتنا، وألقى المستوطنون منها زجاجة حارقة، وانفجرت عند البوابة الرئيسية للبيت، ثم اختفت سيارة المستوطنين. وبعد ذلك بدقائق قليلة، وصلت سيارة جيب عسكرية إسرائيلية، ونزل منها الجنود، فطلبت أن أتكلم مع قائد الوحدة، وكان درزياً، فسألني إن كنت متأكداً أن المستوطنين هم الذين رموا الزجاجة الحارقة، وليس أحد أبنائي، فطلبت منه أن يكون أكثر عقلانية من ذلك[144].

---

[142] **المرجع نفسه**، ص 42-43.

[143] **المرجع نفسه**، ص 33-43.

[144] **المرجع نفسه**، ص 44-45.

وفي يوم الجمعة الموافق 2001/3/16، قام ركاب سيارات المستوطنين من مستعمرة يتسهار في منطقة نابلس، بمهاجمة سيارة ركاب عمومية فلسطينية في أثناء سيرها باتجاه مدينة نابلس، حيث هاجموها بالحجارة، مما أدى لانقلاب السيارة المستهدفة أربع مرات، وإصابة ثلاثة مواطنين من ركابها.

وفي يوم الخميس الموافق 2001/5/31، رشق مستوطنون من مستعمرة إيتمار، شرقي مدينة نابلس، الفلسطينيين الذين كانوا يسيرون على الشارع الالتفافي الواصل بين معسكر حوارة جنوبي المدينة ومستعمرة إيلون موريه شرقيها، فأصابوا مواطناً من قرية دير الحطب بحجر في رأسه أحدث إصابة بالغة نقل على إثرها إلى مستشفى نابلس التخصصي للعلاج.

وبعد ظهر يوم السبت الموافق 2001/6/16، رشق أربعة مستوطنين من مستعمرة حلميش، إلى الشمال الغربي من مدينة رام الله، سيارة مواطن من قرية دير نظام بالحجارة، بينما كان عائداً إلى قريته، وكان برفقته طفله البالغ من العمر أربع سنوات، الذي اصطحبه معه إلى المدينة لعلاجه، وذلك بالقرب من حرش دير نظام. وقد أصاب المستوطنون السيارة، إلا أن المواطن وولده وزوجته التي كانت ترافقه أيضاً، لم يصابوا بأذى[145].

ومساء يوم الخميس الموافق 2001/8/16، وبينما كان كمال سعيد حميد مسلم (55 عاماً)، من قرية تلفيت في منطقة نابلس، يقود سيارة أجرة في طريقه من قريته إلى مدينة نابلس، وعندما اقترب من قرية الساوية جنوبي نابلس، كانت سيارة إسرائيلية تسير على الشارع من الجهة المقابلة، وعندما اقتربت من السيارة الفلسطينية، رشق أحد المستوطنين حجراً باتجاهها، فاخترق الزجاج الأمامي وأصاب سائقها في رأسه مباشرة، مما أفقده السيطرة عليها، وبالتالي انقلابها. وقد أسفر هذا الاعتداء عن استشهاد سائقها، بينما لاذت السيارة الإسرائيلية بالفرار إلى داخل مستعمرة عيلي المقامة على أراضي قرية الساوية[146].

الفلسطينيون الذين يرشقون الحجارة يتمّ إطلاق النار عليهم من الجيش الإسرائيلي، أو يعتقلون لمدة لا تقل عن سنة كاملة، ولكن المستوطنين الذين يرشقون الحجارة لا يتمّ التعرض لهم، أو لا ينالون أكثر من توقيف لبضع ساعات على أبعد تقدير.

---

[145] جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال.

[146] المرجع نفسه.

4. إتلاف الممتلكات وتخريب المحلات التجارية:

إرهاب وعنف المستوطنين لا يتوقف عند أو ينحصر في الهجمات الخطيرة التي تهدد الحياة، فتؤدي إلى الموت أو الإصابة. فمعظم اعتداءات المستوطنين تنصب في تخريب ممتلكات المواطنين الفلسطينيين وسرقتها، ذلك أنهم، أي المستوطنين، يعدون أنفسهم فوق القانون، إذا كان الضحايا فلسطينيين.

قبل الانتفاضة الفلسطينية الكبرى سنة 1987، قامت مجموعات من المستوطنين بأعمال تخريب للمصالح التابعة للفلسطينيين، وذلك بزعم الردّ على رشق السيارات الإسرائيلية بالحجارة. وهناك منظمة إرهابية، تطلق على نفسها اسم "قبضة الدفاع"، أعضاؤها هم من مستعمرات جوش عتسيون وكريات أربع، تعلن مسؤوليتها باستمرار عن عمليات تدمير سيارات وأسواق الخضار العربية أو إحراقهم.

كما يلجأ المستوطنون كذلك إلى القيام بحرق الأشجار والمزروعات العربية أو إتلافها، وخاصة في أثناء الليل، هذا فضلاً عن قيامهم بأعمال إجرامية بالغة الوحشية، على غرار ما حدث سنة 1983، من تسميم لبعض آبار المياه الكبيرة التي يتزود منها العرب وينتفعون بها، وكذلك قيامهم برشّ مواد سامة غريبة في ساحات مدارس البنات خلال السنة نفسها، مما أسفر عن نقل العشرات من الطالبات إلى المستشفيات، وهنّ في حالة إغماء أو غثيان. بل، لقد امتد نشاط المجموعات الاستيطانية ليشمل كذلك، فضلاً عن البشر، القيام بتسميم المواشي، بقصد الإيذاء وإيقاع الأضرار المادية[147].

يدور كثير من شكاوى سكان مناطق الخليل، حول مهاجمة المستوطنين للمنازل والكروم والبساتين، ومنها الشكوى من قبل أربعة مواطنين، وبينهم أرملة، ضدّ مستوطني كريات أربع الذين هاجموا أرضهم بالجرافات واقتلعوا أشجار الكرمة والفواكة. وتصف إحدى الشكاوى، وهي مؤرخة في 1981/4/4، كيف نقل المستوطنون التربة من أرض صاحبها إلى مستعمرة كريات أربع. كما تقدم ثلاثة مواطنين آخرين بشكاوى ضدّ المستوطنين لإلقائهم القنابل قرب بيوتهم، واقتحامهم البيوت الخالية واحتلالها، ودخول البيوت الآهلة، مسلحين بالعصي والخناجر، وطلبهم التفتيش بحجة أنهم هم أصحاب البيت.

[147] عمر الخطيب، إسرائيل: تحولات في المجتمع والسياسة.

وتقدم مواطن رابع بشكوى، ضدّ المستوطنين الذين دخلوا بيته، وحاولوا وضع أثاثهم فيه. وعندما أخرجهم وأقفل الأبواب، كسروا الأقفال، وخلعوا الأبواب، وحملوها إلى المستعمرة. وتقدم رئيس البلدية فهد القواسمة، قبل إبعاده سنة 1981، بشكوى إلى وزير الدفاع الإسرائيلي ضدّ المستوطنين في كريات أربع، الذين انتزعوا أربعة من خطوط التوتر العالي للكهرباء التابعة لبلدية الخليل في 1983/2/6، فقطعوا الكهرباء عن 25 أسرة. وعندما أصلحت البلدية الخطوط، وأعادت الكهرباء، هاجمها المستوطنون مرة أخرى بعد يومين، وألحقوا الضرر بها[148].

وبإعلان الجيش الإسرائيلي منع التجول وسط الخليل، حيث السوق التجارية، بعد مقتل أحد المستوطنين ظهر الخميس 1983/7/7، جاءت الفرصة التي كان المستوطنون ينتظرونها، فأحرقوا المخازن والأكشاك العربية، محدثين بذلك أضراراً جسيمة، وظلت النار مشتعلة مدة ساعتين أتت خلالهما على 90% من الأكشاك، وعلى مخزنين في السوق. وعقب هذه الحادثة لم يجر توقيف أحد أو استجواب أحد في شأن الحريق وتداعياته[149].

وتكرر الأمر نفسه في مدينة قلقيلية، في نيسان/ أبريل 1987، إذ عاث المستوطنون فساداً في شوارع المدينة بعد إعلان الجيش الإسرائيلي منع التجول، فحطموا النوافذ والسيارات وغيرها من الممتلكات، وأحدثوا تدميراً واسعاً. ووقعت أمثال هذه الحوادث، في نابلس، والخليل، وفي مخيم الدهيشة القريب من مدينة بيت لحم.

وواصل المستوطنون صخبهم في البلدات الفلسطينية خلال الانتفاضة بصورة متزايدة. ففي الفترة ما بين كانون الأول/ ديسمبر 1987، ومنتصف نيسان/ أبريل 1988، جمعت مؤسسة الحقّ وثائق عن عشرات الحالات التي قام المستوطنون فيها بتخريب الممتلكات العربية. إذ حطم المستوطنون السيارات ونوافذ البيوت في العديد من الأمكنة، ومنها: مخيم العروب قرب الخليل (5 كانون الأول/ ديسمبر)، وعنبتا (12 كانون الأول/ ديسمبر وأول شباط/ فبراير)، والجديرة قرب رام الله (1 شباط/ فبراير)، والخليل (10و11و12 آذار/ مارس)، والبيرة (25 آذار/ مارس).

---

[148] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 184.

[149] **المرجع نفسه**، ص 190-191.

كما أنهم سطوا على المحاصيل والبساتين مثل: رأس كركر (كانون الثاني/ يناير)، وكفر حارس (أول آذار/ مارس)، وترمسعيا (11 آذار/ مارس). وفي تلك الأثناء، جرت مداهمات للبيوت، وإنزال الضرر بما فيها من أمتعة وأثاث. ولم يحدث، ولو مرة واحدة، أن أدين المستوطنون بتحطيم الممتلكات، أو ألزموا بدفع تعويض، الأمر الذي شجعهم على الاعتقاد أنهم فوق القانون.

وتوافرت، في كثرة من الحالات، أرقام لوحات السيارات وأوصافها، وأوصاف المستوطنين وحتى أسماؤهم في بعض الأحيان، لكن الشرطة رفضت تلقي الشكاوى عليهم. ولما كان دعم المستوطنين قوياً داخل النظام السياسي والحزبي الإسرائيلي، فإن معاقبتهم على جرائمهم يعدّ مجازفة سياسية[150].

تعدّ ظاهرة تحطيم السيارات العربية، وتخريب الممتلكات من قبل المستوطنين ظاهرة شبه يومية، اتسمت بالاتساع الكمي والجغرافي على حدٍّ سواء، وكانت، وما تزال، تتمّ على مرأى من الجنود الإسرائيليين، الذين لا يتدخلون لوقف هذه الأعمال.

مساء يوم 1993/1/2، قام المستوطنون بإعطاب خمس سيارات فلسطينية في البلدة القديمة في القدس، كما حطم المستوطنون 25 سيارة أخرى في أثناء وقوفها في باب الزاوية في الخليل[151].

في 1993/5/28، فرض الجيش الإسرائيلي منع التجول على مدينة الخليل بأكملها، بعدها أخذ المستوطنون يتجولون في الشوارع، ويقومون بتحطيم الممتلكات العربية وتكسيرها، والاعتداء على كل من يصادفهم، واقتحام المنازل العربية والاعتداء على سكانها وإتلاف محتوياتها، وأحياناً إحراقها. وقد تركزت غالبية عمليات حرق المنازل في البيوت القريبة من الحرم الإبراهيمي، حيث تمّ إحراق أربعة منازل وثلاثة محلات تجارية.

وقد أفاد كامل جابر عن ذلك بقوله:

> بتاريخ 1993/5/30م، وفي حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وعن مسافة مئة متر تقريباً، شاهدت سبعة مستوطنين وثلاثة جنود يقفون على سطح منزل أخي يوسف جابر، والذي كان خالياً من السكان في يومه هذا. وبعد

[150] **المرجع نفسه**، ص 225-226.

[151] **فلسطين الثورة**، العدد 921، 1993/1/17، ص 14.

نزول المستوطنين والجنود عن سطح المنزل مباشرة، شاهدت ألسنة اللهب والدخان يتصاعدان منه، وأتت النيران على غالبية محتويات المنزل، والتي تقدر بـ 50 ألف دولار. وبعد انتهاء منع التجول عن المدينة بتاريخ 1993/6/3م، لم يسمح لنا المستوطنون بالدخول إلى المنزل، بهدف تفقده وإصلاح ما لحق به من أضرار.

أما روبين أحمد الأدهمي، الذي يسكن منطقة سوق الخواجات في وسط المدينة، فيقول:

بتاريخ 1993/5/28م، وفي حوالي الساعة الثانية ليلاً استيقظت على صوت ما، وعندما نظرت من النافذة إلى الخارج، شاهدت النيران مشتعلة في المحلات التجارية التي تقع أسف [أسفل] منزلي... حملت الماء بهدف إطفاء الحريق... حينها شاهدت عدداً كبيراً من المستوطنين يقفون بجانب المحلات التجارية، وهي تحترق. وقد هددني المستوطنون وطلبوا مني عدم الاقتراب من المحلات، ولكنني قلت لهم إن استمرار الحريق سيؤدي إلى احتراق أسرتي في الطابق الثاني.

وأفادت السيدة هيام عبد المجيد جابر، وتسكن في حارة جابر بالقرب من مستعمرة كريات أربع، بالتالي:

بتاريخ 1993/7/24م، وأثناء تواجدي في المطبخ داخل البيت، شممت رائحة احتراق ملابس، وعندما حاولت استيضاح الأمر، شاهدت الدخان يتصاعد من غرفة النوم التي تفضي على الشارع العام، فاقتربت من الغرفة، حيث شاهدت الأثاث يشتعل، فنظرت من الشباك إلى الخارج، فشاهدت أربعة مسلحين يرتدون على رؤوسهم القبعات الصغيرة الخاصة باليهود، حيث شاهدتهم يركضون ويبتعدون عن البيت باتجاه مستوطنة "كريات أربع". وقد طلبت المساعدة من الجيران، وأخذنا بمحاولة إطفاء الحريق، لكن النيران أتت على جميع الأثاث داخل الغرفة، وكانت الغرفة تحتوي على ملابس وأغراض تخص حفلة زواج ابني الأكبر، الذي كنت أنوي الاحتفال به، وتقدر الخسائر بـ 20 ألف دينار أردني. وأثناء عملية إطفاء الحريق، حضرت إلى المكان سيارة شرطة إسرائيلية، فأخبرتهم بالحدث، ولكن رجال الشرطة غادروا المكان دون أية كلمة[152].

[152] أضواء على حقوق الإنسان، مؤسسة الحق، ص 23-25.

وفي 1993/11/15، وبينما كانت مدينة الخليل تخضع لمنع التجول، شاهد مصطفى حامد العويوي ثلاثة مستوطنين يتجهون نحو بيته، ويقومون بتحطيم سيارة ابنه الواقفة بمحاذاة المنزل. وشاهد على مقربة منهم، أربعة جنود يشاهدون عملية الاعتداء، ولم يحاولوا منع المستوطنين. وتوجه للجنود طلباً للنجدة، وإيقاف المستوطنين، إلا أن الجنود لم يحركوا ساكناً، وقالوا له: عليك التوجه إلى الشرطة لتقديم شكوى، وأخذ المستوطنون يقومون بتحطيم سيارات مجاورة دون أن يلتفتوا إلى الجنود[153].

وحتى بعد تولي الشرطة الفلسطينية المسؤولية الأمنية داخل المدن في الضفة الغربية، استمر المستوطنون في عربدتهم وإرهابهم وجرائمهم، دون أن يكون بمقدور السلطة الفلسطينية أن توقفهم. ومن الأمثلة على ذلك، ما حدث يوم 1998/3/15، حيث نظم المستوطنون مسيرة استفزازية من قلب البلدة القديمة في الخليل باتجاه خطوط التماس التي شطرت المدينة إلى قسمين، في محاولة لاقتحام منطقة إتش1 "H1"، حيث شارك فيها نحو 150 مستوطناً. وأسفرت المواجهات التي اندلعت بين الفلسطينيين والمستوطنين، الذين كانوا بحماية الجنود الإسرائيليين، عن وقوع 14 جريحاً، وتحطيم نحو ثلاثين سيارة عربية متوقفة أمام منازل أصحابها[154].

أصبح هناك نمط معروف لاستفزازات المستوطنين واعتداءاتهم في البلدة القديمة بالخليل، وفرض نظام منع التجول على منطقة إتش2 "H2" الخاضعة للسيطرة الأمنية الإسرائيلية. فحالما يرفع نظام منع التجول، ينزل المستوطنون تحت حماية الجيش إلى السوق، للتسبب في حدث ما، وبالتالي يفرض الجيش منع التجول من جديد. ولقد قال كرم محمد الزعتري للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

> بتاريخ 2001/1/1م، جاء عشرة مستوطنين مسلحين إلى محل الملابس الذي أملكه في البلدة القديمة، وقاموا برمي مجموعة الملابس المعروضة في الخارج على الأرض وداسوا عليها. سألتهم: لماذا تفعلون هذا؟ فدخلوا إلى المحل، وانهالوا عليّ ضرباً. ورموا بعض الملابس في الخارج على الأرض المبتلة، وأخذوا مجموعة من أفخر الملابس معهم، ثم تركوا المحل... بعد بضعة دقائق، جاءني شرطي إسرائيلي، وقال إن بضاعتي موجودة في مخفر شرطة

[153] المرجع نفسه، ص 35.

[154] **الرأي**، العدد 10052، 1998/3/16، ص 1 و23.

كريات أربع، ولكنني لا أستطيع أن أذهب إلى هناك، لأنه لم يكن لدي تصريح بالدخول إلى هناك. ونصحني أصدقائي أن لا أذهب، لأن المستوطنين سوف يكونون هناك، وسوف أتعرض لمزيد من المضايقات... هذا المحل هو مصدر رزقي الوحيد، وأصبحنا لا نغطي تكاليف الكهرباء والماء والتلفون، لقد حوّل هؤلاء المستوطنون حياتنا إلى جحيم[155].

ويقول نضال جمجوم في إفادته للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان واصفاً أعمال المستوطنين:

بتاريخ 2001/1/23م، وفي ساعات ما بعد الظهر، جاء أكثر من 25 مستوطناً، ومعهم حوالي 15 جندياً حمايةً لهم دخلوا إلى حسبة الخضار، وهم يصرخون بهتافات ضدّ العرب، واصفين إياهم بالكلاب والخنازير، وأنهم يستحقون القتل. ثم هاجموا بسطات الخضار والملابس، حتى وصلوا إلى محلي، فقامت امرأتان منهم بقلب الخضار على الأرض، حاولت أن أمنع ذلك لأن المحل هو مصدر رزقي الوحيد، ولكن الجنود تصدوا لي، وأجبروني أن أقف متفرجاً. والمستوطنون يقومون بمهاجمة الحسبة مرتين أو ثلاثاً كل أسبوع، فيعيثون الخراب والفوضى في المكان، تحت بصر وسمع الجيش الذي لا يفعل شيئاً، سوى حمايتهم. لقد حولوا حياتنا إلى جحيم لا يطاق. ومنذ بدء انتفاضة الأقصى، لا يأتي إلينا أي زبائن تقريباً، لأنهم يخشون مضايقات المستوطنين اليهود.

وتشهد مدينة القدس وأحياؤها اعتداءات متكررة من قبل المستوطنين، ففي مساء يوم الأحد الموافق 2000/10/7، على سبيل المثال، تمّ الاعتداء على السيارات العربية المارة على الشارع الرئيسي بين مدينتي القدس ورام الله. وفي اليوم التالي، اعتدى المستوطنون على حي نسيبة والأحياء المجاورة في بيت حنينا.

منطقة أخرى كانت منكوبة خلال انتفاضة الأقصى، جراء تعرضها لاعتداءات متواصلة من المستوطنين هي منطقة المواصي على شاطىء البحر في قطاع غزة، والمحاطة بمجموعة مستعمرات جوش قطيف، ولقد عانى سكانها لمدة خمسة أعوام من الحصار العسكري المحكم. وتحت سمع وبصر الجيش الإسرائيلي الذي لم يحرك ساكناً، قام ما

[155] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 46-47.

يزيد على مئة مستوطن مسلح، في 2001/8/15، بحرق سبعة منازل غير مأهولة، و15 مزرعة بلاستيكية، ناهيك عن إطلاق النار العشوائي وتكسير السيارات.

أما بلدة حوارة، التي تقع بين مدينتي نابلس ورام الله، فقد تأثرت بشكل كبير بعنف المستوطنين واعتداءاتهم، لأن المستوطنين يمرون من وسط البلدة، ويقومون بالاعتداء على الفلسطينيين وممتلكاتهم. وفي هذا السياق، قال رئيس البلدية في لقائه مع المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

> بتاريخ 2000/10/6م، قام المستوطنون بحرق مسجد البلدة وعشرات النسخ من القرآن الكريم بداخله. وفي اليوم التالي، وقعت مواجهات بين الشباب وقوات الجيش والمستوطنين، والنتيجة كانت فرض نظام منع التجول على البلدة بشكل شبه متواصل، ولا يرفعونه إلا لبضعة ساعات أو أيام قيلة [قليلة]، ثم يفرضونه من جديد. والأدهى، أن المستوطنين يستغلون منع التجول، فيقومون بتخريب المحلات والممتلكات وسرقة الكثير منها. وبتاريخ 2001/1/15م، نزل خمسون مستوطناً من مستوطنة "يتسهار" ومعهم جرافة كبيرة، قاموا بتدمير مخزنين أملكهما وقتلوا سبعة خراف وسرقوا أكثر من 43 رأس غنم وخمسة خيول[156].

وخلال ساعات نهار يوم الثلاثاء، الموافق 2001/3/27، قام المستوطنون، وعلى مرأى من جيش الاحتلال، بتحطيم أبواب المحلات التجارية المغلقة في سوق الخضار، وألقوا بمحتوياتها إلى الخارج. وفي ساعات المساء، أشعلوا النيران بالمحتويات، ثم أحرقوا منجرة في منطقة خان الكيال في السوق المركزي المغلق. وفي مساء يوم الأحد الموافق 2001/5/13، فرضت قوات الاحتلال منع التجول على بلدة سنجل شمال مدينة رام الله، حيث قامت مجموعات من المستوطنين باقتحام القرية، وإحراق شاحنة مع رافعة، وتحطيم كميات من الطوب داخل معمل. وقد تمّ هذا الاعتداء تحت سمع وبصر جنود الاحتلال، الذين لم يحركوا ساكناً لإخضاع المستوطنين للقانون.

وبعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق 2001/5/29، شنّ المستوطنون المقيمون في كل من البؤر الاستيطانية: أبراهام أبينو، وبيت هداسا، وبيت رومانو Beit Romano، ورمات يشاي Ramat Yishai، وسط مدينة الخليل، ومن مستعمرتي كريات أربع وخارصينا

[156] **المرجع نفسه**، ص 47-48.

شرقي المدينة، سلسلة من الاعتداءات ضدّ الفلسطينيين في الجزء المحتل من المدينة، وشملت اعتداءاتهم وعربداتهم أحياء: تل الرميدة، وأبو سنينة في البلدة القديمة، وجابر وسط المدينة، والبقعة، وخلة الأشهب شرقي المدينة. وخلال اعتداءاتهم، أطلقوا الأعيرة النارية باتجاه المنازل، وقذفوها بالحجارة والزجاجات الفارغة، وعاثوا في هذه الأحياء فساداً، وحاولوا اقتحام حي أبو سنينة تحت حراسة قوات الاحتلال.

واستناداً على توثيق جمعية القانون، فإن أعداداً كبيرة من جنود الاحتلال، اقتحموا قرية الساوية، مساء يوم الثلاثاء الموافق 2001/6/5، وكانوا يطلقون الأعيرة النارية الرشاشة باتجاه الشوارع والمزارع ومنازل المواطنين العزل، ثم فرضت سلطات الاحتلال منع التجول على سكانها.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ أهالي القرية على استمرار حظر التجول، وسماع أصوات إطلاق النار العشوائي باتجاه منازلهم، واكتشفوا انتشار أعداد كبيرة من المستوطنين في شوارع القرية، كانوا يرافقون قوات الاحتلال، ويشاركونها في إطلاق النار على منازل الفلسطينيين، مما أشاع أجواء من الهلع والرعب في نفوس المواطنين. وفي حوالي الساعة التاسعة صباحاً، بدأ المستوطنون بأعمال اقتحام لعدد من المنازل، وإحراقها، وتحطيم نوافذها وأبوابها وأثاثها، وإشعال النيران في الأراضي الزراعية والمشاتل، ثم اقتحموا ثلاث مدارس في قرية الساوية واللبن الشرقي المجاورة، وحطموا نوافذها وأبوابها وأشعلوا النيران في مدرسة اللبن الأساسية للبنات، ومدرسة الساوية الثانوية للبنات.

وفي صباح يوم الخميس الموافق 2001/7/12، شنّ المستوطنون سلسلة من الاعتداءات ضدّ الفلسطينيين في مدينة الخليل، وبعض البلدات التابعة لها، بمشاركة علنية من قبل جيش الاحتلال وحرس الحدود والشرطة، وامتدت الاعتداءات إلى أحياء: الجعابر، والرأس، وجابر، ووادي الغروس، وجبل جوهر، والكسارة، جنوب وشرقي الجزء المحتل من المدينة. وكان المستوطنون مسلحين ببنادق رشاشة من نوع عوزي وإم–16 ومسدسات وقضبان حديدية وأدوات حادة، وقد اعتدوا على السابلة والمواطنين في منازلهم. وفي مساء اليوم نفسه، هاجم المستوطنون ثلاثة منازل في وادي الغروس وخلة حاضور، تقع بالقرب من معسكر لحرس الحدود، وحطموا أبوابها ونوافذها، واعتدوا على سكانها بالحجارة والقضبان الحديدية وأشعلوا النار فيها.

وفي مساء يوم السبت الموافق 2001/7/14، جدد المستوطنون اعتداءاتهم على المواطنين وممتلكاتهم في أحياء الكرنتينا والسهلة وسوق اللبن والمشارقة التحتا وجابر والجعابرة في الجزء المحتل من المدينة الخاضع لحظر التجول منذ يومين. وقد أسفرت هذه الاعتداءات عن إصابة عدد من المواطنين، بينهم طفلة في الثامنة من عمرها، وتدمير عشر سيارات فلسطينية، وإلحاق أضرار مادية في ممتلكات أخرى[157].

لقد ارتكب المستوطنون أنواعاً شتى من الاعتداءات والممارسات، التي مست المنازل والسيارات والممتلكات، والمصالح التجارية للفلسطينيين في الضفة الغربية، بشكل غير مسبوق خلال السنوات (2000-2011). بل، إن ما حصل في الفترة الأخيرة كان أشد وطأة، وأكثر ضراوة، من أية فترة سابقة. وما زالت الضفة الغربية تدفع ثمناً باهظاً، على المستويين البشري والمادي، لتلك الاعتداءات التي برز خلالها تدهور خطير لحالة حقوق المواطن الفلسطيني.

ففي مساء يوم الأحد 2011/4/3، قامت مجموعة من المستوطنين بالاعتداء على مواطن فلسطيني بالضرب المبرح قرب مستعمرة معاليه إفرايم، شرق مدينة نابلس، مما أدى إلى إحداث كسور في ساقه ويده، بعد أن قامت مجموعة أخرى من عشرين مستوطناً بتدمير نبع المياه الخاص بأراضي قرية مادما جنوب نابلس، وتحطيم أنابيب المياه التي تزود القرية بالمياه[158].

واشتكى سكان قرية حوسان بقضاء بيت لحم من قيام المستوطنين في مستعمرة بيتار عيليت المقامة على أراضي القرية بفتح المياه العادمة على أراضيهم الزراعية في منطقة الحرايق، المزروعة بأشجار الزيتون والعنب والتين واللوز، مما تسبب لهم في خسائر كبيرة ومكاره صحية.

وكان أهالي حوسان قد اشتكوا أيضاً من قيام شركة الباصات الصهيونية "إيجد" بمدّ خطّ المجاري التابع لكراج الباصات والمشحمة على أراضي المزارعين قرب مدخل مستعمرة بيتار عيليت. وأكد الأهالي أن المياه العادمة والزيوت تنساب في الأرض

[157] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[158] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/4/3.

الزراعية مسببة آفة بيئية من ناحية، وأضراراً زراعية تلحق بالأشجار والأرض، مدمرة بذلك البيئة الزراعية، حيث تضررت العشرات من الأشجار المثمرة[159].

5. اقتلاع الأشجار وحرق المحاصيل الزراعية:

يواجه الفلسطينيون في الضفة الغربية عملية إتلاف للمزروعات، واقتلاع للأشجار، من قبل المستوطنيين بشكل واسع، وخاصة في المناطق الريفية والزراعية القريبة من المستعمرات، بل يعدّ موسم حصاد الزرع في الضفة الغربية هو الآخر فريسة لاعتداءات المستوطنين.

آلاف الدونمات التي يحرقها المستوطنون سنوياً، والآلاف من أشجار الزيتون التي يقطعونها سنوياً أيضاً، تؤدي إلى تكبيد المزارع الفلسطيني خسارة عالية في كل عام. فهذه الأرض هي مصدر رزق هذا المزارع الوحيد، وبإتلاف المحصول تتأذى عائلات فلسطينية عديدة. وتعبر هذه الممارسات عن سياسة دائمة، وذلك بهدف الاستيلاء على الأراضي وتوسيع دائرة حدود المستعمرات، كما يحدث أحياناً في مستعمرة سوسيا القريبة من بلدة يطا في جنوب الخليل، ومستعمرة أسفر Asfar التي تقع إلى الشرق بين قريتي سعير والشيوخ.

ومن ذلك، على سبيل المثال، إقدام مستوطنو سوسيا على إحراق أربعين شجرة زيتون مثمرة، إضافة إلى إحراق خمسة آلاف شجرة رعوية من نوع الأكاسيا في 1993/6/14. وبعد عشرة أيام، قام أربعة مستوطنين من المستعمرة نفسها بمنع المزارعين من العمل في أراضيهم المحاذية لحدود المستعمرة، وذلك بحجة أن هذه الأراضي تابعة للمستعمرة[160].

وبحماية من الجيش الإسرائيلي، أقدمت مجموعة من المستوطنين في محافظة طولكرم يوم 1995/7/1، على سلسلة اعتداءات جديدة على أراضي قريتي شوفة وكفر لبد، وصادرت نحو 400 دونم وسيجتها وضمتها لمستعمرة أفني حيفتس. كما قامت مجموعات أخرى من المستوطنين، بقطع وإحراق مئات أشجار الزيتون في منطقة وادي الجاموس بقرية شوقة[161].

---

[159] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/1/11.

[160] أضواء على حقوق الإنسان، مؤسسة الحق، ص 31-32.

[161] صحيفة **النهار**، القدس، العدد 2959، 1995/7/2، ص 1 و7.

يقول إبراهيم الداية، من بلدة أذنا بمحافظة الخليل، إن اعتداءات المستوطنيين تكثر خلال الصيف، حيث يتجولون بأسلحتهم في الجبال، يحرقون المزروعات، ويقطعون الأشجار، ويعتدون على الرعاة، كما يضعون سموماً في الحقول لكي تقتل الأغنام والمواشي.

ويضيف الداية، إن مستوطني كريات أربع، على سبيل المثال، يحرقون جبالاً بأكملها في كل عام، دون أن يكون هناك رادع لهم من السلطات الإسرائيلية. وفي السياق نفسه، يشير المزارع يامين، وهو من قرية جيت القريبة من مدينة نابلس، أنه ينتظر في كل سنة موسم حصاد الزرع نحو ثمانية أشهر، وفي لحظة، يتمّ إشعال النيران فيه من قبل المستوطنين. ويقول: "تمّ إحراق أكثر من 20 دونماً بَذَرتُها بحبوب القمح، وكنت أستعد لحصادها وبيع المنتج، الذي يقدر بأكثر من خمسة آلاف دولار، لكنها أحرقت".

أما المزارع مراد، فقد قال:

> منذ ثمانية أشهر أنتظر لحظة الحصاد، لكي أجني الثمار وأبيعها، إلا أن قطعان المستوطنين المسلحين أشعلوا النيران في محصول القمح اليابس أصلاً، مما سهل سرعة اشتعاله وصعّب القدرة على إخماد النيران المضرمة فيه... ورغم أنني منذ ساعات الصباح الباكر أكون في الحقل، لكي أمنعهم من إحراقه، إذ أن هذا الأمر متوقع من المستوطنين، إلا أن مسلحين منهم قاموا بضربي، أمام جنود الاحتلال القريبين من الموقع، وأشعلوا النيران بالحقل.

ينتظر الفلاح الفلسطيني من 6-7 أشهر ليحلّ موسم الحصاد، كي يعول نفسه وأسرته، أو يسدّ ديناً تراكم عليه بسبب تدهور الوضع الأمني، ليأتي مستوطن لا يتجاوز العشرين من عمره، فيحول الزرع بعود الثقاب إلى رماد. والهدف واضح: تهجير المزارعين من أراضيهم والسيطرة عليها والاستيطان فيها، بحجة أنها أرضٌ بور، غير مستغلة، في الوقت الذي لا يوجد فيه من يدعم المزارع الفلسطيني في الحفاظ على أرضه، ويتكبد الخسائر مرة تلو المرة.

يقول عماد، من مدينة الخليل، إن مستوطني كريات أربع أشعلوا النيران بحقله الذي يحوي أكثر من ستين دونماً من القمح ودوالي العنب، بحجة أنها تعيق حركتهم خلال تنزههم. ويمضي قائلاً: "نخشى البقاء بكل الأوقات في الحقل، حيث إن المستوطنين

لديهم الاستعداد لقتلنا دون محاسب ولا رادع، وهم يعلمون أن هذه الأرض هي مصدر رزقنا الوحيد"[162].

الوجه الآخر من اعتداءات المستوطنين على الأراضي الزراعية الفلسطينية، هو عمليات تجريف الأشجار المثمرة واقتلاعها، وبخاصة أشجار الزيتون المعمرة منذ مئات السنين، والمستوطنون أو حتى سلطات الاحتلال ليسوا بحاجة إلى مبرر أو سبب للقيام بهذا العمل. ففي 1996/6/12، شرعت الجرافات الإسرائيلية بأعمال تجريف واسعة في أراضي قرية دير قديس بقضاء رام الله، بغرض شقّ شارع استيطاني. وقد اقتلعت الجرافات في طريقها قرابة ستين شجرة زيتون مثمرة، قام المستوطنون بنقلها إلى داخل المستعمرة لإعادة زرعها هناك[163].

واقتلع مستوطنو بركان أكثر من ثلاثة آلاف شجرة زيتون مثمرة من أراضي قرية كفل حارس بقضاء نابلس، يوم 1997/8/16، كما تمّ الاعتداء على أراضي جبل كامل، وشعب غناطس، وخلة الجامع وخلة الشايب، في منطقة سلفيت[164].

ويشير التوثيق المتوفر لدى مؤسسة الحقّ الفلسطينية، بخصوص اقتلاع الأشجار المثمرة، ورشّ المزروعات بالمواد الكيميائية، أن هذه سياسة منهجية، يقوم بتنفيذها الجنود والمستوطنون على السواء، الأمر الذي أدى إلى اقتلاع ما يزيد على 227,661 شجرة مثمرة، في الفترة ما بين 1987 وحتى نهاية شهر آب/ أغسطس 1997؛ 50% من الأشجار اقتلعها جنود الاحتلال، و44% من قبل المستوطنين، فيما اشترك الفريقان في اقتلاع 6% منها.

كما قدم التوثيق إحصائية أخرى، شملت الأشهر الثمانية الأولى من سنة 1997، تضمنت اقتلاع المستوطنين وجنود الاحتلال ما مجموعه 17,068 شجرة مثمرة. وقد أشارت مؤسسة الحقّ الفلسطينية، أن هذه السياسة، تتناقض والقانون الدولي الذي يحظر إتلاف أو الاستيلاء على الأملاك، إلا إذا كان ذلك يشكل ضرورة حربية ماسة (المادة 12 من اتفاقية لاهاي والمادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة)[165].

---

[162] قيس أبو سمرة، المستوطنون يحصدون قمح الضفة الغربية بنيرانهم، مجلة **العودة**، لندن، العدد 22، تموز/ يوليو 2009، ص 30-31.

[163] **القدس**، 1996/6/13، ص 1.

[164] **القدس**، 1997/8/17، ص 1.

[165] **الدستور**، 1997/9/9، ص 43.

كانت الجرافات الإسرائيلية تقوم بتجريف حوالي عشرين دونماً، مزروعة بأشجار الزيتون، واقتلاع حوالي 600 غرسة زيتون مثمرة في موقع وادي جاموس في قرية شوقة المحاذية لمستعمرة أفني حيفتس يوم 1997/11/22، بينما كان المستوطنون في مستعمرة كدوميم يقومون بتجريف أرض خلة الجامع وحديقة مزونة في قرية كفر قدومن، وذلك تمهيداً لإغراقها بالكرافانات[166].

مستوطنو عمانوئيل القريبة من بلدة دير استيا، داهموا يوم 1998/4/21، أراضٍ تابعة للبلدة، وأتلفوا ممتلكات زراعية فيها، إلى جانب قفير لتربية النحل في الموضع نفسه. وأصيب مزارع فلسطيني بجروح خطيرة، حين حاول مستوطن منع المزارعين من بلدة يطا من دخول أراضٍ تابعة لهم، بعد أن شقّ فيها طريقاً، ونصب عليها منازل متنقلة وكوخاً[167].

بلدة بديا بقضاء نابلس كان لها هي الأخرى نصيب، حيث قام المستوطنون، وبمساعدة من جنود الاحتلال، بقطع 600 شجرة زيتون في المنطقة المعروفة بـ"ظهر صبح" خلال يومين فقط في بداية شهر أيار/ مايو 1998[168].

تقارير المنظمات القانونية، بينت أن اعتداء المستوطنين على الأراضي الزراعية شهدت تصعيداً واضحاً بدءاً من حزيران/ يونيو 1998. ففي قرية دير الحطب، على سبيل المثال، اقتلع المستوطنون ثمانين شجرة زيتون يوم 1998/3/11، و250 شجرة على أرض مساحتها 612 دونماً يوم 1998/9/11[169].

وذكر تقرير وزارة الشؤون المدنية الفلسطينية، أن المستوطنين اقتلعوا خلال شهر حزيران/ يونيو 1998 حوالي 1,650 شجرة زيتون، وأحرقوا 200 دونم قمح تعود لمواطنين من الخليل وجنين وسلفيت. ومن هذه الاعتداءات، إقدام المستوطنين على رش أكثر من 350 شجرة زيتون مثمرة بمواد كيميائية وحارقة، مما أدى إلى إحراق هذه الأشجار التي تعود لمواطن من قرية بيتر[170].

---

[166] **الأسواق**، 1997/11/23.

[167] **الحياة**، 1998/4/22، ص 3.

[168] **الدستور**، 1998/5/2، ص 20.

[169] **الدستور**، 1998/3/12، ص 12؛ و**الرأي**، 1998/9/12، ص 48.

[170] **الدستور**، العدد 11100، 1998/7/13، ص 40.

وفي التقرير الشهري للمركز القانوني للدفاع عن الأرض التابع لهيئة الشمال في اللجنة الوطنية لمواجهة الاستيطان، تبين أن المستوطنين اقتلعوا في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1998، ما مجموعه 2,700 شجرة زيتون في محافظة نابلس، وأحرقوا 140 شجرة زيتون في رام الله، و170 شجرة زيتون وتفاح وجوافة في محافظات قطاع غزة[171].

شارع غزة – رفح الذي يمرّ بمحاذاة ما كان يعرف بمستعمرة كفار داروم Kfar Darom، تحول إلى قطعة جرداء بعد أن كان أكثر مناطق قطاع غزة نضرة وخضرة. والسبب هو المستوطنون، الذين استغلوا الحظر الذي فرضه الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين من استخدام الشارع خلال انتفاضة الأقصى المبارك، وقاموا باقتلاع ما يشاؤون من أشجار النخيل المتميزة بغزارة إنتاجها ومذاقها الطيب، ونقلوها إلى داخل المستعمرات، ومنهم من سمح لنفسه الإتجار بهذا النخيل، حيث قاموا بشحنه وبيعه داخل فلسطين المحتلة سنة 1948.

لم تقتصر أعمال النهب والسرقة على النخيل، بل إن المستوطنين استغلوا حماية جنود الاحتلال، وقاموا بنهب المشاتل التي تكثر في المنطقة، والتي كانت توفر أشتالاً للزراعة لجميع مناطق القطاع. وكذلك الحال بالنسبة للطين الفلسطيني، الذي هو الآخر، لم يسلم من عمليات النهب، وبخاصة من منطقة دير البلح[172].

جميعة القانون والمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان وغيرهما، وثقت عشرات الحالات من اعتداءات المستوطنين على المزارعين وممتلكاتهم خلال انتفاضة الأقصى، سواء في الضفة الغربية أو في قطاع غزة.

ومن تلك الاعتداءات، ما حدث مساء يوم الإثنين الموافق 2001/1/15، حيث تجمع نحو 500 مستوطن أمام بوابة مستعمرة نفيه ديكاليم Neve Dekalim، ومن هناك انتشروا في منطقة مواصي خان يونس، واعتدوا على ممتلكات الفلسطينيين تحت حماية قوات الاحتلال، حيث قاموا بتجريف ثلاثة دونمات مزروعة بالجوافة، ودفيئة مزروعة بالخضار، وست دفيئات مزروعة بالخضار، ودونمان مزروعان بأشجار الجوافة والنخيل، ودونمان مزروعان بالجوافة وهدموا ثلاثة مخازن وجزءاً من مزرعة دواجن،

[171] **الدستور**، العدد 11295، 1999/1/24، ص 12.

[172] **السبيل**، العدد 368، 2001/1/16، ص 14.

وأحرقوا دفيئتين مزروعتين بالخضار، إلى جانب إحراق جزئي لدفيئتين مزروعتين بالخضار، وتخريب دفيئة ثالثة، وتدمير غرفة ومضخة مياه، وتجريف قطعة أرض مساحتها دونم واحد مزروعة بأشجار الجوافة في منطقة مواصي القرارة.

وفي مساء يوم الجمعة الموافق 2001/4/27، أشعل المستوطنون النار في ثمانية دونمات مزروعة بالحبوب. كما أشعل المستوطنون النيران في 15 دونماً مزروعة بالخضار، حيث أتت النيران على المزروعات بشكل كامل، وعلى خيمة بما فيها من أسمدة ومبيدات وخراطيم مياه ومضخة.

وفي مساء يوم الأحد الموافق 2001/6/17، أقدمت مجموعة من المستوطنين القاطنين في البؤرة الاستيطانية رمات يشاي المقامة في حيّ تل الرميدة وسط مدينة الخليل، على اقتلاع وقص 300 شجرة عنب، إضافة إلى تخريب المعرشات الخاصة بها، وتدمير السلاسل الحجرية المحيطة بالأرض. وفي صباح اليوم التالي، قام المستوطنون بإحراق الأشجار المقتلعة.

وفي اليوم نفسه، ترجل ثلاثة من المستوطنين من سيارتين، كانت تتبعها أربع سيارات جيب عسكرية، وأضرموا النار في أراضي قريتي رامين وبيت ليد، على جانبي شارع طولكرم – نابلس، حيث اشتعلت النيران بأشجار الزيتون، وامتدت لتطول أراضي بلدة عنبتا أيضاً. وأتت النيران على الأشجار المزروعة في حوالي 2,500 دونم بالزيتون واللوز والتين، وعندما هبّ المواطنون لإطفاء الحريق، أطلق جنود الاحتلال النار عليهم، ومنعوهم من فعل ذلك. وكذلك منعت قوات الاحتلال أهالي قرية كفر قدوم، من إطفاء الحريق الذي أضرمه مستوطنو كدوميم في أراضي القرية يوم 2001/6/17، ونتج عنه احتراق 400 شجرة زيتون، و200 شجرة من اللوزيات.

وفي صباح يوم الجمعة الموافق 2001/6/20، تجمع عدد كبير من مستوطني يتسهار، جنوبي مدينة نابلس، على جانب الشارع الالتفافي الذي يفصل بين قرية بورين والمستعمرة، ورشوا مادة قابلة للاشتعال على الأراضي الزراعية، ثم أشعلوا النار فيها، حيث امتدت ألسنتها لتلتهم أشجار الزيتون المزروعة على مساحة ما يزيد عن 250 دونماً في جبل سلمان الواقع جنوبي قرية بورين.

وأفاد عدد من أهالي القرية، أنهم كلما نجحوا في إخماد النار، كان المستوطنون يعيدون إضرامها من جديد، حتى أصبح متعذراً عليهم إخمادها، وعندما وصلت النيران إلى حدود المستعمرة، حضرت سيارات إطفاء إسرائيلية وقامت بإخماد الحريق في محيط المستعمرة فقط، بينما أبقت على النيران المشتعلة في أراضي الفلسطينيين، حيث أتت على 1,820 شجرة زيتون مثمرة، و251 دونماً زراعياً.

وأضرم مستوطنون النار في حقول قرية جيت القريبة من قلقيلية بعد ظهر يوم الإثنين الموافق 2001/8/6، حيث أتت النيران على مساحة 75 دونماً من الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون واللوز[173].

وخلال نهار يوم الجمعة الموافق 2002/10/18، هاجم عدد من مستوطني أفرات، منطقة بطن المعصي، غربي بلدة الخضر في محافظة بيت لحم، واقتلعوا سبعين شجرة زيتون و22 شجرة لوزيات، وانهالوا بالضرب المبرح على صاحبها، عندما حاول منعهم من الاعتداء على أرضه[174].

أما في هجوم المستوطنين على المزارعين، وهم يقطفون الزيتون في بيت فوريك، فقد استشهد فريد نصاصرة، وأصيب ثلاثة آخرين، قال أحدهم، ويدعى خالد عيسى نصاصرة:

> يوم الثلاثاء الموافق 2000/10/17م، وبعد إجراء التنسيق مع مكتب الارتباط، توجهت مجموعة من المزارعين إلى حقولهم لقطف الزيتون، وبعد حوالي ساعتين، جاء 15-20 مستوطناً، وبدأوا فجأة بإطلاق النار في جميع الاتجاهات، فحاول المزارعون أن يحتموا وراء أي شيء، أصيب فريد في صدره وأنا في رجلي. وأصيب ابن عم آخر لي برصاصة في بطنه. وهذه الجريمة وقعت أمام أعين الجنود الإسرائيليين الذين لم يكونوا بعيدين عن المكان. وقد اعتقلت الشرطة اثنين من المستوطنين، ثم أفرجت عنهما بعد 18 ساعة لعدم كفاية الأدلة[175].

---

[173] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[174] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، التقرير الأسبوعي حول الانتهاكات الصهيونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، 17-2002/10/23.

[175] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 33.

وفي هجوم مماثل، وقع في 2000/11/1، جُرح مزارعان وهما يقطفان الزيتون في قرية عوريف قرب نابلس. وقد أفاد أحد الجرحى، ويدعى فوزي هليل شحادة:

> في ذلك اليوم، ترك أفراد أسرة الصفدي منزلهم وذهبوا لقطف الزيتون. وبينما نحن نفعل ذلك، وإذا بحوالي عشرين مستوطناً يهاجموننا، هربنا باتجاه القرية ولكنهم لحقوا بنا. أطلق أحدهم النار فأصاب سعيد عبد الصفدي، 18 سنة، بجروح خطيرة. كما أصيب فالح محمد الصفدي، 38 سنة، في بطنه. وقد حمل المزارعون الجريحين مسافة 2 كيلومتر قبل أن تنقلهما سيارة إلى مستشفى رفيديا في نابلس. وأدخلا إلى غرفة العمليات فوراً، ومكث سعيد في المستشفى 21 يوماً وفالح 15 يوماً. وقد قمنا بالاتصال بمكتب الارتباط الذي بدوره أبلغ الإسرائيليين بما حصل، فجاء الجيش وسألوا بتهكم: لماذا لم تطلقوا النار عليهم؟ وقد طلب منا مكتب الارتباط الإسرائيلي أن نحضر في اليوم التالي للتعرف على المستوطنين الذين هاجمونا، ولكن في اليوم التالي لم يأتِ أحد منهم[176].

كما كانت عائلة حمدالله على موعد مع إرهاب المستوطنين بعد أن خرجت من بيتها في عقربا، الواقعة على سفح تلة تحتل قمتها مستعمرة إيتمار، وتوجهت إلى كروم الزيتون. وشارك في هذه الرحلة المأساوية، كل من وديع وابن شقيقه هاني حمدالله والنساء، وكان بينهم طفل صغير لم يتجاوز العامين.

بعد فترة قصيرة وصلت مجموعة من المستوطنين، وكان أفراد العائلة قد افترشوا الأرض بحاجياتهم وباشروا قطف الزيتون. فانهال المستوطنون عليهم بالضرب، وأصابوا أحدهم، عندها لاحظ أحد سكان عقربا ما حصل، فاستدعى الشرطة، غير أنها لم تفعل أي شيء مع المستوطنين، وكل ما فعلته، أنها أمرت المستوطنين بمغادرة المكان، ثم عادت أدراجها. وبعد فترة قصيرة من مغادرة الشرطة كرم الزيتون، توجه المستوطنون نحو تلة قريبة من عائلة حمدالله، وأطلق أحدهم رصاصة واحدة استهدفت هاني حمدالله، فاخترقت صدره وأردته قتيلاً[177].

---

[176] **المرجع نفسه**، ص 39.

[177] آمال شحادة، رحلة الموت إلى زيتون فلسطين، **الوسط**، 2002/10/14، ص 11.

ولأكثر من شهرين في نهاية سنة 2008، وبشكل منظم، شنّ المستوطنون اعتداءات وهجمات على الفلسطينيين، وممتلكاتهم، ومزروعاتهم في مدن الضفة الغربية وقراها. فقد واظب المستوطنون، كما هي الحال في كل عام، على مهاجمة المزارعين في القرى لمنعهم من جني ثمار زيتونهم، أو العناية بمسابك خضارهم وأزهارهم، أو منعهم من سلوك بعض الطرق.

وأعنف الاعتداءات، شنها المستوطنون في قرى محافظة رام الله، حيث قطعوا أكثر من 75 شجرة زيتون معمرة في قرية رأس كركر، وثمانين شجرة أخرى في قرية شوقة جنوب قلقيلية، وحطموا خطّ المياه الرئيسي إلى القرية، ثم قطعوا الطريق العام بين رام الله ونابلس[178].

وخلال تشرين الأول/ أكتوبر 2002، شنّ المستوطنون حملة لا سابق لها، لترهيب المزارعين الفلسطينيين خلال موسم قطف الزيتون، تكررت في السنة التالية، حيث قام المستوطنون أيضاً، بقطع مئات من أشجار الزيتون، أكثرها في قرية الزاوية القريبة من نابلس[179].

وفي صيف سنة 2005، قام المستوطنون بقطع 850 شجرة زيتون في قرية مردا بقضاء نابلس لوحدها. إذ إن مجموعة من المستوطنين حضرت إلى الأراضي الواقعة بين القرية ومستعمرة أريل المجاورة، وقامت بقطع عدد من أشجار الزيتون باستخدام مناشير كهربائية، وقد تداعى الأهالي إلى المنطقة للتصدي للمستوطنين مما حدا بالمستوطنين لمغادرة المكان. ولكنهم عادوا في ساعات العصر، ومعهم تعزيزات من قوات الاحتلال، التي وفرت لهم الحماية، حيث استأنفوا عملهم بقطع الأشجار[180].

أحد أكثر الأحداث خطورة وقع لمصطفى هموص (52 عاماً)، في 2001/1/6، حيث أفاد:

> كنت أرعى أغنامي الخمسة على بعد 200 متر من بيتي على أطراف بلدة حوارة... بعد حوالي ساعة، جاء مستوطنان مسلحان برشاشات "عوزي" من مستوطنة يتسهار المجاورة ومعهما كلبان. قالا إنني تعديت على أرضهما، وأنه

[178] **فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 2004، ص 7.

[179] **فلسطين المسلمة**، تموز/ يوليو 2005، ص 5.

[180] **القدس العربي**، العدد 4499، 2003/11/6، ص 5.

يجب أن أعاقب على ذلك. أجبراني أن أجلس ويداي إلى أعلى، وأخذا يرشقانني بالحجارة، وهما يصرخان باللغة العربية: لا تتحرك وإلا ستموت. حاولت بعد عشرة دقائق أن أتحرك وأهرب، ولكن أحدهما ضربني بحجر كبير على رأسي وبدأت أنزف بغزارة. تمكنت أخيراً من الهرب بعد نصف ساعة تقريباً، واحتاج الجرح إلى عشر غرز في مستشفى رفيديا في نابلس[181].

وفي سنتي 2010 و2011 بات حديث المزارعين في قرى جنوب نابلس هو البحث عن كيفية حماية محاصيلهم الزراعية، وخاصة حقول القمح من حرائق المستوطنين؛ وهو ما أجبر العديد منهم على سرعة حصادها خشية حرقها، ذلك أن المستوطنين بدأوا بتطبيق سياسة قديمة جديدة، ألا وهي "سياسة الأرض المحروقة" التي أصبحت ظاهرة تؤرق الفلسطينيين وتقضّ مضاجعهم. فقد شهدت الفترة الأخيرة تزايداً ملحوظاً في اعتداءات المستوطنين على أراضي الفلسطينيين الزارعية وحقولهم وأشجار زيتونهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تجاوزه إلى إحراق هذه الأراضي والمحاصيل والأشجار، بعدما أحرقوا المساجد والمدارس وغيرها، بهدف إرهاب السكان وتشريدهم.

وما زال محيط مستعمرات يتسهار وإيتمار وبراخا جنوب نابلس، يشهد أياماً دامية من اعتداءات المستوطنين، فلا يكاد يمرّ يوم واحد دون أن يكون فيه حرائق مدبرة، أو إغلاق للطرق، وضرب المواطنين وجرحهم، وسرقة لثمار الزيتون تحت تهديد السلاح.

يقول المزارع محمد قادوس:

مع إطلالة كل يوم جديد نتهيأ لمعركة جديدة لا نعرف ما هي، لأنها تخضع لمزاج مستوطني يتسهار في الغالب، وكل من يتعرض ويقاوم المستوطنين يكون مصيره إما الاعتقال أو الجرح على يد جيش الاحتلال، الذي يزعم أنه محايد ويريد منع الاحتكاكات، وفي الحقيقة يحمي المستوطنين، وسط غياب كامل للسلطة وأجهزتها الأمنية.

المستوطنون ينفذون خططاً مدروسة للاستيلاء على أراضٍ جديدة، ويحاولون توسيع البؤر الاستيطانية من خلال الربط بين بؤرة وأخرى على حساب أراضي المواطنين بقرى جنوب نابلس، فينفذون الاعتداءات اليومية على المواطنين العزل وممتلكاتهم ومزروعاتهم دون حماية من أي كان. ومن ذلك، إقدام مستوطنين ظهر يوم

[181] عصام نعمان، ثلاثة كيانات حول إسرائيل، **العرب اليوم**، 2008/12/15، ص 13.

الأحد 2011/2/20 على قطع 220 شجرة زيتون بين قريتي قصرة ودوما، بعد أن تسللوا من مستعمرة ياش آدم وشرعوا بمناشيرهم الكهربائية بقطع أشجار الزيتون التي تعود ملكيتها لسكان قرية دوما، تحت حماية مستوطنين آخرين مسلحين بالأسلحة الرشاشة للاعتداء على كل من يتصدى لهم.

كما هاجم المستوطنون بعد عصر يوم الجمعة 2010/2/25 قرية المغير شمال شرق رام الله، وقاموا بتدمير العديد من محاصيل القمح. وقال شهود عيان إن مستوطني عادي عاد A'adi A'ad اقتحموا الأراضي التابعة للقرية، وقاموا برشّ محاصيل القمح بمادة كيميائية بواسطة جرار زراعي، مما أدى إلى إتلاف عشرات الدونمات الزراعية، وذلك تنفيذاً لتهديدات المستوطنين السابقة بمنع المواطنين من الاستفادة من أراضيهم القريبة من المستعمرة، والتي يطمع المستوطنون بمصادرتها. وكان جنود الاحتلال يقدمون الحماية للمستوطنين، في الوقت الذي منعوا فيه الفلسطينيين من التوجه إلى أراضيهم لحمايتها.

وفجر الجمعة 2011/3/4، اقتلع المستوطنون أكثر من 500 شتلة زيتون من أراضي قرية قصرة جنوب مدينة نابلس، قام المواطنون الفلسطينيون بزراعتها قبل أسابيع، وقاموا بالاعتداء على حقول زيتون أخرى.

وواصل المستوطنون اعتداءاتهم على البشر والشجر في مختلف مناطق الضفة الغربية، حيث اقتلع مستوطنو علي زهاف Alei Zahav صباح يوم 2011/3/27 نحو 21 شجرة زيتون في بلدة دير بلوط، غرب سلفيت. وفي صباح اليوم التالي، اقتحم عشرات المستوطنين بحماية جيش الاحتلال منطقة البويب شرق يطا بمحافظة الخليل، وقاموا بالاعتداء على المزارعين ورعاة الأغنام في المنطقة بشكل همجي، مما أثار حالة من الرعب والخوف بين المواطنين.

عشرات المستوطنين قاموا، بحماية من جنود الاحتلال، بالاعتداء على أراضي المواطنين ومزروعاتهم في منطقة سوسيا شرق يطا يوم السبت 2011/4/2، وذلك بإدخال أعداد كبيرة من الأغنام، مما أدى إلى تخريب المزورعات والأشجار.

وقامت مجموعة من مستوطني بات عاين يوم الإثنين 2011/4/10، بمداهمة خربة صافا ووادي أبو الريش وعين البيضاء والعرق، في بلدة بيت أمر قرب مدينة الخليل،

بحماية جيش الاحتلال، واعتدوا على المزارعين فيها، ومنعوهم من فلاحة أراضيهم، واقتلعوا 45 شجرة زيتون، وأعلنوها منطقة عسكرية مغلقة.

ولا تشهد قرى وبلدات جنوب نابلس وحدها اعتداءات من المستوطنين؛ بل إن بقية القرى والبلدات في الضفة يسري عليها الحال نفسه، ففي وادي قانا بالقرب من سلفيت، اعتدى نحو عشرة مستوطنين يوم الأربعاء 2011/4/27 على مزارعين بالضرب المبرح، ورشقوهم بالحجارة.

تعدّ منطقة وادي قانا، بحسب تصنيفات الاحتلال، محمية طبيعية على امتداد 10 آلاف دونم، حيث يحاول الاحتلال منع أصحاب الأرض من زراعتها أو استغلالها والاستفادة منها، حيث يوجد فيها سبع مستعمرات تسهم في ابتلاع الأرض وتدمير طبيعة المنطقة الجمالية، بالإضافة إلى تدمير البيئة في المنطقة عبر ضخّ مياه الصرف الصحي الصادرة من المستعمرات التي تحيط بالوادي صوب أراضي الفلسطينيين. ويؤثر انعدام الأمن والاعتداء الصهيوني المتواصل على المزارعين على عملية الزراعة في الوادي بشكل كبير، حيث زادت مساحة الأراضي المهجورة وغير المستغلة حتى وصلت إلى نصف المساحة الزراعية الكلية.

جعلت بعض المستعمرات، مثل إيتمار ويتسهار وبراخا، كلاً من قرى: حوارة، وبورين، وعصيرة القبلية، وعورتا، وبيتا، ومادما، وغيرها من قرى جنوب نابلس تعيش حالة من الحرب غير المتكافئة مع المستوطنين كل يوم بحماية قوات الجيش، وأحد أوجه هذه الحرب هو حرق المحاصيل الزراعية. فقد أحرق مستوطنون قدموا من مستعمرة يتسهار يوم 2011/5/20، حقولاً فلسطينية مزروعة بالقمح في بلدة عصيرة القبلية، وحاولوا إحراق منزل بعد مداهمته، إلا أن أهالي القرية تصدوا لهم، ولكن أصيب العديد من المواطنين بحالات الاختناق جراء إطلاق قوات الاحتلال الغاز المسيل للدموع.

وعاود عشرات المستوطنين من مستعمرة يتسهار اعتداءاتهم ظهر يوم الخميس 2011/6/2، فأضرموا النار في أراضٍ مزروعة بالقمح والشعير بالمنطقة الجنوبية من قرية بورين، مما أدى إلى احتراقها بالكامل. كما أضرم آخرون النار بالقرب من منطقة بئر الشعرة بقرية مادما، في حين نصب مستوطنون كمائن على الطريق الرئيسية بين مدينتي رام الله ونابلس، وشرعوا برشق السيارات الفلسطينية بالحجارة، وألحقوا أضراراً بعدد منها.

وأقدم مستوطنون على إضرام النيران في أراضٍ مزروعة بأشجار الزيتون واللوز في قرية دير الحطب الواقعة إلى الشرق من مدينة نابلس ظهر يوم الإثنين 2011/6/6، مما أدى إلى احتراق حوالي 200 شجرة زيتون و50 شجرة لوز.

أما في الخليل، فقد أقدم عشرات المستوطنين من مستعمرة كريات أربع على إحراق عشرات الدونمات الزراعية بين مستعمرة كريات أربع وبلدة بني نعيم جنوب المدينة، وذلك في ساعات ظهر يوم الأربعاء 2011/6/8، حيث انتشرت النيران بشكل سريع في حقول القمح المزروعة على مئات الدونمات المحيطة بالمستعمرة.

وفي يوم الخميس 2011/6/16، قام مستوطنون من إيتمار ويتسهار بإشعال النار بأراضٍ زراعية في منطقة المرج بالجهة الغربية من قرية عورتا، حيث تضررت حوالي سبعة دونمات، مزروعة بالقمح، جراء هذا الحريق قبل تمكن الدفاع المدني الفلسطيني من السيطرة على النيران. ولم يكتفِ المستوطنون بذلك، إذ أن مجموعة منهم كانت تستقل إحدى السيارات شرعت بإلقاء الحجارة والزجاجات الفارغة على سيارات المواطنين عند المدخل الرئيسي للقرية.

وواصل المستوطنون اعتداءاتهم في مختلف مناطق الضفة الغربية؛ حيث أقدم عدد من مستوطني ميتاتياهو Matityahu الشرقية، على إحراق عشرات أشجار الزيتون في أراضي قرية بلعين، غرب رام الله مساء الخميس 2011/6/15، بينما قام جيش الاحتلال بعرقلة وصول إطفائية الدفاع المدني لإطفاء الحرائق. كما أقدم مستوطنون على إحراق حوالي ثلاثين دونماً من الأراضي المزروعة بعشرات أشجار الزيتون قرب مدخل بلدة يعبد الشرقي، غرب مدينة جنين؛ حيث الحاجز العسكري لجنود الاحتلال، مساء اليوم نفسه، وامتدت آثار الحريق حتى صباح الجمعة. كما أضرم مستوطنون النار في حقول بقرية المغير شمال رام الله، تحت حماية قوات جيش الاحتلال التي تراقب الأراضي على مدار الساعة، مما أدى إلى احتراق أكثر من أربعين دونماً مزروعة بالقمح والشعير.

كانت ألسنة النار تلتهم عشرات الدونمات في منطقة جنين قبل أن تخمد النيران في أراضي بورين وعورتا جنوب نابلس، مما يؤشر على منهجية احتلالية تستهدف الأرض والإنسان معاً. إذ تكثف عدد مرات إضرام النيران في حقول القرويين الفلسطينيين ومزارعهم، وشهدت تزايداً ملحوظاً في موسم حصاد 2011، مما أثار مخاوف المزارعين الفلسطينيين والمؤسسات التي تعنى بالعمل التنموي.

فقد أقدم مستوطنون من إيتمار، على إشعال النار في أراضي قرية مادما، جنوب نابلس، فيما اعتقلت قوات الاحتلال أحد أفراد الدفاع المدني الذين توجهوا إلى المنطقة لإطفاء الحريق. وقال المزارع أبو محمد عواد، من عورتا، إن المستوطنين قاموا بعمليات الحرق في نقاط متفرقة، مما أسهم في تشويش عمليات إخمادها، بسبب عدم قدرة سيارات الإطفاء على الوصول إلى غالبية النقاط المشتعلة، خاصة في ساعات الليل.

وفي السياق نفسه، قام مستوطنو يتهسار يوم 2011/6/20، بحرق حقول القمح والشعير لمزارعي بلدة عصيرة، جنوب نابلس، حيث تدخلت قوات الاحتلال لحماية المستوطنين كعادتها، ومنعت المزارعين من التصدي لهم. وبعد عشرة أيام، أضرم مستوطنو يتهسار النار بمساحات واسعة من الأراضي الممتدة ما بين جنوب بلدة بورين وحتى بلدة حوارة، جنوب مدينة نابلس، وبمسافة تقدر بأربعة كيلومترات، مما استدعى طلب المساندة من طواقم الدفاع المدني في سلفيت وإطفائية بلدية نابلس، واستدعاء كافة المتطوعين في المناطق المجاورة للسيطرة على هذه الحرائق. وفي يوم الجمعة 2011/7/1، أضرم مستوطنون النار بأراضٍ مزروعة بالزيتون في قرية كفر قدوم قرب قلقيلية، حيث أتت النيران على عشرات الأشجار قبل أن تتمكن إطفائيات الدفاع المدني الفلسطيني من إخماد الحريق.

أما في عقربا، جنوب نابلس أيضاً، فقد أقدم العشرات من مستوطني إيتمار مساء الأحد 2011/7/3 على إحراق 450 شجرة زيتون، بينها 150 شجرة زيتون رومية يزيد عمرها عن مئات السنين، في منطقة العرمة، وهي من أراضي بلدة عقربا وتقع بين بلدات عقربا ويانون وعورتا.

في ظهر يوم الجمعة 2011/7/15، أضرم أكثر من عشرين مستوطناً النيران بأراضي منطقة جبل سلمان في قرية بورين، جنوب مدينة نابلس، مما أدى لإحراق أكثر من ثمانين دونماً من الأراضي الزراعية، ومئات الأشجار من الزيتون[182].

6. تدنيس الأماكن المقدسة واستباحتها:

عندما تعجز التنظيمات الإرهابية الإسرائيلية عن نسف أو تخريب الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة عبر عمليات سرية، تقوم المجموعات الاستيطانية بتحقير تلك الأماكن وإهانة المسلمين والمسيحيين على السواء، كأن تقوم تلك المجموعات باحتساء الخمر، أو

[182] بتصرف عن: المركز الفلسطيني للإعلام، تقارير إخبارية، 2011/2/22-2011/7/15.

انتعال الأحذية في المقدسات الإسلامية، وإدخال الكلاب إلى تلك الأماكن وتناول المأكولات وكافة أنواع المشروبات في ساحتها، هذا فضلاً عن القيام، أحياناً، بتمزيق الكتب الدينية أو تدنيسها أو مصادرتها، على نحو ما يحلو لها الأمر.

نبدأ مع المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وإليه أسري رسولنا الكريم ﷺ، وفيه حائط البراق، ومنه كان المعراج إلى السماوات العلى. إذ أن مطامع الصهيونية والمنظمات اليهودية بالسيطرة عليه وتدميره، ليست جديدة، بل تأتي في مقدمة الأهداف الرئيسية لدى الزعماء الدينيين والسياسيين الإسرائيليين. وخلال الفترة 1967-1975، بدأت الحكومة الإسرائيلية العمل على إزالة الأقصى الشريف، فصادرت أملاك الوقف الإسلامي المحيطة بالمسجد، وباقي الأماكن الإسلامية في القدس الشرقية[183].

ولكن الموضوع أخطر من ذلك، والاستعدادات الإسرائيلية للسيطرة على المسجد الأقصى لم تتوقف عند بضع عشرات من المستوطنين، تضغط لاقتحام المسجد وإقامة الصلوات اليهودية داخله، أو سماح الشرطة الإسرائيلية لـ 19 مستوطناً يهودياً بدخول المسجد الأقصى، والتجوال في ساحاته، تحت حمايتها وبمرافقة أفراد منها، فهناك محاولات عدة قام بها المستوطنون لإحراق المسجد الأقصى المبارك وتدميره[184]، هي:

- المحاولة الأولى، قام بها المستوطن دينس مايكل روهان، حيث تمكن من إحراق المسجد القبلي، وادعت السلطات بأنه مريض نفسياً، وقد ثبت أنه عضو في تنظيم "بيت أي" المتطرف.
- المحاولة الثانية، قام بها المستوطن دونال لرز سنة 1974، وهو مدرس في معهد ديني يهودي بالقدس.
- المحاولة الثالثة، قادها المستوطن نفسه سنة 1978، وكان معه ثمانية أعضاء من عصابة "منظمة خلاص إسرائيل" Salvation For Israel، والتي كان هدف أعضائها تحويل "إسرائيل" إلى دولة توراتية عن طريق هدم المساجد.

---

[183] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 45.

[184] وليد نجم، المسجد الأقصى هدف صهيوني، **الشرق الأوسط**، 1991/5/16، ص 3.

- المحاولة الرابعة، قادها المستوطن نفسه أيضاً، لأنه ظلّ طليقاً، وذلك في سنة 1981، وكانت محاولته تقضي بوضع عبوة ناسفة قرب الحائط الغربي للمسجد الأقصى بمساعدة ضباط في الجيش الإسرائيلي، إلا أن المسلمين اكتشفوا المؤامرة قبل وقوعها.
- المحاولة الخامسة، قام بها المستوطن ألان هاري جودمان Alan Harry Goodman في 1982/5/11، بعد أن دخل مسجد قبة الصخرة بلباسه العسكري، وبدأ يطلق النار عشوائياً على المصلين من بندقية إم–16، الأمر الذي أسفر عن استشهاد ثلاثة وجرح أكثر من سبعين مصلياً.
- المحاولة السادسة، تمت عندما قام 46 مستوطناً باقتحام المسجد الأقصى عن طريق الحفريات التي تجريها سلطات الاحتلال بجواره، وهم يحملون صناديق متفجرات. وقد تصدى لهم من كان في المسجد والمصلين، فلاذوا بالفرار بينما ألقت السلطات الإسرائيلية القبض على زعيم هذه المجموعة، ويدعى شمعون برده Shimon Barda.
- المحاولة السابعة، التي قام بها يهودا عتصيون، في نيسان/ أبريل 1984، تمّ اكتشافها بمساعدة مجموعة من الطيارين، واستهدفت تدمير المسجد الأقصى باستخدام الطائرات الحربية والأسلحة المتطورة[185].
- المحاولة الثامنة، كشفت السلطات الإسرائيلية النقاب عنها، بعد اعتقال أعضاء التنظيم الإرهابي الذي نفذ الهجمات ضدّ رؤساء البلديات الشكعة وخلف والطويل، حيث أدين أعضاء التنظيم أيضاً بتهمة التآمر والتخطيط لنسف قبة الصخرة عن طريق شنّ هجوم داخل المسجد الأقصى.
- المحاولة التاسعة، فقد كانت إثر اعتقال المستوطن ليبال كنان بتهمة التخطيط لإطلاق قذائف صاروخية على قبة الصخرة المشرفة، بعد أن أجرى تجربة أطلق خلالها قذيفة "آر بي جي" على بيت مهجور في مستعمرة جفعات شموئيل Givat Shmuel، حيث تقيم عائلته. وعلى الرغم من عدم وجود أية دلائل سابقة تشير إلى أن المستوطن كنان يعاني أو عانى في الماضي من اضطرابات عقلية، إلا أن المحكمة الإسرائيلية اكتفت بتحويله للفحص لدى طبيب نفسي[186].

---

[185] **القدس العربي**، العدد 3081، 1999/4/5، ص 5.

[186] صحيفة **المسلمون**، السعودية، العدد 370، 1992/3/6، ص 4.

لم يقتصر استهداف المستوطنين للمسجد الأقصى على محاولة فرض الوقائع على الأرض عن طريق القوة، أو توزيع منشورات وملصقات في شوارع القدس تدعو كافة المستوطنين لإقامة صلاة جماعية في باحة المسجد الأقصى لإحياء ما وصفوه بـ"ذكرى خراب الهيكل"، بل بدأوا منذ سنة 1996 بتصعيد حملتهم وأنشطتهم الرامية إلى تقسيم المسجد الأقصى، على غرار ما فرض في الحرم الإبراهيمي، وبما يتيح لليهود إقامة الصلوات في المسجد الأقصى. ويتزعم هذه الحملة المنظمتين: أمناء جبل الهيكل وحي فاكيام، وهما من الجماعات الرئيسية الناشطة في محاولة فرض السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى[187].

الخليل من أهم المدن الفلسطينية من الناحية التاريخية والدينية، ويوجد في أحضانها الحرم الإبراهيمي، لذا تعدى عدوان المستوطنين الأهالي والمنازل والأسواق والأحياء، ليشمل المقابر والمساجد، حيث شوهدت نجمة داود مرسومة على شواهد القبور، إضافة إلى أن أحد المساجد كتب عليه شعارات عنصرية تضمنت شتم الرسول ﷺ والعرب والمسلمين، وأخرى تدعو إلى قتل العرب جميعاً[188].

منذ اللحظة الأولى لاحتلال الضفة الغربية، وضع الإسرائيليون نصب أعينهم السيطرة على الحرم الإبراهيمي وتحويله إلى كنيس. وبدأ اليهود في زيارة الحرم عنوة، ثم حصل موشي ديان على موافقة من رئيس بلدية الخليل، آنذاك، محمد الجعبري لزيارة اليهود للحرم. وحتى كتابة هذه السطور، لم يبقَ للمسلمين سوى ساحة المنبر للصلاة، حيث يتعرض الزائر المسلم للتفتيش، بينما يسرح المستوطنون بأسلحتهم دون أن يعترضهم أحد. بل إن أحدهم بال في الحرم الإبراهيمي، وآخر مزق المصحف الشريف وداسه بقدمه، وآخرون اعتدوا على المصلين المسلمين، وآخرون منعوهم من أداء الصلاة، وركلوا جثمان سيدة متوفية أحضر ذووها جثمانها للصلاة عليها.

ويروي أحد الحراس حادثة أخرى، عندما دخل المستوطنون الحرم ذات مرة، وكان الإمام يستعد لإقامة الصلاة؛ فداسوا على السجاد بأحذيتهم، وانهالوا على الإمام ضرباً عندما حاول منعهم، وسقطت عمامته فداسوها بأرجلهم. ونشب شجار بينهم

[187] **يديعوت أحرونوت**، 1995/11/30.

[188] **القدس العربي**، العدد 2242، 1996/7/24، ص 6.

وبين المصلين، وكانت النتيجة اعتقال الإمام لمدة شهر. وفي اليوم التالي، دخل آخرون الحرم ومزقوا المصاحف وداسوها بأقدامهم.

الزائر للحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل، يشعر أنه يزور مكاناً خرج من أيدي أصحابه، وتسلمه الإسرائيليون. فعلى الباب وفوق الحرم، يطلّ الجنود ببنادقهم جيئة وذهاباً. وفي الداخل، ينتشر المستوطنون كأنهم في بيتهم، بينما يجلس عجوز مسلم يقرأ القرآن بصمت في أحد الأركان، قرب مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام. ولولا وجود حارس عربي غير مسلح يدعو للدخول لما تجرأ أحد على المضي قدماً في زيارة الحرم. فالحرم، من الداخل، مليء بالمقاعد المعدنية التي أحضرها الإسرائيليون للصلاة، وتوجد أدوات خشبية غريبة عن جو المسجد، حتى المصلى نفسه داخل الحرم، فإن أرضيته مكشوفة بلا سجاد، إلا في الجزء الأمامي منه. والزوار يجوبونه بأقدامهم دون خلع الأحذية.

ويقول الحارس إن الحرم يغلق أمام المسلمين بعد ظهر الجمعة حتى ظهر السبت، حيث يحتكره المستوطنون للصلاة، كما يسمح للمستوطنين بالصلاة في جميع الأوقات، إذ أن الحرم مقسوم فعلياً إلى قسمين؛ القسم الأكبر لليهود، والقسم الأصغر للمسلمين، وهذا الوضع غير قائم في المسجد الأقصى. ففي القدس، تكفي إشارة من مؤذن حتى يتواجد أكثر من ألف مسلم للدفاع عنه، أما في الحرم الإبراهيمي، فالوضع مختلف كلياً. فالاعتداءات على المسلمين تكاد تكون يومية، حيث يتعذر وصول المتطوعين نظراً لموقعه، في حين أن المسجد الأقصى يقع ضمن منطقة سكنية أغلبها مسلمون.

إضافة الى ما سبق من أمثلة، يحرص المستوطنون على إحضار النجاسة والمنكر إلى الحرم، كالخمور في حفلات الختان، والكلاب أحياناً، بل إن الجنود أحضروا كلباً بوليسياً، وأوقفوه على الباب، ليشم ملابس المصلين، وبالتالي تنجيسها. ومن هذه الحوادث: إدخال كلب في 1970/1/17، ثم كلبين في الليلة التالية، وإدخال كلب في 1977/2/23، وإدخال خمور في 1974/9/5 مع تحطيم زجاجة على أرض المسجد، وإحضار خمر وإقامة حفل ختان طفل في 1975/3/18، وإحضار خمور في 1978/3/24 وشربها، وترك بعضها مع سكب الخمرة على أرضية الحرم لتدنيسه، إضافة إلى إقامة حفلات الدبكة والرقص ولعب الورق وطاولة الزهر. وكانت آخر بدعة، قيام مستوطن بالتبول داخل الحرم في مطلع كانون الأول/ ديسمبر 1987.

كما عمد المستوطنون إلى إضافة مواد حارقة في أباريق مياه الوضوء، وكثيراً ما منعوا المؤذن من إقامة الأذان والإمام من قراءة القرآن، ولجأوا أيضاً إلى تقطيع أسلاك مكبر الصوت. ونظراً لكثرة الاعتداءات، لم يبقَ أحد من موظفي الحرم إلا وتعرض للضرب، بدءاً بالإمام، إلى رئيس السدنة، مروراً بالمؤذن والحراس. كما أصيب أحد الحراس برصاصة في ساقه، وبدلاً من نقله للإسعاف، تمّ نقله إلى مقر الحكم العسكري وهو ينزف، في محاولة للضغط عليه وتغيير أقواله، لتبرئة مطلقي النار من المستوطنين.

كذلك، أطلق جندي النار على امرأة في أثناء خروجها من الحرم فأرداها قتيلة، واتهموها بمحاولة طعن الجندي، على الرغم من أن شهود العيان شاهدوها وهي تتعثر على الدرج، وتسقط قرب جندي، فأطلق عليها جندي آخر النار، مبرراً فعلته بأنه ظنَّ أنها ستهاجم زميله.

الممارسات الإسرائيلية داخل الحرم لا تقتصر على الاعتداءات اليومية على المسلمين، بل تعدتها إلى الاعتداء على حرمة الحرم ذاته، حيث تمّ نزع شعار الهلال الإسلامي وبعض الزخارف عن مقامات الأنبياء، ونسف باب الناصر قلاوون، وهو باب أثري عمره مئات السنين منذ زمن المماليك. وكذلك ردم بئر أثرية تمّ حفرها في زمن الناصر صلاح الدين. كما عمدت إلى تغطية صحن الحرم بالقماش والكتان لتغيير معالمه الإسلامية ولتكريس تهويده، إضافة إلى إدخال مقاعد وخزائن وكتب التوراة، ووضعها بشكل دائم، مع وضع لافتات بالعبرية. وتقول دائرة الأوقاف الإسلامية إن عدد الاعتداءات الإسرائيلية على الحرم بلغ أكثر من ألف حتى بداية الانتفاضة سنة 1987، وصار أي احتجاج على ممارسات سلطات الاحتلال والمستوطنين يعدّ استفزازاً وليس العكس[189].

وبعد المجزرة التي ارتكبها المجرم باروخ غولدشتاين داخل الحرم في 1994/2/25، قسمت سلطات الاحتلال الحرم بين اليهود والمسلمين، فأغلقت الحرم أمام المصلين وحالت دونهم وتأدية الصلاة في الأيام التي خضعت للمستوطنين، بل إنها غضت الطرف عن منع المستوطنين المؤذن من رفع الأذان عن طريق مكبرات الصوت أيام السبت، بحجة أن رفع الأذان هو بمثابة انتهاك لحرمة السبت عند اليهود. وحين احتج المسلمون على هذه الاستفزازات، قام المستوطنون بقطع أسلاك مكبرات الصوت[190].

[189] موقع صحيفة **فلسطين**، 2008/11/25.

[190] **الرأي العام**، الكويت، العدد 9289، 1989/10/21، ص 1.

سخرية المستوطنين من الإسلام والرسول ﷺ، بلغت ذروتها، حين وزعوا، يوم 1997/6/28، صوراً تجسد الرسول الكريم وهو عارٍ مرفقة ببيانات تحريضية يهددون فيها الفلسطينيين بارتكاب مذابح جديدة. وفي المرة الثانية، وزع المستوطنون آلاف المنشورات التي تحمل صورة خنزير، يرتدي كوفية على رأسه، ومكتوب عليه اسم محمد باللغتين العربية والإنجليزية، ويحمل قلماً بحافره الأيمن، في حين يضع حافره الأيسر على المصحف والذي كتب عليه "القرآن"، باللغتين العربية والإنجليزية أيضاً. وقد وزع المستوطنون هذه المنشورات، في منطقة السملة قرب سوق الخضار المركزي، في وسط البلدة القديمة، وفي البؤرة الاستيطانية في تل الرميده، التي تقع على خطوط التماس بين المنطقتين إتش1 وإتش2 بناء على تقسيمات بروتوكول الخليل بين السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية.

سلطات الاحتلال اعتقلت تايتانا سوسكين، بتهمة وضع الملصقات، التي تسيء إلى الرسول ﷺ والقرآن الكريم على واجهات المتاجر. واتهمت سوسكين بارتكاب أعمال عنصرية، وإثارة الحساسيات الدينية، ومساندة جماعة إرهابية، وتعريض حياة أشخاص للخطر برشقها سيارة عربية بالحجارة، وتبلغ أقصى عقوبة لهذه الاتهامات السجن لمدة 26 عاماً، إلا أن المحكمة الإسرائيلية حكمتها ثلاث سنوات، منها سنة مع وقف التنفيذ[191].

ومع أن هذا الحكم يعدّ مخففاً، ولا يتناسب مع حجم الجريمة التي ارتُكِبَت، خاصة، وأن المستوطنة لها إسباقيات، سواء بالنسبة لمشاركتها في تدنيس المسجد الأقصى الشريف، والمشاركة مع حركة كاخ في الاعتداء على العرب، إلا أن سلطات الاحتلال أبت حتى أن تقضي سوسكين مدة العقوبة هذه، فأحالتها على أطباء نفسيين، ووضعتها رهن الإقامة الجبرية، ثم أعادت اعتقالها ثانية بعد أن خرقت أمر الإقامة الجبرية. وفي 1998/11/6، أفرجت إدارة السجون الإسرائيلية عن سوسكين بعد أن أمضت في السجن 17 شهراً، أي ثلث مدة عقوبتها، لحسن سلوكها![192].

[191] **القدس**، العدد 9627، 1996/6/16، ص 1.

[192] **القدس العربي**، العدد 2695، 1998/1/9، ص 7.

لم يكن تصرف سوسكين مستنكراً من قبل الحاخامات، وحتى السياسيين الإسرائيليين، بل أضحت مسيرات المستوطنين في الضفة الغربية أكثر استفزازاً لمشاعر المسلمين، خاصة، وأن ترديد الهتافات العنصرية التي تسيء للدين الإسلامي، وضدّ شخص النبي محمد ﷺ، أصبحت سمة دارجة في شوارع البلدة القديمة في الخليل.

ففي يوم 1997/7/12، نظم المستوطنون مسيرة انطلقت من محيط مستعمرة بيت هداسا لتجوب شوارع البلدة القديمة وتصل إلى الحرم الإبراهيمي الشريف، بدعوى القيام بشعائر السبت الدينية. وضمن تلك الشعائر، ردد المستوطنون هتافات ضدّ الإسلام والرسول الكريم، كما دعوا إلى قتل العرب، وذلك على مسمع من الجنود الإسرائيليين، الذين وفروا الحماية لهم[193].

وفي يوم 2000/10/19، كتب المستوطنون على باب أحد المتاجر، وعلى حائط أحد المساجد القريبة من مستعمرة أبراهام أبينو بالعبرية "محمد لوطي وخنزير"، ورسموا تحت هذه الكتابة نجمة داود[194].

وتكرر هذا الأمر في قرية النبي إلياس، حيث قامت مجموعة من المستوطنين بالإساءة لمقام الرسول ﷺ، بكتابة الشعارات المناوئة على أحد جدران المساجد وعدد من المنازل. وتمت كتابة شعارات أخرى على جدران مسجد آخر بعد أسبوع، مما يعني إصرار المستوطنين على هذه الاعتداءات[195].

وعمد مستوطنون إلى تدنيس مسجد قرية الساوية، بجنوب نابلس، بكتابات تشتم الرسول عليه السلام، وبرسم نجمة داود على جدرانه. كما رسم المستوطنون، الذين دخلوا القرية فجر يوم الثلاثاء الموافق 2000/12/2، نجمة داود على أبواب عدة محال تجارية، وثقبوا عجلات ثماني سيارات[196].

وضمن سلسلة الاعتداءات المتكررة من قبل المستوطنين على المساجد، أقدمت مجموعة من المستوطنين، الذين داهموا قرية كفل قليل بقضاء نابلس، على اقتحام

---

[193] **السبيل**، العدد 258، 1998/11/10، ص 20.

[194] **الدستور**، 1997/7/13، ص 21.

[195] **الحياة**، العدد 13736، 2000/10/20، ص 4.

[196] **فلسطين المسلمة**، العدد 3، آذار/ مارس 2006، ص 8.

مسجد القرية يوم 1989/2/10، حيث حطمت أبواب المسجد ومنافذه، وألقت بنسخ من القرآن الكريم على الأرض بعد تمزيقها[197].

أما في بلدة بورين، الواقعة إلى الغرب من قرية كفل قليل، فقد أضرم المستوطنون، يوم 1990/1/26، النار في مسجد شُيِّد حديثاً في البلدة، مما أدى إلى خسائر فيه، قدرت بحوالي 75 ألف دولار. وكانت الخسائر في مسجد قرية حوارة أقل بعد أن حطم المستوطنون، يوم 1990/2/13، أضواء مسجد القرية مرتين خلال خمسة أيام، بعد أن دخلوا القرية بحماية الجنود الإسرائيليين[198].

واقتحم مستوطنون مسجد النبي يونس في مدينة حلحول، تحت حماية قوات الاحتلال، يوم 1990/3/30، وقاموا بالصلاة في داخل المسجد، بينما قام جنود الاحتلال بتصوير المسجد من الداخل والخارج[199].

وقام نحو خمسين مستوطناً يهودياً، بعضهم مسلح، بأعمال شغب في قرية قيرة، يوم 1992/3/19، وحطموا مكبرات الصوت في مسجد القرية الذي دخلوه بأحذيتهم، وبعثروا كتباً فيه بما في ذلك القرآن الكريم[200].

وفي رابع اعتداء ينفذه المستوطنون، في محاولاتهم للاستيلاء على مسجد النبي صموئيل بالقدس، وتحويله إلى مركز يهودي، اكتشف إمام المسجد، يوم 1992/5/20، أن المستوطنين اقتحموا إحدى الغرف التي تخصّ المسجد، بعد أن قاموا بتكسير الباب، واستخدموا الغرفة في تخزين مهمات وأثاث خاص بهم. وقد تمكنت دائرة الأوقاف الإسلامية من استعادة الغرفة، وإخراج المستوطنين منها[201].

كما ارتكب المستوطنون جريمة مشابهة لما حدث لمسجد بورين، ولكن هذه المرة في قطاع غزة، حين داهمت مجموعة منهم جامع العقاد في مدينة خان يونس تحت حماية

---

[197] **العرب اليوم**، العدد 4179، 2008/12/3، ص 12.

[198] **الرأي العام**، الكويت، العدد 9051، 1989/2/11، ص 1.

[199] **القبس**، العدد 6365، 1990/1/27؛ و**الرأي العام**، الكويت، 1990/2/14.

[200] صحيفة **الاستقلال**، قبرص، العدد 32، 1990/3/31، ص 2.

[201] **الخليج**، العدد 4702، 1992/3/23، ص 11.

جنود الاحتلال، يوم 1993/3/30، واعتدوا على المصلين في داخله، ثم أضرموا النار في محتويات المسجد، مما أدى إلى احتراقه بالكامل[202].

جار السوء لم يستطع السكون أو الهدوء، ورؤية جاره يعيش هنيئاً، فقد قام المستوطنون، وفي فترات متفاوتة، بوضع عبوات ناسفة على مداخل المدارس العربية والمساجد التاريخية في مدينة الخليل، مثل مسجد الشيخ علي البكاء، ومسجد القزازين، في محاولة لارتكاب مجازر، لكن الفلسطينيين استطاعوا كشف العبوات.

وعند اقتحام المستوطنين لمدرسة اليعقوبية الأساسية بالبلدة القديمة في الخليل، يوم 1997/7/8، قاموا بكسر أبواب المدرسة، وتحطيم كراسي الطلبة، بالإضافة إلى تمزيق ست نسخ من القرآن الكريم، وطلائها بالدهان، وكذلك الحال بالنسبة للرسومات الخاصة داخل الغرف الصفية.

وفي بلدة عورتا بقضاء نابلس، انتهك نحو 200 مستوطن مقامات إسلامية في البلدة، حيث اعتلوا سطح مقام السبعين شيخ وسط المقبرة، وقاموا بالرقص والدبك، وداسوا القبور دون اعتبارات للمشاعر، ثم توجهوا إلى مقامات المفضل والعزيزات، وجددوا ممارساتهم بشكل استفزازي. وقد شاركت قوات الاحتلال في هذا الاعتداء، حيث نصبت الكمائن على مدخل البلدة، وقامت بالتدقيق في هويات الفلسطينيين[203].

واكتشف مصلون في قرية بيرنبالا، الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، يوم الجمعة الموافق 1998/9/25، قنبلة وضعها مستوطنو بسجات زئيف، قبالة باب مسجد القرية القديم، في محاولة للمسّ بالمصلين في أثناء توجههم لصلاة الفجر. وقد اتصل المصلون بالجيش الإسرائيلي، المسؤول عن الأمر في تلك المنطقة، والذي بدوره فكك القنبلة وفجرها في موقع عسكري قريب، دون أن يعلن عن اعتقال أي مستوطن. ووفق ناطق باسم الجيش الإسرائيلي، فإن القنبلة من الحجم الكبير ومن النوع الذي يستخدمه الجيش الإسرائيلي نفسه، وكانت موصولة إلى أحد أبواب المسجد، بحيث تنفجر في حال فتح هذا الباب[204].

---

[202] **الرأي**، العدد 7959، 1992/5/22، ص 26.

[203] **الهدف**، العدد 1141، 1993/4/4، ص 10.

[204] **الرأي**، العدد 10173، 1998/7/16، ص 34.

أما في قرية زعترة القريبة من مدينة بيت لحم، فقد نجح المصلون، يوم 1998/10/7، في إطفاء الحريق الجزئي، الذي نتج عن إلقاء المستوطنين لزجاجتين حارقتين على مسجد القرية، قبل امتداده إلى مختلف أرجاء المسجد[205].

المقامات الدينية، إضافة إلى القصور الزراعية تشكل جزءاً من التراث الفلسطيني، وشواهد على التاريخ الحضاري، ونموذجاً للعمارة الدينية والشعبية، خاصة، وأنها تعود للفترة المملوكية والعثمانية. ولذلك، كانت هذه المقامات، المنتشرة في الجبال وعلى التلال، هدفاً لاعتداءات المستوطنين. ففي أحد المقامات الدينية الذي يقع على تلة أغريطس، في الأراضي التي أقيمت عليها مستعمرة بيت إيل، عاث المستوطنون تخريباً في المقام، الذي اعتاد أصحاب الأرض من سكان قريتي عين يبرود ودورا القرع تسميته بمقام الشيخ عبد الله، وحطموا مبنى المقام، وانتزعوا حجارة القبر الذي يعتقد أن الشيخ عبد الله دفن فيه، وكتبوا على ما تبقى من الجدران: "هنا أرض إسرائيل"[206].

واستباح المستوطنون العديد من مساجد الضفة الغربية خلال انتفاضة الأقصى، خاصة بعد إعادة الجيش الإسرائيلي احتلال المدن الفلسطينية. وكان أخطر تلك الاعتداءات، ما تعرض له مسجد بلدة حوارة، جنوب نابلس، فجر يوم الخميس الموافق 2000/10/12، حين أقدم مستوطنو يتسهار على إضرام النار في المسجد، مما أدى إلى احتراق أغلب السجاد فيه. ومع ذلك، وصل سكان البلدة إلى المسجد، عن بكرة أبيهم، على الرغم من خطورة التجول، وإطلاق الجنود الرصاص المطاطي باتجاههم، حيث أدوا صلاة الجمعة في اليوم التالي[207].

ليلة الإثنين الموافق 2004/4/11، قام رعاع المستوطنين، يحرسهم جيش الاحتلال، بتخريب الباب الرئيسي لمسجد الأقطاب في البلدة القديمة من مدينة الخليل، واستولوا على المسجد، وألقوا محتوياته من سجاد ومصاحف وكتب في الشارع، ثم قاموا بإضافة درج من داخل المسجد يمتد إلى سطح البؤرة الاستيطانية أبراهام أبينو، التي ابتلعت العشرات من المحلات التجارية بما فيها سطح المسجد. ومنذ ذلك الوقت، المسجد مغلق

[205] **القدس العربي**، العدد 2917، 1998/9/26، ص 5.

[206] **الرأي**، العدد 10257، 1998/10/8، ص 34.

[207] **الرأي**، العدد 10722، 2000/1/17، ص 32.

تماماً، ولا يرفع فيه الأذان، ولا يسمح لأي فلسطيني بمن فيهم سدنته وموظفوه بالوصول إليه بتاتاً.

وتعرضت كل من مساجد: الكيال، والبركة، والزاوية، والعمري للمصير نفسه، حيث لا يرفع فيها الأذان ولا يسمح للمصلين بالوصول إليها. وتقع هذه المساجد، أيضاً في محيط البؤرة الاستيطانية أبراهام أبينو. ولا يحتاج المستوطنون إلى قرار عسكري حتى يمارسوا أعمالهم القذرة، فقد منعوا الفلسطينيين من الاقتراب من دائرة الأوقاف الإسلامية، بل قاموا بإحراق المكاتب، والاعتداء على الموظفين، وتحطيم المحتويات. وقد توجت تلك الاعتداءات، بإغلاقهم للدائرة نهائياً، ومنعهم أي موظف من الوصول إليها، بعد سلسلة من الاستفزازات التي لا تعدّ ولا تحصى[208].

مسجد الحميدية في منطقة فاعوز التابعة لبلدة الخضر، بجنوب مدينة بيت لحم عمره أكثر من 700 عام، جرى ترميمه سنة 2006، ويؤدي المسلمون فيه صلاتي الظهر والعصر، فيما يصعب عليهم أداء الصلوات الأخرى، بسبب محاذاة المسجد لمستعمرتي إلعازار Elazar وإفرات. وقد استغل المستوطنون ذلك، وقاموا بإضرام النار في المسجد كاملاً، وهدموا سقف المسجد، واستولوا على الأراضي المحيطة به[209].

ولم تقف انتهاكات المستوطنين عند حدّ المساجد والمقدسات الإسلامية فقط، بل تعدت ذلك لتشمل الاعتداء على المواقع الدينية المسيحية. وقد رصدت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان العديد من تلك الانتهاكات، ومنها مقبرة الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية في نابلس، والتي تعرضت لأعمال حفر وعبث من قبل المستوطنين. كما أضرم مستوطنون النار في الكنيسة الأسكندية في طبريا في 1995/8/27، وحطم آخرون أرضية الفسيفساء في الكنيسة البيزنطية في طبريا أيضاً[210].

وأقدمت مجموعة من المستوطنين يوم الجمعة 2010/10/29 على كسر الشباك الخلفي من مبنى كنيسة في شارع الأنبياء بالقدس، مكون من طابقين، وإلقاء زجاجات

---

[208] **القدس العربي**، العدد 3555، 2000/10/14، ص 5.

[209] **الدستور**، 2004/5/3، ص 35.

[210] **فلسطين المسلمة**، شباط/ فبراير 2008، ص 5.

حارقة أدت إلى حرق الطابق الأرضي بكل محتوياته. وهذه الكنيسة بنيت منذ سنة 1897، وكانت عبارة عن مبنى لكلية فلسطين للكتاب المقدس، حيث تمّ تهجير كل العاملين فيه إلى البلدة القديمة بعد النكبة الفلسطينية، وأعيد تأهيله في سنة 1967[211].

وفي سنة 2011، أشار تقرير صادر عن مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان، إلى تصاعدٍ في وتيرة الانتهاكات الصهيونية بحقّ المقدسات واستمرار الاحتلال في سياسته التعسفية بحقّ أماكن العبادة الإسلامية، الأمر الذي يعدّ انتهاكاً صارخاً للحقوق الإسلامية في فلسطين. فقد شهدت الضفة الغربية منذ مطلع سنة 2011 وحتى 2011/6/8 تصعيداً ملموساً وخطيراً بحقّ المقدسات الإسلامية.

وقد رصدت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان جملة من الانتهاكات الصهيونية بحقّ المقدسات الإسلامية، ومن أبرز هذه الانتهاكات إقدام عشرات المستوطنين، على إحراق مصلى تابع لمدرسة بلدة حوارة جنوب مدينة نابلس في 2011/5/3. كما أقدمت مجموعات استيطانية يوم 2011/6/7 على إحراق مسجد المغير الكبير، شمال شرق رام الله، مما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة وجسيمة بالمسجد[212].

7. القتل بعد التقييد:

في أثناء الاعتداءات التي ينفذها المستوطنون ضدّ البلدات والتجمعات السكانية الفلسطينية، يحدث أن يقع أحد الجرحى أرضاً، دون أن يقوى على متابعة الهرب بعيداً عن أيدي هؤلاء المجرمين. وقد تكررت هذه الحادثة عدة مرات، خلال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى سنة 1987، وكذلك خلال انتفاضة الأقصى المبارك سنة 2000، وفي الحالتين، قام المستوطنون بتقييد الجريح، ثم إطلاق النار عليه، وتركه ينزف حتى الموت.

الشاب فايق صبحي سويدان (19 عاماً)، من بلدة بيت حانون بقطاع غزة، طارده المستوطنون يوم 1989/7/31، وأصابوه من مسافه قريبة بعيار ناري في صدره، وأمسكوا به، ومنعوا تقديم الإسعافات له، كما منعوا سيارات الإسعاف من الوصول إليه، علماً أنه كان بالإمكان إنقاذ حياته لو سمحوا بذلك[213].

---

[211] المركز الفلسطيني للإعلام، 2010/10/29.

[212] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/6/8، نقلاً عن: تقرير مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان.

[213] **القدس العربي**، العدد 2242، 1996/7/24، ص 6.

صباح يوم الثلاثاء الموافق 1993/3/23، كان الشاب موسى أبو صبحة، بالقرب من خربة سوسيا القريبة من بلدة يطا، عندما صادفه يئير هارسيناي، مستوطن معروف للعرب في المنطقة بأنه غريب الأطوار، ويدعي بأنه تاب وأضحى متديناً ويعتاش من رعي الأغنام، ولكنه سبق وأن تعارك مع أهالي يطا بسبب تعديه على أراضيهم.

اتصل هارسيناي بواسطة جهاز اللاسلكي بزوجته، التي استدعت في الحال مستوطناً آخر، يدعى موشيه دويتش، وقد وصل إلى المكان بسيارة جيب، وأخذ يستجوب أبو صبحة، ويسأله عن غايته، ومكان منامه، ثم أرغمه على الصعود إلى الجيب للتحقيق معه في المستعمرة. وفي الطريق، ادعى دويتش أنه شعر بضربة على كتفه، فاستدار ليشاهد أبو صبحة وقد أشهر سكيناً ليطعنه بها.

دويتش طلب النجدة بجهاز اللاسلكي، وكان من بين الذين سمعوا النداء يورام سكولنيك Yoram Skolnik (30 عاماً)، سائق سيارة باص لنقل الطلاب، قد سبقه إلى المكان عدد من المستوطنين، الذين أوثقوا يدي ورجلي أبو صبحة، وجلس مطأطأ الرأس نحو الأرض، منتظراً نقله إلى المعتقل. ولكن سكولينك أخذ في الحال رشاش عوزي، وأطلق ثماني رصاصات في ظهر أبو صبحة على مرأى من الحضور، مما أدى إلى استشهاده على الفور.

القاتل ادعى عند وصول الشرطة بأنه أسرع إلى المكان وشاهد أبو صبحة واقفاً وبيده قنبلة يدوية، ولذا أطلق النار عليه خشية أن يقترب من مدرسة المستعمرة التي تبعد 250 متراً من مكان الحادث. وبعدئذ اختلقوا رواية القنبلة الارتجاجية، التي عثر عليها داخل ثياب الشهيد، وكيف أن المستوطنين أخرجوا القنبلة بسرعة تحسباً أن تنفجر ووضعوها بعيداً، تمهيداً لتفكيكها.

رواية القنبلة استهدفت توفير مبرر للجريمة التي ارتكبها سكولنيك، بدعوى أن الشهيد أبو صبحة أراد تفجير نفسه مع المستوطنين حوله، ولذا اضطر سكولنيك إلى إطلاق النار عليه لإحباط العملية الانتحارية[214]. بعدئذ رفع مستوطنون في مستعمرة كريات أربع، لافتة كتب عليها "كلنا يورام سكولنيك"، وذهب عدد من المستوطنين إلى شرطة الخليل للاحتجاج على اعتقال القاتل، والمطالبة بإطلاق سراحه فوراً. وفي محكمة

[214] **القبس**، العدد 6188، 1989/8/1، ص 1.

الصلح رافق يورام سكولنيك عشرات من مستوطني مستعمرة معاليه حافر، عندما أدخل إلى قاعة المحكمة في القدس، التي قررت تمديد اعتقاله على ذمة التحقيق عشرة أيام فقط، بدلاً من 15 يوماً كما طلبت الشرطة[215].

وبعد نحو سبعة أعوام، قررت لجنة استئناف السجون في وزارة العدل الإسرائيلية، إطلاق سراح المستوطن سكولنيك، بدعوى أنه حسن السيرة والسلوك، غير أن النيابة العامة قررت مواصلة اعتقاله، فما كان من محكمة العدل العليا، إلا أن أخذت بقرار لجنة استئناف السجون، فقررت هي الأخرى، إطلاق سراح سكولنيك، الذي قضى في السجن أطول فترة اعتقال من بين المستوطنين الذين ارتكبوا جرائم قتل بحقّ الفلسطينيين[216].

أما في انتفاضة الأقصى المبارك، فقد وثقت المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان جريمة قتل محمد حامد شلش (18 عاماً)، في 2000/12/17، حيث قال الحاج حامد شلش، في إفادته:

> كان محمد وبعض وطلاب المدرسة، ينتظرون سيارة تاكسي للعودة إلى المنزل، ولكنهم رأوا سيارة مستوطنين تأتي نحوهم، فهربوا باتجاه قرية عابود، ولكن محمد ركض في الاتجاه المعاكس إلى الحقول، فلحق به اثنان من المستوطنين، فأمسكا به وأطلقا النار على رأسه من مسافة 3-5 أمتار، وتركاه يموت. وبعد ثلاث ساعات، وصل الجيش الإسرائيلي ومعه سيارة إسعاف، وأخذوا الجثة إلى مستشفى أبو كبير في تل أبيب للتشريح. وقد قامت الشرطة بتوقيف ثلاثة مستوطنين ليلة واحدة، ثم أفرجت عنهم في اليوم التالي[217].

وأما الشهيد نجيب عبيدو (20 عاماً)، فقد قتله مستوطن بدم بارد، وهو ملقى على الأرض جريحاً. وتبدأ قصة نجيب عبيدو، بمهاجمته شرطياً إسرائيلياً، ولكن الشرطي أطلق عليه النار وأصابه، وتركه على الأرض ينزف. وقابل الشرطي مستوطناً في الطريق، وأخبره بما حدث، فذهب المستوطن إلى حيث كان نجيب ملقى على الأرض، وأطلق عليه النار في رأسه من مسافة قريبة جداً.

---

[215] **البيادر السياسي**، العدد 59، 1993/4/3، ص 14.

[216] **فلسطين المسلمة**، آذار/ مارس 2001.

[217] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 33.

وقد قال جهاد عبيدو، شقيق الشهيد، أن المسألة لم تكن أبداً دفاعاً عن النفس بالنسبة للمستوطن، الذي كان يقصد أن يقتل نجيب، وهو جريح ينزف دماً، وأضاف:

> يوم الجمعة الموافق 2000/12/22م، ذهب أخي نجيب إلى بيت أختي لتناول طعام الإفطار في رمضان. خرج من البيت حوالي الساعة الثانية والنصف عصراً. سمعنا في الأخبار أن شاباً فلسطينياً حاول طعن شرطي، ولكنه أصيب بإطلاق نار من المستوطنين في الخليل، لم نكن نعرف أن المقصود هو أخي نجيب. بعد ساعة تقريباً اتصل ضابط مخابرات إسرائيلي بأخي الكبير، ماهر، وطلب منه أن يحضر حالاً إلى مكتب الإدارة المدنية. حين ذهب إلى هناك، أخبروه أن نجيب قد مات بعد أن أطلق عليه مستوطنون النار وقتلوه، وكان قبل ذلك قد حاول قتل شرطي طعناً، فأصابه الشرطي الذي ذهب على حدّ قولهم ليحضر الإسعاف[218].

وفي واحدة من أبشع جرائم القتل التي يقترفها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين، استشهد مساء يوم الخميس الموافق 2002/1/31، الفتى لؤي أحمد موسى عديلي (16 عاماً)، من قرية أوصرين جنوبي شرق مدينة نابلس، جراء إصابة بعيار ناري في الرأس، أطلقه باتجاهه مستوطن مسلح ببندقية عوزي، من مسافة صفر.

واستناداً إلى تحقيقات جمعية القانون، قام عدد من الأطفال والفتيان من قرية أوصرين، برشق الحجارة باتجاه سيارات المستوطنين الذين يستخدمون الشارع الاستيطاني "شارع ألون"، الموصل ما بين مفترق زعترة جنوبي مدينة نابلس، ومستعمرات الأغوار. وفي هذه الأثناء، أوقف أحد المستوطنين سيارته، وأطلق عياراً نارياً باتجاه جبين الفتى عديلي من مسافة صفر، فاخترق العيار الناري رأسه ونفذ من الخلف، واستشهد على الفور. وفي أعقاب هذه الجريمة، فرضت قوات الاحتلال طوقاً أمنياً على المنطقة، ومنعت الأهالي من الاقتراب منها، وقامت باحتجاز جثة الشهيد حتى مساء يوم السبت الموافق 2002/2/2[219].

---

[218] **المرجع نفسه**، ص 34.

[219] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، التقرير الأسبوعي حول الانتهاكات الصهيونية في الأراضي المحتلة، 1/31-2002/2/6.

كما أقدم مستوطن من مستعمرة يتسهار، جنوبي مدينة نابلس، مساء يوم السبت الموافق 2002/6/8، على إضرام النار في جثمان الشهيد أحمد ياسر أحمد صالح (18 عاماً)، من قرية عصيرة القبلية جنوبي نابلس، بعد استشهاده على أيدي حراس المستعمرة. وكان الشهيد صالح قد حاول التسلل إلى المستعمرة من جهتها الغربية، ولكن الحراس تمكنوا من قتله على الفور. وبعد استشهاده، نقل جثمانه إلى المكان الذي كان من المفترض أن تصل إليه سيارة الإسعاف لإخلائه، وفي هذه الأثناء، تقدم أحد المستوطنين من الجثمان، وسكب كمية من الوقود عليه، ثم أضرم فيه النار على مرأى من الجنود[220].

8. الضرب حتى الموت:

الضرب المبرح يمثل نهجاً آخر من أساليب إرهاب المستوطنين، وتنفيسهم لحقدهم على الفلسطينيين. وفي معظم حالات ضرب المواطنين الفلسطينيين، كان أفراد من الجيش أو الشرطة الإسرائيلية يقفون وينظرون، دون تدخل منهم. بل لم يسبق أن بلغ عنف المستوطنين ووحشيتهم ما بلغاه خلال الانتفاضة الفلسطينية، التي بدأت في كانون الأول/ ديسمبر 1987. فبعد أيام، حملت وسائل الإعلام، تقارير عن ضرب على نطاق واسع، وعن دخول المستوطنين القرى والتجمعات السكانية الفلسطينية، وضرب جميع من يصادفونه في طريقهم، نساءً ورجالاً، يشاركهم، بطبيعة الحال، الجنود الإسرائيليين الذين انكبوا بهرواتهم البلاستيكية الطويلة على الأيدي والأرجل محاولين كسرها.

من الشواهد على ذلك، اعتداء المستوطنين يوم السبت الموافق 1989/1/4، على الفتى نعيم أحمد أبو نعيم، بينما كان على أطراف قرية المغير الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة رام الله. فبعد أن قاموا بإسقاطه عن حماره، ضربوه بوحشية، وأصابوه بكسور في الجهة اليسرى من الجمجمة، الأمر الذي نتج عنه أن رقد في حالة غيبوبة تامة في مستشفى المقاصد في القدس إلى أن قضى شهيداً. وقد غادر المستوطنون المنطقة بعد اعتدائهم على الفتى أبو نعيم في سيارتهم، دون أن يتعرضوا لأي مساءلة من الشرطة الإسرائيلية، التي لم تحقق حتى في القضية[221].

---

[220] المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، التقرير الأسبوعي: 6-2002/6/12.

[221] **الأنباء**، العدد 4676، 1989/1/6، ص 26.

وفي يوم 1993/1/18، اعتدى المستوطنون، أيضاً، بالضرب المبرح على الفتى محمد أيمن عاشور (17 عاماً)، عند مروره في سوق محنية يهودا، في القسم الغربي من مدينة القدس. وكذلك، تعرض علي إسماعيل أبو سنينة (65 عاماً)، في البلدة القديمة من القدس، حيث يملك محل بقالة في عقبة الخالدية، لاعتداء من قبل المستوطنين، مما أدى إلى إصابته بجروح[222].

واستشهد فجر يوم 1996/10/28، الطفل حلمي ثائر حلمي شوشة (11 عاماً)، بسبب نزيف في المخ، نتيجة ضربة قوية على العنق، وفق ما أظهرته عملية تشريح الجثة. وقال الطفل إبراهيم شوشة، وهو ابن عم حلمي:

كنا في طريق عودتنا من المدرسة، ولم نقذف حجارة على أحد، حين داهمنا المستوطن كالصاروخ بسيارة جيب، وخرج منها، وأخذ على الفور يركل حلمي على رأسه حتى وقع مغشياً عليه، ثم وضع قدمه على حنجرة حلمي وضربه بعقب البندقية وواصل ركله، وتركه ينزف 30 دقيقة قبل أن تنقله سيارة إسعاف إلى المستشفى[223].

كان ذلك اليوم هو الأحد 1996/10/27، وحلمي شوشة يقفل عائداً من المدرسة مع بعض أقاربه، والساعة تقارب 2:30، في الشارع الالتفافي الذي يربط ما بين شارع رقم (60) ومستعمرة بيتار عيليت المقامة على أراضي حوسان، عندما وقفت سيارة ترجل منها مسؤول أمن المستعمرة ناحوم كورمان Nahum Korman.

تقول شاهدة العيان ميسر عبد: "بعد أن سمعت صراخ الأطفال، توجهت إلى مصدر الصراخ، فوجدت حلمي ملقى على الأرض، حينها طلبت من المستوطن أن ينقلنا إلى المستشفى بعد أن حملت الطفل"، غير أن ناحوم قام بنقلهم إلى المستعمرة بدل ذلك. وتعلق السيدة ميسر: "بقيت في المعسكر، أنا والشهيد حلمي، قرابة النصف ساعة بانتظار سيارة الإسعاف".

فيما بعد لم يقبل ناحوم كورمان التعامل مع المحققين، وهو الذي لم يرف له جفن، حينما كان يدوس بكل قوته على حنجرة حلمي. وكان الطفل الشهيد الأمل الوحيد لإنقاذ

---

[222] **فلسطين الثورة**، العدد 923، 1993/1/31، ص 16.

[223] **القدس**، العدد 9762، 1996/10/29، ص 23.

شقيقته الرضيعة، التي كانت تعاني من مرض في دمها، وبحاجة إلى زراعة نخاع شوكي، وكان نخاع أخيها المتوفي الوحيد الملائم لذلك[224].

وفي مساء يوم الثلاثاء الموافق 1998/6/14، قتل المستوطنون بصورة متعمدة عبد المجيد محمد خالد أبو تركي (49 عاماً)، وأوقفت الشرطة الإسرائيلية، بعد ثلاثة أيام، ثلاثة مستوطنين من مستعمرة بيت حجاي، واتهمتهم بضرب أبو تركي، والتسبب بموته، حيث اعترفوا بأنهم كانوا في نزهة مطاردة للعرب على سبيل التسلية، حسب بيان الشرطة الإسرائيلية.

وكان الثلاثة في سيارة قرب مستعمرة بيت حجاي الواقعة إلى الجنوب من مدينة الخليل عندما شاهدوا عبد المجيد أبو تركي، الذي كان يسير على قارعة الطريق عائداً من عمله. فأخرج أحدهم عصا خشبية من نافذة السيارة، وضرب بها عنق الشهيد، ولاذ المعتدون بالفرار بالسيارة[225].

قال محمود أبو تركي، وهو ابن عم الشهيد، وزميله في العمل:

> لقد كنت عائداً مع الشهيد من العمل مساء ذلك اليوم المشؤوم، حيث أنهينا عملنا في بناء بعض الجدران الاستنادية في المنطقة المقابلة لخربة قلقس في تمام الساعة الخامسة. وأثناء سيرنا معاً على رصيف الشارع الالتفافي، توقفت أنا للحظات حتى أشعل سيجارتي، مما جعل الشهيد يسبقني في خطواته بثلاثة أو أربعة أمتار. وخلال ذلك، شاهدت سيارة مستوطنين بيضاء اللون تقترب نحونا مسرعة قادمة من الجهة الشرقية، وما أن وصلت، حتى أخرج أحد المستوطنين أداة طويلة، فابتعدت عنه نحو أقصى رصيف الشارع، عندما شعرت أن شيئاً ربما يحدث منه، ولكن لم أتصور الكارثة التي اكتشفتها، حيث نظرت لزميلي، وإذ به يسقط على الأرض، ويده على رأسه من الخلف، وعندما اقتربت منه، وجدته يئن، والدماء تسيل من رأسه على كافة أنحاء جسمه بغزارة، فاقداً الوعي تماماً، وهنا أدركت أن المستوطنين في السيارة المذكورة قد تمكنوا منه.

---

[224] **القدس العربي**، العدد 2325، 1996/10/29، ص 5.

[225] **الدستور**، العدد 11075، 1998/6/18، ص 1 و20.

وقال فهمي عبد المطلب، وهو صهر الشهيد، أنه عقب الحادث الذي وقع على بعد 400م من منزل الشهيد، جرت متابعة حقائق هذه الجريمة، حيث شاهد عدد من سائقي السيارات مجموعة المستوطنين الجناة وهم يعبرون الشارع الالتفافي بعد تنفيذ جريمتهم، وأن أحد السائقين تعقب الجناة، وشاهدهم وهم يلقون العصا، أداة الجريمة، على بعد عشرات الأمتار من مكان الحادث، ثم واصلوا السير إلى داخل مستعمرة بيت حجاي. وأكد أن السائق التقط العصا، وأخبر العائلة، وقامت الشرطة الإسرائيلية بالقبض على الجناة، حيث تمّت مشاهدتهم وهم يمثلون تفاصيل الجريمة بمكان الحادث، صباح اليوم التالي.

أصدرت المحكمة المركزية في القدس، في 1998/10/28، قراراً بإدانة المستوطن يونثان بن سيرا قاتل الشهيد عبد المجيد أبو تركي، بتهمة القتل، حيث حكمت عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، منها سنة مع وقف التنفيذ، ودفع غرامة مالية لعائلة الشهيد بقيمة 84,400 شيكل [حوالي 20 ألف دولار] مرتبطة بجدول غلاء المعيشة. وقد مثل العائلة في الحقّ الشخصي محامو جمعية (القانون)، التي أعدت القرار استهتاراً آخر بحياة الفلسطينيين، حيث عادة ما تصدر المحاكم الإسرائيلية أحكاماً بالسجن المؤبد على الفلسطينيين الذين يشتبه بقتلهم إسرائيليين[226].

كما اعتدى أحد مستوطني التلة الفرنسية بالقدس، على الطفل هيثم محمد عطا عبيد (12عاماً)، من العيسوية، مما أدى إلى نقله إلى المستشفى لتلقي العلاج، إذ لم يكتفِ المستوطن بالضرب المبرح الذي أوقعه بالطفل، بل إنه أطلق كلباً باتجاهه، مما تسبب له بجراح بليغة، بعد أن اقتطع قطعة من لحم ساقه. وقال والد الطفل، أنه قدم شكوى للشرطة الإسرائيلية، التي لم تحقق مع الجاني[227].

ولا يقتصر ضرب المستوطنين للأطفال والفتية الصغار، بل يتعدى ذلك إلى الكبار، فعبد اللطيف قمصية (27 عاماً)، تعرض لضرب مبرح، فقط لأنه سلك طريقاً مخصصاً للمستوطنين. إذ يقول في شهادته:

---

[226] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، **التقرير السنوي 1998**، ص 22-23.
ملاحظة: تمّ احتساب سعر صرف الشيكل حسب أسعار سنة 1998.

[227] **الرأي**، العدد 10213، 1998/8/25، ص 35.

بتاريخ 2000/10/9م، كنت في طريقي من قرية بلعا إلى مدينة نابلس، وعند مدخل مستوطنة "عناف"، أوقفني مجموعة من المستوطنيين، وأجبروني على النزول من سيارتي، وبدأوا بضربي بالبنادق والهراوات. وبعد ربع ساعة، وصل الجيش الإسرائيلي، فطرد المستوطنين من المكان، ولكن الجنود تركوني أنزف وأتألم، مدة لا تقل عن نصف ساعة. وفي النهاية، وصلت سيارة عربية، وأخذني السائق إلى مستشفى رفيديا، حيث مكثت عشرة أيام تحت العلاج[228].

الطفل محمد إسماعيل نصار (10 أعوام) طالب في الصف الرابع، من سكان ضاحية الرشيد شمال مدينة القدس، اختفت آثاره في الساعة الثامنة من يوم 2001/3/15، فقامت عائلته بعملية تفتيش واسعة بحثاً عنه، دون أن تحرك الشرطة الإسرائيلية ساكناً، على الرغم من إبلاغها من قبل أبناء العائلة. وقد عثرت العائلة على جثة الطفل في أحد الأحراش القريبة من مستعمرة نفيه يعقوب Neve Yaakov، ظهر اليوم التالي، وتبين أنه تعرض للضرب على رأسه بالحجارة بطريقة وحشية، وجرّ لمسافة تزيد عن ثلاثين متراً.

حاولت الشرطة الإسرائيلية تبرئة المستوطنين من عملية القتل، بالادعاء بأن الطفل قتل على خلفية خلاف عائلي قديم بين عائلته وعائلة أخرى، وهو ما نفاه عمّ الشهيد بشدة متسائلاً باستهزاء: "ربما يقصدون عائلة العرب وعائلة المستوطنين؟ فمن عادة المستوطنين أن تبادر إلى مثل هذه الأعمال"[229].

كما انضم إلى قافلة الشهداء، جبري أحمد حمدان حناتشي (44 عاماً)، بعد تعرضه للضرب المبرح حتى الموت من قبل مستوطنين بالقرب من مدينة رام الله، حيث عثر على جثمانه بالقرب من مستعمرة حلميش، وعليها علامات عنف وضرب على الرأس والأطراف، ووجدت صخور مخضبة بدم الشهيد[230].

الصحفي إيتسيك سبان Itzik Saban، كتب ثلاث حلقات بعنوان "شغب المستوطنين: خلل في جيل إسرائيلي بأكمله"، في صحيفة يديعوت أحرونوت، وصف في الحلقة الأولى، كيف حاول المستوطنون ارتكاب جريمة قتل وحشية ضدّ فتى فلسطيني

---

[228] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 41.

[229] **الرأي**، العدد 11151، 2001/3/21، ص 50.

[230] **القدس**، العدد 11344، 2001/3/24، ص 1.

في منطقة المواصي بقطاع غزة، في تعبير عن رفضهم خطة شارون لتفكيك مستعمرات غزة والرحيل عن القطاع. وقال سبان في تقريره:

استلقى أرضاً، تنزف الدماء من رأسه بعد أن أصيب بجراح، تلقى هلال زيادة المجايدة، 18 عاماً، وابلاً غير متوقف من الحجارة لحوالي 20 دقيقة، تحت حرارة الشمس اللاهبة، واستمرت الحجارة الكبيرة تتساقط قربه، وتحول دون تقدم أي مساعدة للشاب الفلسطيني، وحاول جندي ممرض الاقتراب منه، لكنهم أغلقوا الطريق أمامه. وبدأ الفلسطيني الجريح بفقدان وعيه، وحينذاك حدث الأمر الأكثر إجراماً، إذ اندفع نحوه خمسة يهود مجانين، وعن بعد متر واحد، ألقوا عليه حجارة وصخوراً وطوباً. لم يردعهم وجود الصحافيين وآلات التصوير، إذ أرادوا شيئاً واحداً: القتل. وللمرة الأولى في حياتي الصحافية الطويلة، قررت التوقف عن كوني صحافياً، مراقباً من الجانب، كان الشاب الفلسطيني أمام أنظاري جريحاً، وأيقنت بأنني إذا لم أتخلَّ عن عملي الصحفي، ولم أهب لإنقاذه، فسينزف حتى الموت... قررت، ونير حسون، مراسل صحيفة هآرتس، المخاطرة في سبيل إنقاذ حياته، وركضنا نحو الفلسطيني، وأنقذناه إلى مكان آمن، وذلك تحت وابل من الحجارة، هدد حياتنا. وفسر الفلسطينيون عملنا بمحاولة لاختطاف الشاب، الأمر الذي ضاعف من حدة غضبهم، وطالبوا عامي شكيد ضابط أمن مجلس شاطئ غزة الحصول على الشاب، وفقط عندما سلمناه لهم هدأت الخواطر. كانت هذه إحدى المواجهات الأكثر عنفاً التي اندلعت بين أعضاء اليمين المتطرف والفلسطينيين الذين يقطنون في منطقة المواصي في "غوش قطيف"، لقد كانت الأمور واضحة، إذ تحصن عدة عشرات من أعضاء اليمين، بصورة غير قانونية، في مبنى فلسطيني مهجور في حي المواصي، وأطلقوا عليه اسم "طال يام". وكان بالإمكان إخلاؤهم في اليوم الأول، عندما كانوا أفراداً، وطالبت الشرطة العمل بحزم ضدّ منتهكي القانون، لكن جراء عدم الحصول على موافقة الجيش تدهورت الأوضاع. وجراء عدم وجود من يحاول منعهم، انضم تحت أنظار رجال الشرطة والجيش إلى المنزل الفلسطيني يهود جدد من ذوي الرؤوس الحامية بصورة يومية إلى المنزل، ورفعوا على سطح المبنى، إضافة للأعلام الإسرائيلية، أعلام حركة "كهانا حي"، وكتبوا شعارات: سنقتل شارون وكهانا كان محقاً. أما الثمن، فدفعه الشاب الفلسطيني، الذي أنقذ من محاولة إعدام جماعية، وأصيب بجروح خطيرة[231].

[231] إيتسيك سبان، **مرجع سابق**.

ويستدل من تقرير نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية، في عددها الصادر يوم الإثنين 2010/11/8، أن مجموعة من المستوطنين حاولوا قتل سائح أجنبي من تشيلي في مدينة القدس، بعد أن ظنوا أنه مواطن فلسطيني. وذكرت الصحيفة أن السائح نوليدو دومينوس حوزيه Noledo Dominos Jose (43 عاماً) قد وصل إلى فلسطين المحتلة لحضور حفل زفاف ابن صديقه اليهودي، ونزل في فندق بالقدس، ونقلت عنه: "قالوا لي بأنني أشبه العرب لكنني لم أتخيل أن ذلك كاد أن يكلفني حياتي".

وعن تفاصيل الاعتداء عليه؛ قال حوزيه:

> قررت العودة إلى غرفتي في الفندق، ومررت من حديقة الاستقلال، وفجأة هاجمني شاب ادعى أنه شرطي ويرتدي سروال الجيش الإسرائيلي، حاولت الهرب، إلا أن سبعة شبان آخرين انضموا إلى الشرطي، ووقعت على الأرض ولم أتمكن من الهرب، وضربت حتى فقدت الوعي وكنت على قناعة بأنهم أرادوا قتلي لأنني أشبه العرب.

ورقد السائح التشيلي في أحد المستشفيات في مدينة القدس، وعانى من نزيف في الرأس والعيون، حيث فقد البصر في عينه اليمين. وقد أقرت الشرطة الإسرائيلية بما حدث؛ وقالت: "إن الاعتداء جاء على خلفية قومية، كون اليهود اعتقدوا أن حوزيه عربي أو فلسطيني، وأن خمسة من المشبوهين مستوطنين والآخرون من اليهود في القدس"[232].

9. الدهس المتعمد:

كان محمد أمين الخفش (16 عاماً) يعيش هول الصدمة والذهول والفجيعة التي لحقت به وبأسرته، عندما انقضت سيارة مستوطن على شقيقه الصغير أحمد (7 أعوام)، الذي كان يقف بجواره في طرف الشارع بانتظار مرور السيارات، وسحقت جسده الغضّ على الإسفلت يوم الثلاثاء الموافق 2000/11/7.

كان أحمد ومحمد قد سبقا أسرتهما إلى البيت بدقائق، بعد أن أنهيا معها يوم عمل في قطف ثمار الزيتون، من حقل لهم في طرف قرية مردا بقضاء سلفيت. وعندما وصلا إلى الشارع العام، المار بمحاذاة القرية، وقفا منتظرين مرور السيارات، وبينما هما كذلك،

[232] المركز الفلسطيني للإعلام، 2010/11/8.

فوجئا بسيارة بيضاء اللون، تنحرف من أقصى اليمين، وتنقض نحوهما في أقصى يسار الشارع محاولة صدمهما معاً، ففر محمد نحو الخلف، لكن شقيقه الصغير لم يتمكن أن يبرح مكانه، فخطفته السيارة وصهرته تحت عجلاتها، وولى سائقها مسرعاً من المكان.

وفي تلك الأثناء، كان والد الطفلين، قد وصل إلى الموقع، ليجد أصغر أطفاله جثة هامدة على الإسفلت، فحمله وهو في حالة من الصدمة والذهول ترقى إلى درجة الجنون، وسار به باحثاً عن سيارة تقله إلى مستشفى رفيديا في نابلس. وهناك في المستشفى، وجد الأطباء أن الطفل فارق الحياة في اللحظة التي صدمته فيها سيارة المستوطن، وهرست جسده الصغير[233].

جريمة قتل هذا الطفل الصغير بهذه الطريقة البشعة، ليست حادثة وحيدة، فمنذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية سنة 1987، سجلت عشرات الحالات المماثلة، وعلى الطرق الرئيسية ذاتها للقرى والبلدات الفلسطينية، بل إن أول تلك الحالات كانت في فجر الانتفاضة حين داهم أحد المستوطنين سيارات العمال الفلسطينيين على حاجز إيريز، يوم 1987/12/7، فقتل أربعة. كما أدخل، صباح يوم 1988/12/9، الطفل إياد زهير الأشهب (7 أعوام)، إلى مستشفى عالية في الخليل، إثر إصابته بجروح مختلفة بعد أن صدمته سيارة تعود للمستوطنين، ولم يكتفِ هذا المستوطن بهذه الجريمة، بل نزل من السيارة، وضرب الطفل بقدمه، ولاذ بالفرار[234].

ومن هذه الحوادث أيضاً، ما حدث، يوم 1993/3/1، مع الحاجة آمنة رحيم سعادة، من ضاحية مثلث الشهداء بجنين، والتي كادت أن تفقد حياتها بعد دهسها بشكل متعمد من مستوطن. وعن تفاصيل ما حدث، قالت الحاجة آمنة:

> في يوم 1993/3/1م، توجهت لزيارة أحد أقربائي في سجن الجلمة، وهو المناضل هاشم إبراهيم علي عصوص، في السادسة صباحاً توقفت سيارتنا على خطّ مشاة محاذي للسجن، نزلت، وبدأت أستعد لعبور الشارع. وعندما توقفت السيارات، وأشار السائقون لنا بالمرور، سرت على خطّ المشاة، ولكن فجأة، انطلقت سيارة إسرائيلية بشكل سريع مخترقة السيارات المتوقفة، وقامت بدهسي. وبعدما

[233] **القدس**، العدد 11344، 2001/3/24، ص 1.

[234] تقرير المركز الفلسطيني للإعلام.

وقعت أرضاً، خرج السائق ووضع يديه في جيب بنطلونه، وأخذ يهزأ مني، وينظر إلي بشماتة وبشكل استفزازي، بعد ذلك حضرت الشرطة. وقد بقيت أنزف لمدة نصف ساعة، حتى نقلتني سيارة الإسعاف لمستشفى دميم في حيفا.

وفي مستشفى دميم، الذي يعدّ من أحدث وأرقى المستشفيات الإسرائيلية، تتكون صورة أخرى للعنصرية الصهيونية التي تتناقض ومبادئ حقوق الإنسان. فبعد أن أحضرت الحاجة آمنة للمستشفى، وتلقت العلاج، قال لها الطبيب الإسرائيلي، إن وضعها الصحي سيء، وأنها تعاني من كسور في الحوض والقدم واليد، وهذا يستدعي أن تمكث بالمستشفى، الذي أعدّ لها سريراً.

ولكن، عندما عرف الطبيب الإسرائيلي أنها فلسطينية، جُنَّ جنونه وغضب وطردها، حيث تقول الحاجة آمنة:

لقد أصبت بالفزع والاستغراب، فالطب رسالة إنسانية لا تميز بني البشر، ولكن هذا الطبيب، كان حاقداً جداً، فما أن علم بهويتي حتى أصابه مسّ من الجنون، بعدما كان ينصحني بالراحة والمكوث في المستشفى، كما رفضت الممرضات أن أخرج من المستشفى للسيارة على عربة المصابين. ولقد حصل عراك ومشادة بين ممرضة عربية وأخرى إسرائيلية، حول ذلك. ولكن الممرضة العربية تمكنت من نقلي على عربة، وهكذا، فلقد قذفوني خارجاً دون رحمة بحالتي وجراحي، ودون إعطائي وصفة طبية... فأين هي أسس السلام؟ وكيف نسعى لسلام مع أناس لا يقدرون على تقديم الواجب الإنساني، الذي لا يمكن أن نميز به أو نبخل به مهما كانت الأسباب؟[235].

وفقد الطفل عاصي جمال مرعي (5 أعوام) حياته، يوم 1996/6/8، إثر دهسه من قبل سيارة مستوطن، أمام محل لمواد البناء، يملكه والد الطفل في قرية حارس بقضاء نابلس، حيث لقي الطفل حتفه أثناء محاولته اجتياز الطريق، بينما فرّ المستوطن من المكان تاركاً الطفل يتخبط بدمائه[236].

[235] **الرأي العام**، الكويت، العدد 8989، 1988/12/10.

[236] **إلى الأمام**، دمشق، العدد 2181، 1993/4/10، ص 29-30.

كما ذكر التقرير السنوي للجمعية الفلسطينية لحقوق الإنسان والبيئة (القانون)، أنه، وفي 1998/8/30، استشهد الطفل أمين أحمد محمود فطافطة (12 عاماً)، على أيدي مستوطن قام بدهسه بسيارته، عدة مرات، بشكل متعمد[237].

وضمن سلسلة إرهاب المستوطنين نفسها، استشهدت لينا ماجد أبو عرام، ومحمد علي البدارين. وهناك عدة حالات من النوع نفسه خلال انتفاضة الأقصى، أولها في 2000/11/30، حين قام أحد المستوطنين بدهس الشاب شادي أحمد الزعول (16 عاماً)، وهو يقف على جانب الطريق الالتفافي (60).

قال عمه يوسف في إفادته:

> بتاريخ 2000/11/30م، حوالي الساعة السادسة صباحاً كان شادي يسير جانب الطريق الالتفافي الذي يستخدمه فلسطينيون وإسرائيليون. مررت بالباص الذي أقوده، لأخذ عمال وتوقفت عند مدخل مستوطنة بيتار عيليت، ورأيت شاحنة إسمنت وسيارة [جي أم سي] GMC إسرائيليتين في الشارع. وفجأة لمحت سيارة الـ GMC الإسرائيلية تعبر الشارع مسرعة وتدهس شادي فتقذفه مسافة لا تقل عن عشرة أمتار. أسرعت إليه، فوجدته ينزف من رأسه، ويداه وأرجله مكسورة. فأخذت أصرخ على سائق السيارة، وهو مستوطن مسلح، فأنكر أن يكون قد قتل شادي. وتجمع الناس من القرية، وكذلك المستوطنون، وعندما شاهد القاتل المستوطنين من حوله أخبرهم بفخر أنه قتل شاباً فلسطينياً، فبدأ المستوطنون بالغناء والرقص لأن عربياً قد قتل. واحد من المستوطنين قال أنه طبيب، فقام بفحص شادي، وقال أنه في حالة حرجة، ويحتاج إلى مستشفى على الفور. وصل الجيش الإسرائيلي بعد ذلك وأبعد الجميع من المكان، بما فيهم القاتل، سائق السيارة. وصل الإسعاف، وأخذ شادي إلى مستشفى هداسا عين كارم، ولكن لم تنجح محاولات إنقاذ حياة الفتى، فمات بعد بضع ساعات، ونقلت جثته إلى مستشفى أبو كبير للتشريح. وقد أظهرت التقارير الطبية أن الشهيد أصيب بكسور في الجمجمة والعمود الفقري واليدين والرجلين[238].

---

[237] **القدس**، العدد 9621، 1996/6/10، ص 7.

[238] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، **التقرير السنوي 1998**، ص 24.

وبينما كان عطا محمود إبراهيم نمر (68 عاماً)، يحاول قطع الشارع الرئيسي الذي يربط بين مستعمرتي جفعات زئيف وحداشوت الواقعتين شمال غربي مدينة القدس، يوم الأحد الموافق 2002/7/21، أقدم مستوطن، على دهسه، ثم حاول الفرار، إلا أن عدداً من العرب المتواجدين بالمنطقة اعترضوا طريقه، ومنعوه من مواصلة السير، واستدعوا الشرطة الإسرائيلية التي أطلقت سراحه على الفور، بينما أصيب عطا نمر بكسور في رأسه وقدمه، ونقل بواسطة سيارة إسعاف إسرائيلية إلى مستشفى هداسا عين كارم، ومكث في المستشفى المذكور إلى أن أعلن عن وفاته يوم الإثنين الموافق 2002/7/29[239].

أحد المستوطنين الذين يعملون على حراسة مستعمرة كريات أربع لاحق طفلاً فلسطينياً بواسطة جيب عسكري، في منطقة الرأس المتاخمة لحدود المستعمرة المذكورة، يوم 2005/9/13، غير أن الطفل أفلت من المستوطن، الذي تعمد في وقت لاحق دهس أسماء محمد الجعبري وابنتها ياسمين ولاذ بالفرار، الأمر الذي نتج عنه إصابتهما بجروح ورضوض في أنحاء الجسم[240].

وفي حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين الموافق 2002/8/26، كان الطفل جهاد موسى محمد العذرة (6 أعوام) يحاول قطع الشارع المار في وسط حيّ الديوان السكني في بلدة يطا، جنوبي مدينة الخليل، حين قدمت سيارة جمع نفايات إسرائيلية، وهي تسير بسرعة فائقة من الجنوب باتجاه الشمال، ودهست الطفل دون أن يتوقف سائقها، أو يحاول تقديم مساعدة للطفل الذي فارق الحياة على الفور. وقد أفاد عمّ الطفل الشهيد أن سائق السيارة معروف بعدائه للعرب، وعادة ما يقود سيارة جمع النفايات برعونة[241].

وقد توفيت رجاء حلاسي اشتية (40 عاماً)، من مدينة سلفيت، وأصيبت ابنتها (10 أعوام) بجراح متوسطة، بعد أن صدمت سيارة مستوطنة مسرعة سيارتهما بالقرب من حاجز بيت إيل شرق مدينة رام الله يوم 2011/1/8. كما استشهد فلسطيني يبلغ 18 عاماً، عندما دهسته سيارة مستوطن عند حاجز الزعيم، على طريق القدس – البحر الميت، قرب مستعمرة معاليه أدوميم يوم 2011/2/18.

---

[239] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 36.

[240] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، التقرير الأسبوعي: 2001/12/27-2002/1/2.

[241] **الغد**، العدد 410، 2005/9/14، ص 25.

وأصيبت طفلة بجروح متوسطة بعد تعرضها للدهس المتعمد في منطقة طرامة جنوب غرب الخليل من قبل مستوطن لاذ بالفرار صباح يوم الإثنين 2011/3/28.

ودهست سيارة صهيونية في القدس بصورة متعمدة شاباً فلسطينياً في الثلاثين من عمره، مما أدى لاستشهاده على الفور يوم الخميس 2011/3/31، بينما استشهدت سمر سيف مصطفى رضوان (21 عاماً) إثر دهسها من قبل مستوطن غرب مدينة رام الله مساء يوم الجمعة 2011/4/2.

وعلى المدخل الرئيسي لبلدة بيت أمر شمال الخليل، دهس مستوطن مساء الأحد 2011/5/30 بشكل متعمد شحدة صبارنة وزوجته فاطمة حمدان صبارنة (60 عاماً)، مما أدى إلى إصابة فاطمة حمدان بجروح خطيرة، فيما أصيب زوجها بجروح متوسطة. وقد انسحب المستوطن من المكان تحت حماية جيش الاحتلال الذي تمركز بالقرب من الحادث، فيما نُقِل المسنّان إلى مستشفى الأهلي لتلقي العلاج، حيث استشهدت المرأة متأثرة بجراحها التي أصيبت بها في اليوم التالي.

كما أقدم مستوطن على دهس إمرأة فلسطينية على شارع بلدة حوارة الرئيسي، جنوب شرق نابلس، عصر يوم الأحد 2011/7/3، مما أدى إلى إصابتها بجروح وكسور، ووصفت حالتها بالصعبة، حيث طالت الإصابات جميع أنحاء جسدها. وأصيب الطفل إسماعيل شاهين (6 أعوام)، بجراح خطيرة، إثر دهسه من قبل مستوطن يوم 2011/7/10، في خربة بيت سكاريا، الواقعة وسط التجمع الاستيطاني جوش عتسيون، جنوب مدينة بيت لحم[242].

10. الاختطاف والتعذيب:

قالت رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير، ذات يوم، أنها تشعر بالغثيان صباح كل يوم، لشعورها أن هناك طفلاً فلسطينياً قد ولد. وبغض النظر عن الأسباب الكامنة آنذاك وراء ما قالته، فإن كلامها كان شديد الوضوح، بحيث أنها عنت من ذلك، أن استمرار ولادة الأطفال الفلسطينيين يعني استمرار الخطر المحدق بالدولة العبرية، جراء استمرار وجود الشعب الفلسطيني وتناسله.

[242] بتصرف عن المركز الفلسطيني للإعلام، تقارير إخبارية، 2011/1/8-2011/7/11.

لذلك، ليس مستغرباً، أن ينتهج المستوطنون سياسة إرهابية تجاه أطفال فلسطين، حتى قبل الانتفاضة الأولى سنة 1987. فقد قامت مجموعات المستوطنين بتلويث مياه الشرب التي يشرب منها أطفال المدارس في الضفة الغربية، مما تسبب في حينه، بتسمم مئات الأطفال.

أما بعد الانتفاضة، فقد بلغت الممارسات الإرهابية ذروتها بحقّ أطفال فلسطين، بعدما قامت مجموعة من المستوطنين، يوم 1988/12/13، باختطاف طفل فلسطيني من بلدة الرينة القريبة من الناصرة، ثم قتله شنقاً، وألقت جثته في الوادي. وخطف المستوطنون، أيضاً، ثلاثة أطفال (6-10 أعوام) خلال اقتحامهم لقرية باقة الحطب القريبة من طولكرم، وقاموا بتعذيبهم، وضربهم بشكل مبرح، مما استدعى نقلهم للمستشفى بعد أن عثر ذووهم عليهم[243].

وتكررت حوادث اختطاف الأطفال الفلسطينيين كثيراً، واللافت للنظر أن هذا الأسلوب من الإرهاب أصبح عملاً منظماً تقوم به العصابات، حيث تداهم القرى العربية، وتعتدي على أهلها، وتخرب ممتلكاتهم ومزروعاتهم، وتختطف عدداً من أطفالهم، بل وصل الأمر إلى الأكبر سناً. ففي يوم 1989/7/7، على سبيل المثال، اختطفت عصابة من المستوطنين فتى مقدسياً، كان يمر في حيّ المصرارة، وقامت بتعذيبه، وكذلك الحال، حدث مع كهل في التسعين من عمره. وفي يوم 1989/7/14، اختطف مستوطنان، مواطناً من سكان مخيم العزة القريب من بيت لحم[244].

وفيما يشكو الرعاة من الاستفزازات اليومية التي يتعرضون لها، في أثناء رعيهم للأغنام، حيث يتمّ إطلاق النار باتجاه المواشي والرعاة، إضافة إلى التضييق عليهم وطردهم، فإن المستوطنين استغلوا قيام بعض الأطفال والفتيان صغار السن برعي الأغنام، بعيداً عن نظر من يستطيع أن يهبّ لنجدتهم ومساعدتهم، وقاموا بالتعرض لهم وإيذائهم[245].

ومن ذلك، قيام مستوطن من مستعمرة إيلون موريه، إلى الشرق من مدينة نابلس، بمحاولة خنق الفتى إياد ذياب، في أثناء وجوده مع قطيع للأغنام في منطقة الشفا

[243] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، التقرير الأسبوعي: 22-2002/8/28.

[244] مصطفى عمر، أساليب القمع الصهيوني للانتفاضة، **الهدف**، 1989/4/2، ص 14.

[245] **الحرية**، العدد 1397، 1989/8/13، ص 22

(شرق قرية سالم)، للحيلولة دون وصول الرعاة والمزارعين إلى أراضيهم، من خلال زرع الخوف في نفوسهم[246].

عاش خالد محمود أبو خلف (33 عاماً)، لحظات صعبة، ظنّ أنها قد تكون آخر ساعات في حياته، وذلك بعد أن اختطفته مجموعة من المستوطنين بالقرب من مدينة نابلس، وحاولت دفنه، وهو حيّ، في حفرة. وقال أبو خلف، أنه كان موجوداً في أرضه بقرية عصيرة القبلية، برفقة ثلاثة من أبناء قريته، حين هاجمه عدد من المستوطنين ومعهم عدد من الجنود الإسرائيليين. وبعد احتجازه مع زملائه الثلاثة لمدة ساعة من الزمن، أخلى المستوطنون سبيل زملائه، ثم اقتادوه، تحت تهديد السلاح، إلى مستعمرة يتسهار، حيث تمّ الاعتداء عليه بالضرب المبرح، دون أن يحاول الجنود منعهم من ذلك. وقد أشار أبو خلف، أن المستوطنين قاموا بعد ذلك بحمله، وإلقائه داخل حفرة، ووضعوا فوهة البندقية في فمه، وتوعدوا بدفنه هناك، ولكن الجنود منعوهم من استكمال جريمتهم، دون أن يحاولوا منعهم من الاستمرار في ضربه[247].

11. استهداف المدارس والمؤسسات التعليمية:

الوصول إلى مدرسة قرطبة الأساسية للبنات، الواقعة في حيّ الدبويا بمدينة الخليل، يحتاج إلى استعداد خاص لتقبل مجازفة مفتوحة على كل الاحتمالات، بما في ذلك، معركة صغيرة وجزئية من حرب المستوطنين الدائمة، كما تصفها مديرة المدرسة، المطالَبَة بتقمص دور الأم لـ 180 تلميذة في المرحلة الأساسية. فعلى مدخلي شارع الشهداء، الذي تغلقه سلطات الاحتلال بشكل شامل في وجه مواطني الخليل، تجهد مجموعات من الطالبات، يومياً، في تخطي سلسلة من الحواجز والنقاط العسكرية، والبؤر الاستيطانية الأكثر تطرفاً في الضفة الغربية.

معلمات المدرسة الـ 13 مع 180 طالبة، هنّ الوحيدات، تقريباً، اللواتي يواصلن تخطي العقبات اليومية لدخول شارع الشهداء والعودة عبره، من وإلى المدرسة، التي تبعد نحو 300 متر عن البؤرة الاستيطانية المسماة بيت هداسا، والمسكونة بمستوطنين، يعدون الأشرس من بين 400 مستوطن، يعتقدون أن بقاءهم في الخليل أبدي، مستخدمين كل الوسائل العدوانية لتبرير بقائهم. وعلى المدخل الغربي لشارع

[246] **القدس**، العدد 9668، 1996/7/27، ص 6.

[247] **القدس**، 1999/5/24.

الشهداء، الذي يتفرع إلى طريق مدججة بالتدابير العسكرية لجنود الاحتلال، بدعوى أنها المؤدية إلى بؤرة استيطانية في تلّ الرميدة، تتباطأ خطى الطالبات الصغيرات بارتياب، في انتظار أن تتشكل مجموعة من خمس طالبات أو أكثر، لاستجماع جسارة وطمأنينة، باعتبار أن كثرة الخطى تحثّ الأقدام على المشي حتى أبواب المدرسة، في تلك المسافة القصيرة الخاوية من خطى الأهالي، والمسكونة بحركة مستوطنين وجنود كأنما يتواجدون من أجل مهمة خاصة، وهي "التأكد من نجاعة التدابير التي تمنع مواطني المدينة من استخدام الشارع "!

عنات كوهين Anat Cohen، ونوعام فيدرمان، وباروخ مارزيل، وسارة مارزيل Sarah Marzel، أسماء معروفة بالوجوه الغاضبة، والقبضات المستعدة لتنفيذ اعتداءات منظمة، بالنسبة للتلميذات ومعلمات المدرسة اللواتي يواظبن على الحضور إليها كل صباح.

بدأ الصراع، بين المدرسة التي تدافع عن بقائها في المكان والمستوطنين، مع بداية العام الدراسي 1996/1995، حيث اختار المستوطنون عنواناً للبداية، بادعائهم أن الدرج المؤدي إلى المدرسة، والمكون من ستين درجة هو ممر مشترك "لهم وللمدرسة... "!! لكن، تلك المعركة الصغيرة كانت إيذاناً بحرب يومية، تنقطع لفترة قصيرة، لكنها لا تلبث أن تعاود للظهور بذرائع مختلفة. وكل مواجهة يفتعلها المستوطنون، تبدأ في الغالب فاقدة لأي ذرائع، لكنها ما إن تبدأ حتى يبدأ معها اختلاق الذرائع!

في 1999/11/27، اختلقت المستوطنة عنات كوهين معركة نموذجية، حين بدأت مع اثنين من المستوطنين، باستفزاز الطالبات، بينما كانت المدرسة تستعد للخروج في رحلة إلى القدس. وفي لحظات، حضرت مجموعة من المستوطنين الآخرين باستدعاء عبر التلفون الخليوي من قبل كوهين.

وهكذا في المعركة النموذجية، اعتدت كوهين والمستوطنين على الطالبات والمعلمات، حيث نقل إلى المستشفى ثماني طالبات إثر الاعتداء عليهن بالضرب المبرح، فيما اعتقل مدير التربية والتعليم، ومعلمتان وولي أمر طالبة، وذلك بدعوى المسؤولية عن اشتباك مع المستوطنين والجنود المتواجدين في المنطقة!

وما تزال تلميذات مدرسة قرطبة الأساسية في الخليل ومعلماتها يواصلن صياغة مآثر يومية، للدخول إلى شارع الشهداء وصولاً إلى المدرسة، في رحلة تبدأ في السابعة من

صباح كل يوم، وحتى ما بعد انتهاء اليوم الدراسي، للعودة عبر الشارع ذاته إلى البيوت في تلّ الرميدة، ومنطقة الكرنتينا، والبلدة القديمة ووادي الهرية[248].

مدرسة قرطبة الأساسية ليست الوحيدة التي تتعرض لاعتداءات المستوطنين في مدينة الخليل، فهناك مدرسة أخرى تتعرض هي الأخرى لاعتداءات مشابهة، وبشكل شبه يومي أيضاً. وهذه المدرسة هي مدرسة عمر بن عبد العزيز الواقعة في منطقة بيت عينون، على الشارع الالتفافي في الخليل. ومن تلك الاعتداءات، ما حدث يوم 1998/2/3، حيث أطلق مستوطن عدة عيارات نارية باتجاه الطلاب، دون أن يسفر ذلك عن وقوف إصابات[249]. حيث توقف أحد المستوطنين على الطريق الرئيسي الذي يصل المستعمرات غرب مدينة رام الله بمدينة القدس، يوم 1998/9/17، بدعوى تعرض سيارته للرشق بالحجارة، قرب الطلاب الذين خرجوا لتوهم من مدرسة بيتونيا للبنين، وبدأ بإطلاق النار بشكل عشوائي فقتل إياد قرابصة (16 عاماً)، وأصاب زميله عيسى جبارين. وكان التلميذ محمد ذويب، من قرية زعترة قرب بيت لحم، قد أصيب برصاصتين في فخذه، أطلقهما مستوطن في ظروف مشابهة، قبل ثلاثة أيام، حين استهدف مستوطن طلاب إحدى مدارس زعترة[250].

وفي اعتداء لم يكن له أي سبب، قام المستوطنون بمهاجمة مدرسة حوّارة للأولاد في 2000/12/19، ويقول في ذلك الطالب أحمد عودة:

> في حوالي الساعة السابعة والربع من صباح ذات اليوم، جاءت سيارة، فيها خمسة مستوطنين، ووقفت أمام المدرسة، فركضت حتى أغلق البوابة، لأنهم لو دخلوا ساحة المدرسة لوقعت كارثة. ولكن أحد المستوطنين، أطلق النار، وأصابني في رجلي، فساعدني طلاب صفي، وأغلقوا البوابة. وصل الجيش الإسرائيلي، وأبعد المستوطنين، ولكنه منع سيارة الإسعاف من الوصول لأخذي للمستشفى. ولكن الإسعاف سلكت طريقاً ترابياً، وأخذتني للمستشفى، حيث وجدت طالباً آخر من المدرسة هناك، محمد الحرزين، قد أصيب في بطنه من المستوطنين، في وقت مبكر ذلك اليوم.

---

[248] **فلسطين المسلمة**، العدد 6، حزيران/ يونيو 2005، ص 5.

[249] **الدستور**، العدد 11277، 1999/1/6، ص 30.

[250] **الرأي**، 1998/2/5، ص 42، نقلاً عن: **القدس**، 1998/2/4.

وفي انتفاضة الأقصى أيضاً، وثقت جمعية القانون الفلسطينية، حالتين اعتدى فيهما المستوطنون على المدارس والطلاب. ففي صباح يوم الثلاثاء الموافق 2001/1/9، قام المستوطنون بإطلاق أعيرة نارية بشكل كثيف على مدرسة سيلة الظهر الثانوية والمنازل المجاورة، الأمر الذي أدى إلى إصابة أحد الطلاب بعيار ناري في يده اليسرى. وفي حزيران/ يونيو من السنة نفسها، هاجم المستوطنون مدرسة بيت عينون الأساسية للبنات، في مدينة الخليل بالحجارة والزجاجات الفارغة[251].

الأخطر من بين تلك الجرائم التي استهدفت المدارس والتلاميذ، والتي كادت أن تؤدي إلى وقوع مجزرة حقيقة في صفوف مئات الطلبة، هو انفجار عبوة ناسفة وضعها المستوطنون صباح يوم الثلاثاء الموافق 2002/9/17، في ساحة مدرسة زيف الأساسية المختلطة، جنوبي مدينة الخليل، في حين تمكنت قوات الاحتلال من إبطال مفعول عبوتين أخريين. وأسفر ذلك عن إصابة تسعة طلاب وطالبات، بالشظايا، وشظايا الزجاج المتطاير. وقد وقع الانفجار، الذي أثار حالة من الذعر والهلع في نفوس الطلبة، قبل ثلاثين دقيقة من مغادرتهم غرف التدريس إلى ساحة المدرسة، لقضاء فترة الاستراحة الصباحية. وتضمّ مدرسة زيف الأساسية المختلطة، 400 طالب وطالبة، و20 معلماً، نجوا من الإصابة المحققة بأعجوبة[252].

أكبر الاعتداءات التي تعرضت لها مدارس قطاع غزة، حدث في حزيران/ يونيو 1992، حيث قام المستوطنون باقتحام مدرسة دير البلح الابتدائية التابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees (UNRWA)، وقاموا بهدم سورها بالجرافات، وأشعلوا النار في 25 بيتاً بلاستيكياً زراعياً، كما قاموا بتحطيم زجاج عشرين سيارة، من ضمنها سيارتان تعودان لوكالة الأونروا، وأضرموا النيران في 250 دونماً مزروعاً بالقمح والشعير، واقتلعوا 500 شجرة برتقال[253].

---

[251] **الحياة**، العدد 12981، 1998/9/18، ص 1.

[252] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[253] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، التقرير الأسبوعي: 12-2002/9/18.

أما في الضفة الغربية، فإن الأسوأ كان هجوم المستوطنين يوم 1995/7/23، على مدرسة بورين الثانوية، وإشعال النار فيها، بعد أن أنزلوا إطارات مطاطية من ثلاث سيارات ووضعوها عند أبواب وشبابيك المدرسة، التي بدت على أثر الحريق مسودة وصدئة ومحترقة. وقد فرّ هؤلاء المستوطنين نحو مستعمرة هتسار، التي تبعد خمسة كيلومترات جنوبي قرية بورين[254].

كانت قرية الساوية على موعد مع اعتداءات المستوطنين يوم 2010/10/22، حيث استغل عدد من مستوطني شيفوت Shvut وراحيل Rachel وشيلو وعيلي، يعرفون بـ"ساكني التلال"، انشغال مواطني القرية بموسم الزيتون، وأحرقوا المخزن التابع لمدرسة البنات الثانوية، الذي يحوي أدوات رياضية، ومقاعد دراسية يقدر ثمنها بآلاف الدولارات، وخطوا عبارات تحريضية على جدران المخزن تقول: "سلام من ساكني التلال".

وتكرر الهجوم على المدرسة مرة أخرى يوم 2011/5/9، حيث اقتحمت مجموعة من المستوطنين المدرسة، وقامت بوضع لافتات عنصرية باللغة العبرية ضدّ الفلسطينيين، على مداخل المدرسة، إضافة لبعض الملصقات على جدرانها، وذلك بحماية من جيش الاحتلال.

كما قامت مجموعات من المستوطنين، وبحماية من الجيش الإسرائيلي بمداهمة مدرسة دار الأيتام بحي الثوري في مدينة القدس ظهر يوم الثلاثاء 2011/5/17، واعتدوا على الطلاب داخل صفوفهم الدراسية، مما أدى إلى إصابة ثلاثة منهم، إضافة إلى اعتقال مدير المدرسة ونائبه من قبل قوات الاحتلال.

وكانت المدرسة قد تعرضت سابقاً لإحراق النفايات بجانبها على يد المستوطنين، وهو ما أدى إلى تعرض عشرات الطلبة لإصابات مختلفة ولحالات اختناق وإغماء. وتعكس هذه الإجراءات سعي الاحتلال الدؤوب نحو تهويد مدينة القدس، عبر العمل على تجهيل طلبة القدس وإعاقة مسيرة التعليم، وحرمانهم من التعلم بشكل آمن وطبيعي، وممارسة الإرهاب بحقهم.

[254] **الدستور**، العدد 8901، 1992/6/2، ص 23.

اعترض عدد من المستوطنين ظهر يوم الأربعاء 2011/6/1 طريق معلمة تعمل في مدرسة أولين لذوي الاحتياجات الخاصة، في البلدة القديمة بمدينة القدس، وباشروا بضربها وركلها بالأرجل، إلى حين تدخل مجموعة من المواطنين الفلسطينيين، الذين قاموا بإنقاذها من بين أيدي المستوطنين الذين حاولوا تصعيد الحادث إلى اشتباك أكبر[255].

12. الاعتداء على الصحفيين:

نصت المادة 79 من بروتوكول جنيف الأول لسنة 1977، المكمل لاتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949، على ما يلي: "يعدّ الصحفيون الذين يباشرون مهمات خطرة في مناطق المنازعات المسلحة أشخاصاً مدنيين، يجب حمايتهم بهذه الصفة بمقتضى أحكام الاتفاقيات وهذا البروتوكول".

ومع ذلك، لم يكن الصحفيون الفلسطينيون بمنأى عن اعتداءات المستوطنين، بل إن وجود الصحفيين في الأماكن التي كان يمارس فيها المستوطنون اعتداءاتهم، يشكل دائماً عنصر استفزاز للمستوطنين، الذين كانوا يوجهون اعتداءاتهم بشكل مباشر للصحفيين. وكثيراً ما كان الصحفيون يتعرضون للاعتداء عليهم حتى في أثناء قيامهم بواجبهم المهني[256].

لم يكتفِ المستوطنون بالاستيلاء على أرضٍ في منطقة المواصي، القريبة من تجمع مستعمرات جوش قطيف، بل إنهم أطلقوا الرصاص وجرحوا شاباً فلسطينياً خلال محاولة أصحاب الأرض الدفاع عنها، يوم 1997/6/16. وعندما وصل ثلاثة صحفيين فلسطينيين إلى المنطقة، لتغطية مظاهرة نظمها أصحاب الأرض، أطلق أحد المستوطنين النار عليهم. وقال مراسل من وكالة رويترز للأنباء: "صرخت قائلاً بالعبرية للمستوطن نحن صحفيون، لكنه سبّنا، وواصل إطلاق الرصاص من مسدسه، وكادت طلقة تصيبنا".

أما قوات الجيش الإسرائيلي التي وصلت إلى المكان، فإنها لم تستنكف عن الدفاع عن الصحفيين فحسب، وإنما قام الجنود الإسرائيليون بضرب أحد المصورين، وركل الآخرين[257].

---

[255] بتصرف عن: المركز الفلسطيني للإعلام، تقارير إخبارية، 2010/10/22-2011/6/1.

[256] **النهار**، القدس، العدد 2982، 1995/7/25، ص 8.

[257] الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن، تقرير 2002/3/29-2002/5/31.

وفي مدينة الخليل، حيث يحاول الصحفيون أن يصوروا اعتداءات المستوطنين وممارساتهم الهمجية ضدّ الفلسطينيين، وهو أمر لا يروق للمستوطنين، ولا للجيش الإسرائيلي، تعرض الصحفيون لعدة اعتداءات، ومنها تشاجر نحو ثلاثين مستوطناً مع الصحفيين الذين كانوا يغطون اعتداءات الجيش الإسرائيلي على شاب من عائلة أبو سنينة، يوم 1997/10/21، حيث هاجموهم، وأتلفوا آلة تصوير كان يحملها مصور يعمل في وكالة رويترز[258].

في مساء يوم الثلاثاء الموافق 2000/10/10، هاجم المستوطنون بالقرب من مفترق زعترة، سيارة كان يستقلها الصحفيان حسن التيتي وعبد الرحيم القوصيني، وكلاهما من نابلس، عند عودتهما إلى مدينتهم، حيث قام أربعة مستوطنين بمحاولة حرفها عن مسارها، وعندما فشلوا، هاجموها بالحجارة. وأبلغ الصحفيان سيارة لحرس الحدود بذلك، إلا أنه لم يتخذ أي إجراء بحقّ المستوطنين.

وفي إفادة مشفوعة بالقسم، أدلى بها المصور الصحفي ناصر سليمان اشتية، وهو من قرية سالم في منطقة نابلس، ويعمل لصالح وكالة الإسوشيتد برس Associated Press (AP) في مدينة القدس، قال:

> في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم 2000/11/13م، وأثناء عودتي من عملي إلى منزلي، وعند وصولي إلى حاجز زعترة، حيث كان برفقتي زميلي عبد الرحمن القوصيني مراسل وكالة رويترز البريطانية، وسائق سيارة أجرة تحمل ترخيص القدس، تفاجئنا [تفاجأنا] بمجموعة من المستوطنين، عددهم الثلاثين مستوطناً، يقفون على جوانب الطريق، وما هي إلا لحظات عندما اقتربنا منهم، قاموا بمهاجمتنا وقذفنا بالحجارة الكبيرة الحجم، وعلى مرأى من عيون جيش الاحتلال الذي كان في نقطة عسكرية دائمة في المنطقة، فقام المستوطنون بتكسير السيارة بالكامل، مع أن هناك لافتات عليها تشير بأنها سيارة صحفيين، وقد أصبنا برضوض وحالات تقيؤ. وعلى الفور، وبعد الاعتداء علينا، توجهنا هاربين باتجاه قرية بيتا القريبة من المكان، لأن طريق زعترة إلى قريتي مليئة بالمستوطنين، حيث قام على الفور أحد سكان بيتا بتقديم الإسعاف الضروري لنا، وبعدها ذهبنا إلى مستشفى رفيديا في مدينة نابلس[259].

---

[258] **القدس العربي**، العدد 2521، 1997/6/17، ص 5.

[259] **الرأي**، العدد 9907، 1997/10/22، ص 18.

وقد قال الصحفي حسام أبو علان للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

> بتاريخ 2000/12/12م، كنت برفقة وفد من نساء أجنبيات متزوجات من فلسطينيين، يزرن البلدة القديمة في الخليل، عندما علمنا أن المستوطنين يهاجمون سوق الخضار، أسرعت إلى هناك لتغطية الحدث. ولكن، ما إن وصلت حتى أمسكني ثمانية مستوطنين مسلحين، وانهالوا علي ضرباً، وعندما تجمعت النساء الأجنبيات حولي وأخذن يجادلن المستوطنين، تدخل الجيش الإسرائيلي لحماية المستوطنين. أخذوني إلى مستشفى عالية، وبالطبع لم أقدم شكوى، لأنني لا أثق في الشرطة الإسرائيلية[260].

وقال الصحفي لؤي أبو هيكل، مصور وكالة رويترز في إفادته أيضاً:

> بتاريخ 2000/12/12م، كنت في شارع الشلالة أغطي المواجهات، عندما سمعنا أن المستوطنين يهاجمون سوق الخضار، فتوجهت مع مجموعة من الصحفيين إلى هناك. وعندما وصلت، وبدأت أصور اعتداءات المستوطنين على المحلات والمواطنين الفلسطينيين، هاجمني حوالي عشرة مستوطنين، وضربوني بكل وحشية، وكسروا الكاميرا التي كانت معي. ساعدني الزميل مازن دعنا، الذي ضربه المستوطنون كذلك[261].

وخلال ساعات نهار يوم السبت الموافق 2001/3/10، قامت عدة مجموعات من المستوطنين القاطنين في وسط مدينة الخليل، بسلسلة اعتداءات واستفزازات استهدفت الفلسطينيين في أحياء جبل الرحمة، وتلّ الرميدة، والسهلة، وشارع الشهداء. واعتدى المستوطنون على سكان المنطقة والمارة، تحت سمع وبصر قوات الاحتلال التي كانت ترافقهم، وتوفر الحماية لهم، وأسفرت هذه الاعتداءات عن إصابة الصحفيين مازن دعنا، ويعمل مصوراً تلفزيونياً لصالح وكالة رويترز للأنباء، وحسام أبو علان، ويعمل مصوراً فوتوغرافياً لصالح وكالة الأنباء الفرنسية. وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق 2001/4/27، اعتدت مجموعة من المستوطنين من مستعمرة خارصينا على الصحفي نايف الهشلمون أثناء قيامه بتصوير اعتداءات المستوطنين على المواطنين، وقد تمّ هذا الاعتداء تحت حماية جيش الاحتلال.

---

[260] **جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال**.

[261] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 41-42.

وفي حوالي الساعة 7:30 من صباح يوم الجمعة الموافق 2001/6/22، قام حوالي خمسين مستوطناً من كريات أربع، وخارصينا، وكرمي تسور، إلى الشمال الشرقي من مدينة الخليل، بإغلاق المدخل الشمالي لبلدة حلحول. وفي هذه الأثناء، كان الصحفيان مازن دعنا ونائل شيوخي في المكان، وكلاهما يعملان لصالح وكالة أنباء رويترز لتغطية اعتداءات المستوطنين، فقام المستوطنون بالاعتداء عليهما، حيث أصيبا برضوض في الوجه وحطم المستوطنون كاميرات التصوير الخاصة بهما[262].

13. الاستعانة بالحيوانات المتوحشة والبرية:

لا يكتفي المستوطنون بابتلاع آلاف الدونمات في مختلف المناطق الفلسطينية، بل يتفننون بأساليب خبيثة وماكرة في تسخير الحيوانات البرية والمتوحشة لأغراضهم، وخدمة أهدافهم الاستيطانية المتنامية، والتي لا تعرف التوقف، في دهاء منقطع النظير، يؤهلهم لزمالة وثيقة مع الوحوش التي يستخدمون ويوجهون.

ويقول مواطنون ومزارعون من قرية روجيب، جنوب شرق نابلس، أن مستوطني إيتمار، أقدموا على إطلاق مجموعات من الضباع المتوحشة والخنازير البرية، مما أدى إلى إثارة الرعب والهلع في نفوس المزارعين، في خطوة تهدف إلى منع التجول الليلي في القرية، وحرمان المزارعين من الوصول إلى أراضيهم لتبدو قاحلة ومهجورة، مما يسهل عليهم القيام بالتهامها بيسر وسهولة، في ظلّ عدم تواجد المزارعين، المتزامن مع الخوف من تلك الحيوانات المتوحشة والضارة، بالإضافة إلى الأضرار الناتجة عن مطاردتها للأغنام والرعاة، الأمر الذي يضغط على القطاع الحيواني ومنتوجاته.

ويشير أهالي زواتا وعصيرة الشمالية، قرب نابلس، إلى قيام المستوطنين والسلطات الإسرائيلية بنشر الخنازير البرية في محيط أراضيهم أيضاً. كما يؤكد العديد من مزارعي قرية جينصافوط، على الطريق المؤدية إلى قلقيلية، أن المستوطنين في محيط مستعمرتي شمرون Shomron وعمانوئيل يطلقون قطعاناً من الخنازير البرية في أراضيهم المزروعة بالخضروات البعلة والزعتر وغراس الزيتون والقمح، محدثة خسائر فادحة، حيث تمكنت القطعان من تخريب قطعة أرض كاملة مزروعة بالخضروات مساحتها 14 دونماً، وأصابتها بالقحط، فيما تشهد المستعمرات المحيطة توسعاً ملحوظاً على حساب أراضي القرية.

[262] جرائم المستوطنين: الوجه الآخر للاحتلال.

وخلال السنوات المنصرمة، أصبحت قطعان الغزلان تظهر بكثرة مفاجئة، لفتت أنظار المزارعين ورعاة الأغنام في قرى جنوب غرب نابلس، وتبين أن مصدرها المستعمرات، بدعوى تحسين وضع الحياة البرية والطبيعية في المناطق المذكورة، إلا أن خبراء ومهندسين زراعيين وأطباء بيطرة أكدوا الخطر الذي يتهدد الأشجار، خاصة غراس الزيتون التي تزرع حديثاً في أراضٍ تمّ استصلاحها للحماية من أخطار المصادرة، هذا الخطر الذي تتسبب به ذكور الغزلان بواسطة إصابات الرأس والقرون أثناء فترة الهيجان والتزاوج، والتي تؤثر عضوياً على نمو البراعم والغراس التي تمّ رعيها، وبالتالي ضعفها وتوقفها عن النمو.

ويجمع أهالي روجيب وعقربا وعورتا وبيت فوريك على تسمية المستوطن نسيم حوافة من مستعمرة إيتمار، والذي يزن 120 كغ، بالمستوطن البغل، حيث يقوم بالاعتداء يومياً على مزارعي القرى المذكورة، ويمنعهم من الوصول إلى أشجار الزيتون، والعناية بالأرض، ويستعين بكلبه الضخم، والذي يطلقه باتجاه المزارعين محدثاً الرعب والهلع والإصابات، جراء عضه المزراعين، وهرب الأغنام والأطفال أمامه، فيما يطارد البغل بقية المزارعين، ويطرحهم أرضاً، ويصعد على أجسامهم المنهكة بعد ضربهم.

كما أطلق مستوطنو إيلون موريه أيضاً، كلاباً مسعورة على مزراعي دير الحطب، أثناء قطف الزيتون في منطقتي الشفا والجلادات، وأصيب عدد منهم جراء عضهم من الكلاب. وشكا مزارعون من كفر قليل وبورين من قيام أحد مستوطني براخا، بإطلاق أغنامه للرعي في الأراضي المزروعة بغراس الزيتون الحديثة، لتقوم بقضمها والاعتداء عليها، ويكمل هو دوره باقتلاعها وكسرها، ويدعي بعد ذلك، بأن رعاة المنطقة، هم الذين فعلوا تلك الجريمة، وبالتالي حصول خلافات بين أصحاب الأراضي والرعاة المتواجدين في المنطقة، بالإضافة إلى المياه العادمة التي تنطلق من المستعمرات، لتؤثر، بشكل كبير، على المزروعات، وتحرقها، لتصبح بعد ذلك جافة ميتة.

وقد هاجمت الذئاب المفترسة التي يطلقها المستوطنون، بعد شرائها من حديقة الحيوانات، قطيعاً للأغنام يملكه أحد المواطنين، وتمكنت من قتل وإصابة حوالي خمسين رأساً من الأغنام في منطقة عرقوب بيت دجن، الواقعة شرق نابلس[263].

[263] **السبيل**، العدد 154، 1996/11/5.

أما قرى منطقة رام الله، فلها قصة أشد وحشية مع الكلاب المسعورة التي أطلقها المستوطنون، لتهاجم الفلسطينيين في بيوتهم، الأمر الذي أدى إلى موجة خوف عمت المنطقة. فلئن اعتاد الأطباء وطاقم التمريض في مستشفى رام الله الحكومي، خلال الشهور الأولى من الانتفاضة الفلسطينية سنة 1987، على استقبال جرحى أصيبوا بالرصاص الحي، أو المطاطي، أو البلاستيكي، أو نتيجة للضرب بالهراوات، إلا أنه في يوم الإثنين الموافق 1989/10/2، استقبل طاقم المستشفى حالة خرجت عن المألوف، وألقت على عاتقه مهمة جديدة، لم يكن يتوقعها، ولم يستعد أساساً لها.

صباح ذلك الإثنين كان عادياً، حيث كانت السيدة سلوى موسى غنام، من قرية جفنا الواقعة على بعد عشرة كيلومترات تقريباً إلى الشمال من رام الله، تقوم بعملها المنزلي الروتيني: من الفناء إلى المطبخ إلى الحمام إلى غرف النوم. صحيح أن السيدة سلوى أخطأت بتركها الباب مشرعاً، فقد يدخل الجنود كعادتهم دون استئذان، إلا أنها عضت أصابعها ندماً بعد ذلك، وتمنت أن يكون الجنود هم الذين دخلوا، وليس الكلب الضخم الغريب، الذي هاجمها، فانحبست صرخاتها في حلقها وكأنه كابوس، وهو ينهش في ساقيها وساعديها محاولة "كشه" بيأس، وأخيراً، خرجت صرخاتها الممزوجة بالنواح والعويل... استنجدت بأهل البلد، وما من مجير، لأنه ولسوء حظها، لم يكن رجال بالبلد، فالجميع في عمله. واستمر الحال كذلك، ما بين "نهش وكش"، إلى أن تجمعت النسوة والفتية على صرخاتها، واستطاعوا تخليصها من أنيابه... وهرول الكلب بين الكروم هازاً ما تبقى من ذنبه باتجاه دورا القرع المجاورة، بحثاً عن ضحية أخرى يروي بها سعاره، ويطفئ نار لعابه الملوث بالجراثيم. ولم تكد تمضي عدة دقائق على هرب المسعور، وقبل أن تتنفس النسوة والفتية الصعداء، وفي الوقت الذي كان ما زال جسد الضحية ممدداً بانتظار سيارة تنقلها إلى المستشفى، حتى هاجمت خمسة كلاب أخرى مشابهة، أطراف البلدة فعقرت ثلاثة فتيان، تتراوح أعمارهم بين 15-17 عاماً، إلى جانب سيدة عمرها (37 عاماً).

بالتأكيد، فإن الحديث لا يدور هنا عن كلب مسعور واحد، أصيب بالداء، فنقله إلى مجموعة أخرى من الكلاب الضالة. ولكن الحقيقة التي اتضحت بعد ذلك، هي أن هذه الكلاب جرت برمجتها وتسييرها بإشراف إسرائيلي، والأمانة تقتضي القول، إن الإسرائيلي الرسمي قد لا تكون له علاقة بالموضوع، إلا أن عبقرية الإسرائيلي المستوطن هي التي تفتقت عن هذا الاختراع العجيب.

وعلى مدار ثلاثة أسابيع متواصلة، ومنطقة رام الله تعيش فصول مسلسل الكلاب المسعورة، حيث لم تبقَ منطقة (جفنا – دوار القرع – الجلزون) المسرح الوحيد لعمليات الكلب الآلي الإسرائيلي، وإنما انتقلت نشاطاته إلى مناطق تبعد عن المنطقة أكثر من عشرة كيلومترات، وتحديداً إلى أطراف مدينة رام الله الشمالية، والشمالية الغربية، والغربية.

في شارع الإرسال، هاجم المسعور سيدة بيدها وهي في مطبخها، كما أصاب سلفتها التي هبت لنجدتها. وما حدث في شارع الإرسال، حدث في عين مصباح إلى الشمال الغربي من رام الله، وشارع الطيرة، حيث يقع في أقصاه معهد المعلمين التابع لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في غرب المدينة. وبلغ عدد الضحايا في مجمل المناطق 28 إصابة، وذلك طبقاً لملفات مستشفى رام الله الرسمية[264].

هاجس الكلاب المسعورة المبرمجة في منطقة رام الله أصاب الموظفين الفلسطينيين بالتوتر، وجعلهم يحاولون قدر الإمكان الحدّ من تنقلاتهم، لا سيّما في ساعات المساء. وقد استهدف هذا السلاح اللاإنساني إرهاق جمهور الانتفاضة، ودبّ الرعب في صفوفه، والحدّ ما أمكن من حركته ليلاً وحتى نهاراً.

وبشكل مشابه، ولكن هذه المرة استخدم المستوطنون الجرذان كبيرة الحجم، حيث قاموا بإطلاقها في البلدة القديمة من الخليل، خاصة في منطقة الحرم الإبراهيمي الشريف، الأمر الذي دفع ببلدية الخليل لأن تقوم بحملة واسعة النطاق للقضاء عليها عن طريق توزيع كميات كبيرة من السموم في مناطق تجمع هذه الجرذان، بالقرب من حاويات النفايات. كما نشر المستوطنون خنازير برية في محيط قرية زواتا، شمال نابلس، والأراضي الزراعية في منطقتي الحبايل وعين الحيات[265].

وفي محافظة خان يونس، استشهد الشاب كفاح خالد زعرب بعد أن منعت القوات الإسرائيلية المتمركزة عند مدخل حاجز التفاح والده من نقله إلى مستشفى ناصر في المدينة، إثر إصابته بجروح بالغة، نتيجة إطلاق المستوطنين مجموعات من الكلاب المتوحشة عليه في منطقة المواصي[266].

---

[264] **الحياة**، العدد 9829، 1989/11/18، ص 8.

[265] **الرأي**، العدد 9516، 1996/9/21، ص 49.

[266] **القدس**، العدد 11393، 2001/5/12، ص 1 و27.

14. الطعن بالسكين:

يقوم المستوطنون اليهود، أحياناً، الذين لديهم أسلحة من كل نوع، بما في ذلك الأسلحة النارية الأوتوماتيكية، والأسلحة البيضاء بأنواعها، بارتكاب جرائمهم مستخدمين السكاكين والبلطات ضدّ الفلسطينيين. ومن تلك الجرائم، قيام مجموعة من المستوطنين، كانت تحمل السكاكين، بنصب كمين للعمال الفلسطينيين عند الخط الفاصل بين القدس الشرقية والقدس الغربية، حيث نفذت ستّ عمليات طعن بالسكاكين خلال أربعة أشهر فقط (بين 1998/2/17 و1998/5/13). وقد أسفرت تلك العمليات عن استشهاد المواطن المقدسي خيري علقم (51 عاماً)، وهو أب لعشرة أبناء، بعد أن أصابوه بعدة طعنات في منطقة القلب، مما يؤكد أن هدفهم هو القتل[267].

احتجزت الشرطة الإسرائيلية يهودياً واحداً فقط لاستجوابه في الحادث، لكنها أخلت سبيله في وقت لاحق، بدعوى أن عمليات البحث ما تزال مستمرة. وعلى الرغم من إقرار الشرطة الإسرائيلية أن منظمة يهودية سرية تقف وراء مثل هذه العمليات، إلا أنها لم تحرك ساكناً، فاستمرت مجموعات المستوطنين في ارتكاب هذه الجرائم، دون أن تكشف الشرطة الإسرائيلية عن مرتكبي هذه الاعتداءات، مع أن هناك كاميرات تسجيل تلفزيونية، لمنع سرقة السيارات، موضوعة في شوارع مدينة القدس. وفي 1998/10/27، قتل المستوطنون خليل إبراهيم خشيمات، من عناتا، طعناً بالسكاكين، عندما كان يتواجد في حيّ مئة شعاريم، في القدس الغربية[268].

وفي يوم 1998/12/2، كان أسامة موسى أبو عيشة (41 عاماً)، خارجاً من منزله الكائن في حيّ الثوري فجراً، حين تعرض للطعن عدة مرات من الخلف، مما أدى إلى استشهاده. وقد أعلنت الشرطة الإسرائيلية أنها عثرت على السكين، الذي حفر عليه اسم منظمة يهودية متطرفة، بالقرب من مكان الجريمة، وعبارة (انتقام)، مما يشير إلى أنه الشخص أو الأشخاص ذاتهم الذين نفذوا عمليات الطعن الستة السابقة، والتي وقع معظمها بالقرب من مستعمرة تلبيوت وحيّ مئة شعاريم[269].

---

[267] **الرأي**، العدد 10110، 1998/5/14، ص 1 و19.

[268] الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة – القانون، **التقرير السنوي 1998**، ص 126.

[269] **الرأي**، العدد 10313، 1998/12/3، ص 16.

كما استشهد مساء الخميس 2011/2/10، الشاب حسام الرويضي (24 عاماً)، على أيدي مستوطنين في قرية عقب، وسط مدينة القدس المحتلة، بعد تعرضه للطعن. وكان الشاب المغدور، عائداً من عمله ومتجهاً نحو منزله، حين اعترض طريقه مجموعة من المستوطنين، وبدأوا بإطلاق الشتائم والألفاظ النابية عليه وعلى صديقه الذي كان معه. وفاجأ أحدهم حسام الرويضي وقام بطعنه بسيف ياباني، سبب له جرحاً عميقاً من أذنه حتى رقبته، وعندما حاول صديقه الدفاع عنه، قام المستوطنون بالاعتداء عليه وضربه[270].

15. الحرق واستخدام المواد القابلة للاشتعال:

الحقد والعداء الأسود للإنسانية يدفع المستوطنين إلى البحث، في كل مرة، عن أساليب جديدة، تعبر عن مدى الوحشية والكراهية التي يكنونها للفلسطينيين. ومن هذه الأساليب حرق الفلسطينيين أحياء، وإلقاء القنابل المتفجرة القابلة للاشتعال عليهم. ففي 1988/3/24، أشعلت مجموعة من المستوطنين النار في كوخ ينام فيه عمال فلسطينيين، بالقرب من نادي الشبيبة (فيتو)، في منطقة أور يهودا، بتل أبيب، مما أدى إلى استشهاد ثلاثة فلسطينيين حرقاً[271]. المستوطنون أحرقوا الكوخ، وهو عبارة عن براكية من الخشب، بعد أن قاموا بإقفالها من الخارج بإحكام، حتى يموت العمال الغزيين، وهم نيام. وهكذا، قضى سعيد إسماعيل من رفح، وعبد الله خليل من خان يونس، ونسيم إبراهيم عابد من مخيم المغازي حرقاً، وسجلت الشرطة الإسرائيلية القضية ضدّ مجهول، بعد ستة أشهر من التحقيق[272].

كما صعّد المستوطنون من استخدام الأجسام المتفجرة والحارقة، التي تكون عادة على شكل (لعب أطفال)، حيث أدى استخدام هذا النوع من السلاح إلى استشهاد ستة فلسطينيين في الفترة 1987-1994. ولم يكن المستوطنون ليستخدموا لعب الأطفال المفخخة لولا تعاون الجيش الإسرائيلي، ذلك أن هذه الأجسام المتفجرة تحتاج إلى تقنيات هندسية متقدمة، لا نعتقد أنها متوفرة لدى مجتمع المستوطنين[273].

---

[270] المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/2/11.

[271] مصطفى عمر، أساليب القمع الصهيوني للانتفاضة، **الهدف**، العدد 953، 1989/4/2، ص 15.

[272] **الوطن**، الكويت، العدد 4885، 1988/9/26.

[273] خالد عايد، "دور المستوطنين في مواجهة الانتفاضة/الثورة،" ص 221-225.

الفصل الرابع

الممارسات الإرهابية

الممارسات الإرهابية

أولاً: المنظومة العسكرية:

مثلما للمستوطنين بلدياتهم ومجالسهم وقوانينهم وصحفهم، بل وإذاعتهم الخاصة التي منحهم إياها وزير الدفاع إسحق مردخاي سنة 1997، إلى جانب "القناة السابعة" التي يديرها المستوطنون بأنفسهم، فإن لهم أيضاً جيشهم وميليشياتهم الخاصة، والتي برز دورها كقوة ملحقة بالجيش الإسرائيلي[1].

ونتيجة لسياسات الحكومات الإسرائيلية المشجعة للاستيطان، أخذ المستوطنون يقومون بمهام الجيش الإسرائيلي، فهم يحملون السلاح، ويقومون في كثير من الأحيان باعتقال المواطنين العرب، أو يقتحمون بيوتهم بدعوى قيامهم برشق حجارة على سيارات المستوطنين. كما أنهم يشاركون في قمع التظاهرات الشعبية في الضفة الغربية، واقتلاع أشجار الزيتون والحمضيات، وإحراق مساحات واسعة من الأراضي الحرجية، وإحراق مئات المحلات التجارية وورش العمل والصناعة.

ولعل أخطر ما أورده الخبير العسكري لصحيفة هآرتس العبرية زئيف شيف Ze'ev Schiff، أن زعماء المستوطنين طالبوا رئيس الحكومة الإسرائيلية بإعطائهم صلاحيات إضافية، وأن يشاركوا بشكل أكبر في القرارات الأمنية في الضفة الغربية، وأن يُمنحوا حرية إطلاق النار على الفلسطينيين الذين يقومون برشق السيارات الإسرائيلية بالحجارة، أو ما أسماه شيف "صيد الآدميين"[2].

وبالرغم من السياسة المتشددة التي ينفذها الجيش الإسرائيلي ضدّ العرب، والصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها المستوطنون، فإن المنظمات الاستيطانية والأحزاب التي ينتمي إليها المستوطنون يتهمون الجيش الإسرائيلي باعتماد سياسة مرنة تجاه العرب، ويطالبون باستخدام إجراءات أكثر تشدداً ترتكز على إطلاق النار

[1] **الرأي**، العدد 9840، 1997/8/16، ص 25.

[2] صحيفة **المستقبل**، بيروت، العدد 227، 1983/8/6، ص 17.

على الفلسطينيين بشكل كثيف، واعتماد سياسة الإبعاد وتدمير البيوت على نطاق واسع، للتخفيف من الكثافة السكانية العربية[3].

إن نظرة على ممارسات المستوطنين تؤكد تصاعد فظائعهم، بتشجيع الحكومة الإسرائيلية وصمتها. فهم يتجولون بأسلحتهم، ويتحرشون بالمواطنين العرب تحت كنف الجيش الإسرائيلي، بل إنهم قاموا باستدعاء رئيس بلدية الخليل مصطفى النتشة إلى محكمة كريات أربع، الأمر الذي دفع صحفياً إسرائيلياً إلى أن يكتب مقالاً بعنوان "ما أصعب أن تكون خليلياً في الخليل"[4].

1. سلاح وحماية:

التلاقي بين الحكومة الإسرائيلية والجيش من جهة والمستوطنين من جهة أخرى، قوّى وعمّق الفكر الاستيطاني وعمِل على إيجاد أجواء وبيئة أمنية معمقة الجذور في الشارع الإسرائيلي بأن المستعمرات هي ضمانة من مجموعة ضمانات الأمن الإسرائيلي، وأن "الإرهاب الفلسطيني" لا يمكن إيقافه أو مواجهته بغياب الاستيطان. وبناءً عليه، فإن المسألة هي ابتزاز دعم دولي للفكر الاستيطاني كجزء من المنظومة الأمنية الإسرائيلية.

والتلاقي بين الأمن والاستيطان، جعل شارون يواجه أزمات نفسية في كيفية تفكيك عدد من المستعمرات في الضفة الغربية أو الانسحاب من قطاع غزة. وبالتالي، ظهر للعالم بأن المسألة تتعلق بالمصير الأمني لـ"دولة إسرائيل"، هذا المصير الذي لا يمكن لأي إسرائيلي التفريط به.

وبكونها كذلك، أصبحت المستعمرات معسكرات للجنود الإسرائيليين، يستخدمونها في أوقات الحاجة ليكونوا قريبين من مواقع الأحداث، كما ضمّت أيضاً مخازن كبيرة للأسلحة. ناهيك عن التغطية الرسمية على وجود كميات كبيرة من الأسلحة بحوزة الميليشيات العسكرية للمستوطنين[5].

وقد قامت علاقات جيدة بين المستوطنين ووحدات الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية، فقد بذلت عائلات المستوطنين جهوداً من أجل تقريب الجنود في المنطقة إليها.

---

[3] معين أحمد محمود، المستوطنون اليهود يعلنون الحرب على الفلسطينيين، **الاتحاد**، 1988/7/25.

[4] **المستقبل**، العدد 227، 1983/8/6، ص 18.

[5] جوني منصور، **مرجع سابق**، ص 172 و178.

ويتمثل ذلك، في عمليات تبني الوحدات العسكرية، وتنظيم برامج رياضية، وتنظيم رحلات للجنود[6]. فتحولت المستعمرات في الضفة الغربية إلى جيوب منزوية، محروسة جيداً من الجيش الإسرائيلي وحرس الحدود. كما تحظى الحافلات والسيارات الخصوصية التابعة للمستوطنين، بشكل عام، بمواكبة مسلحة من الجنود، وتطوف سيارات جيب عسكرية حول المستعمرات ليل نهار، ويشقّ المستوطنون طريقهم إلى مستعمراتهم فقط في قوافل منظمة مع مواكبة مسلحة[7].

وتُسيِّر شركة الحافلات الإسرائيلية "إيغد" Egged نحو أربعين حافلة مصفحة على 24 خطاً في الضفة الغربية، وتبلغ تكلفة تصفيح الحافلة الواحدة 320 ألف شيكل (حوالي 78,500 دولار)، وتتحرك بناء على موافقة من الجيش الإسرائيلي، وأحياناً بمواكبة سيارات عسكرية أمامها ووراءها، وفي بعض الحالات، تقوم مروحيات سلاح الجو الإسرائيلي بتوفير الحماية للحافلات المصفحة[8].

ومع أن الجيش الإسرائيلي لا يعلن معطيات رقمية عن قواته المنتشرة في الضفة الغربية، أو المعطيات المتعلقة بتكلفة تأمين حركة المستوطنين على الطرقات والمحاور، إلا أن المعطيات التي نشرت في ملحق صحيفة يديعوت أحرونوت، أظهرت أن الجيش الإسرائيلي نشر 50-60 سرية من سلاح المشاة في مستعمرات الضفة الغربية والمواقع العسكرية، تضمّ كل منها نحو مئة جندي[9].

وقد كشف مستشار وزير الدفاع الإسرائيلي لشؤون الاستيطان أن تكلفة جنود حماية المستعمرات ونقاط المراقبة تقدر بحوالي 75 مليون شيكل (حوالي 18.3 مليون دولار) في السنة[10]، في حين أن تكاليف حراسة نشاطات وأعمال البناء، التي تنفذها جماعة

---

[6] **الأنباء**، 1987/10/30، ص 19.

[7] أوري نير، **هآرتس**، 1988/4/7، انظر ترجمتها في: نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 4، السنة 15، نيسان/ أبريل 1988، ص 253.

[8] **القدس العربي**، 2000/10/4، ص 9، نقلاً عن: يوفال كارني، **يديعوت أحرونوت**، 2000/10/3.
ملاحظة: تمّ احتساب سعر صرف الشيكل حسب أسعار سنة 2000.

[9] شحار جينوسار ويوفال كارني، **يديعوت أحرونوت**، 2000/12/8، ترجمة خالد عايد، "الاستيطان اليهودي تحت وقع انتفاضة الأقصى،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 46/45، شتاء/ ربيع 2001، ص 63-64.

[10] **المرجع نفسه**.

عطيرت كوهنيم اليمينية في الحي الإسلامي داخل أسوار القدس، تبلغ وحدها 13.2 مليون شيكل (حوالي 3.2 مليون دولار) في السنة تصرف من خزينة الدولة[11].

بموجب بروتوكول الخليل الذي وقعته السلطة الفلسطينية مع الحكومة الإسرائيلية، سلّم الجيش الإسرائيلي حوالي 80% من الخليل وأبقى 20% منها تحت سيطرته. وتضمّ هذه المنطقة مئتي مستوطن وسط حوالي 30 ألف فلسطيني. وهؤلاء المستوطنين من المغالين الذين لا يؤمنون بالسلام، ويشكلون إزعاجاً متواصلاً لسكان البلدة القديمة، إذ أنهم يقومون بتظاهرات صاخبة يومياً، ويعتدون على المواطنين، ويشجعون حتى كلابهم بالقيام بهذا الدور، لإرهاب السكان وإجبارهم على ترك مدينتهم. كما ينادون بطرد جميع الفلسطينيين من ديارهم وتشريدهم، لتمكين اليهود من إقامة دولة عبرية خالصة.

الحكومة الإسرائيلية توفر الحماية لهذه الفئة، إذ أفرزت 1,500 جندي بالإضافة إلى 128 شرطياً يتولون حراسة بيوت المستوطنين، ويشاركونهم أعمالهم العدوانية الاستفزازية. وهذه الحراسة تكلف الإسرائيليين ثمناً باهظاً جداً، إذ إن كل مستوطن يقطن وسط الخليل يكلف مبلغ 250 ألف دولار سنوياً مقابل الحراسة فقط، أي ما يعادل حوالي 20.8 ألف دولار شهرياً، وهذا يعدّ مبلغاً ضخماً بالنسبة لبلد يعيش على المساعدات[12].

وفي تقدير رئيس الإدارة المدنية السابق، العميد احتياط أفرايم سنية Efraim Sneh، فإن المستوطنين "عبء أمني". إذ "تجبر المستوطنات الجيش الإسرائيلي على إضافة كتيبة واحدة إلى المطلوب، على الأقل، وليس من أجل الحراسة المباشرة وحسب... ولولا وجود المستوطنات لكان في الإمكان تحديد النشاط العسكري لحراسة المحاور المركزية، والأهداف الكبيرة. وبسبب المستوطنات، يضطر الجيش الإسرائيلي إلى التواجد في كل طريق تقريباً، وأن يدخل كل قرية تقريباً"[13].

---

[11] **الرأي**، العدد 10213، 1998/8/25، ص 35.

[12] **الشرق الأوسط**، العدد 7393، 1999/2/24، ص 3.

[13] ران كسليف، المستوطنون: المواد المتفجرة الخفية، **هآرتس**، 1988/7/15، انظر ترجمتها في: نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 8، السنة 15، آب/ أغسطس 1988، ص 613-616.

2. مجتمع عسكري:

نقرأ في هآرتس تقريراً أمنياً للخبير العسكري زئيف شيف، حول حسابات الجيش الإسرائيلي المختلفة عن حسابات الحاخامات في المستعمرات وميليشياتها المسلحة، جاء فيه: "إن الدولة فقدت السيطرة على ما يحدث على الأرض، وأول ما فقدت السيطرة عليه هو السلاح الموجود بكثرة في أيدي المستوطنين".

في الواقع، إن وزارتي الداخلية والدفاع توزعان رشاشات عوزي أو بنادق إم-16، إضافة إلى تجهيزات جهاز الدفاع اللوائي، الذي يتشكل من عناصر الجيش الذين يستقرون في الحزام الاستيطاني، وحركات جوش أمونيم وكاخ وهتحيا اللواتي أقمن ترسانات الأسلحة لحسابها الخاص[14].

يقدر الخبير الاستراتيجي المصري، اللواء الركن المتقاعد حسام سويلم، عدد الأسلحة التي في أيدي المستوطنين بأكثر من 200 ألف قطعة، حيث توجد أعداد كبيرة من الضباط المتقاعدين والاحتياط الذين يقومون بتدريب هؤلاء الأفراد، ويشكلون ميليشيات تعادل حجم ثلاث فرق مشاة[15].

المستوطنون الذين تزيد أعمارهم عن الـ 18 هم إما جنود نظاميون، وإما جنود احتياط في الجيش الإسرائيلي. وسواء كانوا هؤلاء أم أولئك، فإنهم كثيراً ما يخدمون في الضفة الغربية، ويفوق استعدادهم لإطلاق النار على المدنيين الفلسطينيين، الموثق في تقرير مساعدة النائب العام يهوديت كارب، استعداد الجنود الآخرين.

وعندما يطلق الجيش الإسرائيلي النار لا يمكن اكتشاف ما إذا كان مصدر الإصابة أو القتل هو جندي من المستوطنين أو من غيرهم. والأمثلة التي نوردها هنا، ليست سوى بعض الجرائم التي ارتكبها المستوطنون الذين شاركوا الجيش الإسرائيلي في قمع المواطنين الفلسطينيين[16].

تؤكد صحيفة دافار الإسرائيلية أن الذي أطلق النار على الطالِبَيْن في جامعة بيرزيت، اللذين قتلا يوم 1986/12/14، خلال تصدي القوات الإسرائيلية لمظاهرة طلابية في الجامعة، هو مستوطن معروف الاسم، يخدم في منطقة رام الله، وهو برتبة كومندان،

---

[14] زئيف شيف، **هآرتس**، 1989/6/14، ترجمة **الأسبوع العربي**، 1989/7/10، ص 18.

[15] حسام سويلم، **مرجع سابق**.

[16] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 181.

وهو قريب الصلة بحركة جوش أمونيم. وكان في ذلك اليوم أول من وصل إلى مسرح الأحداث، فاستغل مع بعض المستوطنين الفرصة لإطلاق النار إلى جانب الجيش وحرس الحدود.

وقد أشارت الصحف الإسرائيلية أن الضابط اعترف بأنه أطلق النار على الطالِبَيْن، بزعم أنه هوجم بالحجارة والأسياخ الحديدية. ومهما يكن من أمر، فقد نفى وقتها وزير الدفاع إسحق رابين مسبقاً مسؤولية الجيش، وأشار إلى أن الجيش الإسرائيلي نفذ التعليمات بأمانة[17].

كما يتضمن مقال لداني روبنشتاين في صحيفة دافار تقريراً عن إطلاق نار آخر قرب الخليل، يقول: "وجد متعهدان إسرائيليان حاجزاً من الحجارة عند قرية بني نعيم شرقي كريات أربع، فعادا إلى كريات أربع، حيث انضم إليهما بعض المستوطنين، وبينهم آفى نير، واتجهوا جميعاً إلى بني نعيم. وعند الحاجز ذاته، أطلق آفى نير النار، ويشتبه في أنه هو الذي قتل صبياً".

سمحت سلطات الاحتلال لآفى نير بأن يعمل أسبوعاً قبل أن يقتنع في النهاية بضرورة الإدلاء بإفادته لشرطة بيت لحم، غير أن الاتهام بمقتل الصبي لم يوجه إلى أحد. ويستدل على تقاعس الشرطة في التحقيق في القضية، من حادث آخر ورد ذكره في المقال ذاته، عندما شارك مستوطنون الجيش الإسرائيلي في قمع تظاهرة في قرية سنجل، فقتلوا الطالب محمد عبد الله يوسف. وأوقفت الشرطة مستوطن من شيلو اسمه ناتان ناتانسيون، ولكنها وجهت له تهمة القتل غير المتعمد، وأطلق سراحه بكفالة[18].

وتوجد تقارير أخرى عن جرائم قتل قام المستوطنون بها، وهناك حوادث خطف كثيرة قاموا بها أيضاً، ونقلوا فيها المخطوف إلى المستعمرة وأرعبوه. وهذا مثال آخر، لتولي المستوطنون تنفيذ القانون، بل إن الصحفي أمنون روبنشتاين توصل في مقال له إلى الاستنتاج التالي: "لقد أنشئت في البلد طبقتان من الأهالي: عرب يخضعون للحكم العسكري، ويهود يحظون برعاية القانون الإسرائيلي"[19].

---

[17] جان بيير لانجلييه، المستوطنون يشاركون في قمع العرب، صحيفة **لوموند** *Le Monde*، باريس، 1986/12/12، ترجمة **الوطن**، الكويت، العدد 3885، 1986/12/15، ص 16.

[18] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 181-182.

[19] **المرجع نفسه**، ص 180، نقلاً عن: أمنون روبنشتاين، خارج حكم القانون، **هآرتس**، 1982/4/5.

يقول الصحفي الفرنسي جان بيير لانجلييه، الذي كان يغطي الأحداث في مخيم بلاطة بالقرب من نابلس يوم 1986/12/9، إن صبي فلسطيني عمره 12 عاماً لقي مصرعه في ظروف محيرة، فقد أصيب في رأسه، ونقل إلى المستشفى قبل عشرين دقيقة من إصدار الأوامر إلى الجنود بإطلاق النار. وادعى وزير الدفاع الإسرائيلي، أن الرصاصة التي قتلته، والتي لم يتمّ العثور عليها، ليست من العيار نفسه الذي يستخدمه الجيش، في حين أكدت صحيفة الجيروزاليم بوست لاحقاً أن الصبي رمضان أبو زيتون لقي مصرعه برصاص انطلق من سيارة تحمل المستوطنين والجنود معاً!

ويؤكد لانجلييه في ختام تحقيقه أن ذلك يؤكد أن الجيش الإسرائيلي لا يستطيع أو لا يرغب في السيطرة على تصرفات المستوطنين في فترات التوتر، بل هناك نوعاً من التواطؤ بين قوات الأمن والمستوطنين. وقد شهدنا مثل هذا التواطؤ في شوارع الخليل، عندما فتح الحاخام موشيه ليفنغر، مؤسس حركة جوش أمونيم، النار على العرب، حيث تركه الجنود لفتره طويلة "يلعب دور رعاة البقر" دون نزع سلاحه[20].

وحسب معطيات وزارة الدفاع الإسرائيلية، هناك نحو 40 ألف ضابط وجندي من قوات الاحتياط، إضافة إلى 13 ألف ضابط وجندي من القوات النظامية في الجيش الإسرائيلي، يعيشون في المستعمرات مع عائلاتهم وأقاربهم، وبذلك فإنهم يعتبرون من المستوطنين. وهكذا تتضح لنا حقيقة الأسلحة التي تتمّ سرقتها من قواعد الجيش الإسرائيلي، وتنقل إلى المستعمرات[21].

لم يكن الأمر مجرد تلقي المستوطنين التدريب على أنواع كثيرة من الأسلحة برعاية الجيش الإسرائيلي، بل حدثت تطورات مهمة، أسهمت كثيراً في تطوير سلوك عنصري مضادّ للفلسطينيين، واعتبار ملاحقتهم أمراً مشروعاً بكونهم إرهابيين، يشكلون خطراً دائماً على أمن "إسرائيل". ومن هذه التطورات:

أ. **كتائب الدفاع الإقليمي:** وهي وحدات عسكرية في قوات الاحتياط، تشكلت من أبناء المستعمرات، ومعظم جنودها من حركة جوش أمونيم، أو من المقربين منها. ولم يشهد الجيش الإسرائيلي مثيلاً لهذه الظاهرة إلا في بداية تكوينه، إذ كانت

---

[20] جان بيير لانجلييه، **مرجع سابق**.

[21] المعلق العسكري لإذاعة الجيش الإسرائيلي، المستوطنون يمتلكون أسلحة جيش بكامله، ترجمة **المخطط الصهيوني**، العدد 34، السنة 3، كانون الثاني/ يناير 1994، ص 12.

هناك كتائب تابعة لمنظمة البالماخ Palmach، وأخرى لمنظمة ليحي. لكن في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر 1989، قررت قيادة الجيش الإسرائيلي، تشكيل "كتائب الدفاع الإقليمي" من المستوطنين، وتكليفها مهمات في قمع الانتفاضة الفلسطينية.

أثار قرار إحياء "سرايا المستوطنين" هذه، كما أخذت تعرف في حينه، ردات فعل متناقضة في الأوساط الإسرائيلية، كشفت عن مغزى القرار، وحددت شكل تنفيذه لاحقاً. فقد قال وزير الدفاع، إسحق رابين وقتها: "إن مهمة وحدة الدفاع الإقليمي الخاصة بسكان يهودا والسامرة هي الدفاع عن أماكن سكنهم في وقت الحرب. أما في الأوقات الأخرى، فهم يعملون جنود احتياط بكل معنى الكلمة، وتتمّ موضعتهم وفقاً لحاجات الجيش الإسرائيلي العملياتية"[22].

وهناك فرق آخر مهم بين كتائب الدفاع الإقليمي، وبين وحدات الجيش الإسرائيلي الأخرى، يتمثل في أن الأخيرة توجه قصارى جهدها إلى العدو الخارجي، بينما توجه الأولى مجهوداتها إلى العدو الداخلي، أي أهالي الضفة الغربية.

أوردت صحيفة هآرتس الإسرائيلية دراسة حول قوات الدفاع الإقليمي، أعدها الخبير العسكري للصحيفة زئيف شيف، جاء فيها:

> وفي الوقت الذي تعمل فيه الوحدات الأخرى على الحدود لمواجهة القوات السورية، وخلايا رجال المنظمات التي تحاول التسلل إلى إسرائيل، فإن جنود وحدات الدفاع في الضفة الغربية، يواجهون صاحب الحانوت العربي، الذي يقطن قرب المنطقة التي يستوطن فيها اليهود، ويتحول اليهودي أثناء تأدية الخدمة العسكرية إلى شرطي مسلح، الأمر الذي يدفعه إلى استغلال هذه الفرصة، وتسوية حساباته مع العرب، خصوصاً، وأن هذه الحسابات ليس لها علاقة بالأمن[23].

وتزامناً مع إنشاء هذه الكتائب، أدخل قائد قوات الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية داني ياتوم Dani Yatom تعديلاً على الأمر العسكري المتعلق بالحراسة في المستعمرات، حيث منح التعديل الجديد المستوطنين صلاحيات واسعة تشمل:

---

[22] خالد عايد، "دور المستوطنين في مواجهة الانتفاضة/ الثورة،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 3، صيف 1990، ص 228-229.

[23] **الأنباء**، 1987/10/30، ص 19.

التحقيق مع المواطنين الفلسطينيين، وإجراء تفتيش شخصي لهم، واعتقالهم إذا ما دعت الحاجة، وإذا ظهر أن اعتقالهم يمنع تعريض حياة أي شخص للخطر، أو إذا كان لدى الحارس أساساً معقولاً للافتراض بأن المواطن الفلسطيني الذي يريد اعتقاله ارتكب عملاً مخالفاً للقانون.

هذا التعديل سبقه إنشاء "وحدات إنذار" استيطانية تعمل تحت إشراف الجيش الإسرائيلي، مهمتها مساعدته في حال وقوع عمليات فلسطينية. وتتألف المجموعة الواحدة من 10-15 مستوطناً يرتدون اللباس العسكري، ومسلحين بمختلف أنواع الأسلحة، بما فيها مدافع الهاون (المورتر) Mortar. ويمكنهم التحرك في أية لحظة للمشاركة في عمليات "دفاع محلي" بقيادة ضباط نظاميين في الجيش. ويمكن لعناصر هذه الوحدات، مثلاً، الانتشار على حواجز في الطرقات يقيمها الجيش الإسرائيلي[24].

ب. **قوات المستعربين:** وهي وحدات عسكرية تتخفى بالكوفية الفلسطينية، يرتدي جميع أفرادها الزي التقليدي الشعبي العربي، حتى أن بعضهم يرتدي زي نساء فلسطينيات. وظهرت مجموعات عديدة من المستعربين في صفوف المستوطنين، شاركت الوحدات الأخرى التي شكلها الجيش والشرطة في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، وحظيت على تشجيع واضح من القيادة العسكرية الإسرائيلية، وعرفت باسم "وحدات الرد".

للمستعربين هدفان؛ الأول: الاندساس بين صفوف العرب لإثارة الفتن بينهم، ولقتل بعض الشباب العرب واتهام جهات فلسطينية حتى ينشب الخلاف والشقاق. والهدف الثاني: هو تنفيذ عمليات إعدام لنشطاء الانتفاضة بدون محاكمة[25].

في شهادة مواطن فلسطيني أدلى بها للقناة الأولى في إذاعة روما يوم 1988/3/5، قال: إن المستوطنين اليهود يرتدون الكوفيات والزي العربي، ويتحدثون باللغة العربية، ويهاجمون قرى الضفة الغربية وقطاع غزة، لقتل المواطنين العرب ثم ينسحبون بعد تنفيذ جرائمهم، وهم يتحدثون باللغة العبرية في داخل المستعمرات[26].

---

[24] **المخطط الصهيوني**، العدد 15، السنة 2، آب/ أغسطس 1992، ص 16.

[25] لمزيد من التفاصيل، انظر: غسان دوعر، **المستعربون: فرق الموت الإسرائيلية** (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004)، ص 43.

[26] حسام شحادة، "المستوطنون: البنية والدور الوظيفي،" **صامد الاقتصادي**، العدد 90، ص 163.

ج. **وحدات الحرس المدني:** أثار تشكيل "الوحدات السرية" ضجة في الأوساط الدولية والإسرائيلية، الأمر الذي استدعى الوقوف عند الأضرار التي تلحق بـ"إسرائيل"، وبقوات جيشها جراء هذا النمط من العمل في مواجهة وقمع الانتفاضة الفلسطينية، حيث تفتقت ذهنية الحكومة الإسرائيلية عن مخرج رسمي للمسألة، تمثل في تشكيل ما يسمى "الحرس المدني" للمستعمرات في الضفة وقطاع غزة في أواخر سنة 1991[27].

وقد تمّ تدريب "الحرس المدني" وإعداده، كقوات شرطة إضافية، تقوم بدوريات ليلية لمساعدة قوات الشرطة وحرس الحدود في القيام باعتقالات، استناداً إلى متحدث باسم الشرطة الإسرائيلية[28].

وفّرت الحكومة الإسرائيلية للمستوطنين ميزانية خاصة، وكل ما يحتاجون إليه، لتشكيل "الحرس المدني" وتسليحه، وتخويله إطلاق النار على كل "مشبوه" بأي ظرف في حدود مستعمراتهم، التي غالباً ما تمتد حيثما وجد هذا الحرس، وكثيراً ما نكّلوا بالعمال والمواطنين الفلسطينيين دون أن يجد القانون طريقاً إليهم[29].

عمل "الحرس المدني" في حدود المستعمرة ومحيطها، بتنسيق مع الشرطة والجيش، اللذين سمحا للحرس بالتدخل في المواجهات مع الفلسطينيين تحت شعارات المحافظة على الهدوء ومكافحة "أعمال الشغب". وهذا يتمّ بالتزامن مع ارتفاع أصوات المستوطنين المطالبة بالتشدد في استخدام سياسة "القبضة الحديدية" إزاء الفلسطينيين. كما تزامن الموضوع نفسه مع تحرك المستوطنين، الواسع النطاق، على مساحة الضفة والقطاع، وتنفيذ الاعتداءات على المواطنين العرب وممتلكاتهم.

ضمن هذه الظروف، أرسل مجلس المستعمرات في الضفة والقطاع برقية إلى وزير الدفاع موشيه أرنس يطالبون فيها بما أسموه "إعادة الأمن إلى المنطقة وطرد المخربين والمحرضين"، والقيام بعملية واسعة لتصفية الأسلحة وحامليها من الفلسطينيين، ودعم الاستيطان، مع استخدام المدرعات وطائرات الهيلوكبتر، وإعلان حالة الحرب في هذه المناطق.

---

[27] إياد عبد الخالق، المستوطنون وشهوة القتل، **فلسطين الثورة**، 1993/3/21، ص 17.

[28] **الرأي**، العدد 10142، 1998/6/15، ص 48.

[29] **البيادر السياسي**، العدد 557، 1994/3/12، ص 5.

التنسيق بين المستوطنين وقوات الاحتلال عبر "الحرس المدني"، أعطى "الحرس" صفة "القوة الأمنية"، التي تعمل جنباً إلى جنب مع الجيش الإسرائيلي، حيث تدرج أعمال "الحرس المدني" في بند "ضرورات الأمن"[30].

د. **لجنة الأمن على الطرق:** لم يكن المستوطنون راضين عن تصرف الحكومة الإسرائيلية تجاه الانتفاضة، حيث طالبوا بمزيد من القمع ضدّ الفلسطينيين. وليس هذا فحسب، بل أسسوا دوريات مسلحة ومستقلة، المشاركون فيها يعملون على عاتقهم ولا ينصاعون لأوامر الجيش والشرطة الإسرائيلية.

تعمل هذه الدوريات تحت اسم "لجنة الأمن على الطرق"، أفرادها من أعضاء جوش أمونيم وكاخ و"كهانا حي" وحيرب داود، بحجة عدم مقدرة الجيش الإسرائيلي على توفير سلامة المستوطنين على طرق الضفة الغربية. وقد رضخت الحكومة الإسرائيلية، وخصصت ميزانية خاصة لهذه اللجنة، وزودتها بسيارات جيب لاندروفر وأجهزة اتصال[31].

ويقدر عدد أفراد "لجنة الأمن على الطرق" بمئات الأعضاء، يقيم معظمهم في مستعمرة كريات أربع، وهم مجهزين بوسائط نقل سريعة، وأجهزة اتصال حديثة، ويمتلكون مخابئ أسلحة ومواد تخريبية، زيادة على الأسلحة الفردية المرخص بها والموجودة في حوزتهم بصفتهم مستوطنين وأفراد في "وحدات الدفاع الإقليمي" أو الخدمة العسكرية الاحتياطية.

وقد بدأت اللجنة نشاطها علناً في البداية، بتوفير مواكبة مسلحة لحافلات وسيارات المستوطنين، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى العمل السري، وأخذت تنظم حملات انتقامية وإرهابية ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم في المدن والقرى وعلى الطرق، وقد قتل وجرح بسببها عدد كبير من الأشخاص.

وفي الحالات كافة، كان الجيش الإسرائيلي يصل إلى أماكن الحوادث بعد أن يكون أعضاء التنظيم قد غادروا المكان. وقد تفاقم أذى هذه اللجنة بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، إلى حدّ دفع بعض أعضاء الكنيست اليساريين إلى تقديم استجوابات

[30] حسام شحادة، **مرجع سابق**، ص 164-165.

[31] **البيادر السياسي**، العدد 557، 1994/3/12، ص 5.

للحكومة بشأن هذه اللجنة سنة 1990، وإلى مطالبة الحكومة بالكشف عنها، ووضع حدّ لأنشطتها[32].

كما يخرج أعضاء هذه اللجنة في الليل، وخاصة إلى طريق القدس – الخليل، ويخلعون كروم العرب المجاورة للطريق، بدعوى أن شباب الانتفاضة الذين يلقون الزجاجات الفارغة والحجارة على عربات الجيش والمستوطنين يختبئون في هذه الكروم[33].

وقد قام مسلحو "لجنة الأمن على الطرق" باعتداءات على المدن والقرى العربية، دون أن تعمل السلطات الإسرائيلية على إيقافهم، بل إن الشرطة الإسرائيلية لم تقم بالتحقيق في تلك الاعتداءات. ففي حالتين منفردتين قتل خلالها فلسطينيَيْن جراء إطلاق النار عليهما من مسلحي "لجنة الأمن على الطرق"، ونشرت هذه الأحداث في وسائل الإعلام، لم تحقق الشرطة إطلاقاً بوفاة هذين الفلسطينيَين[34].

أما في مدينة الخليل، فقد سيرت "لجنة الأمن على الطرق" دوريات راجلة ومحمولة في شوارع البلدة القديمة، وأوقفوا المارة من الفلسطينيين ودققوا في هوياتهم، وصلبوهم على الجدران، واعتدوا عليهم بالضرب تحت سمع الجيش الإسرائيلي الموجود بشكل كثيف[35].

وبلغت تلك الاعتداءات ذروتها في الجريمة التي ارتكبها منتسبي "لجنة الأمن على الطرق" ضدّ عائلة طميزى من قرية إذنا، التي كانت في طريقها للاحتفال بعرس ابنها الذي سقط شهيداً في تلك الجريمة، ومعه استشهد أخوه وابن أخيه الرضيع. وقد أكد شهود عيان من بين أفراد عائلة طميزى أن الجريمة ارتكبت على بعد مئتي متر فقط من حاجز عسكري للجيش الإسرائيلي، وأن أصوات الأعيرة النارية سمعت في سماء المنطقة بشكل واضح، وأن الجنود كان بإمكانهم إلقاء القبض على المجرمين لأنهم مروا بالحاجز نفسه بعد أن نفذوا الجريمة.

---

[32] أحمد خليفة، **مرجع سابق**، ص 189-190.

[33] محمد ضيف، قبيل لقاء القمة: من يراقب الإرهاب اليهودي في الضفة الغربية، **الاتحاد**، 1998/1/8.

[34] "السكوت علامة الرضى،" تقرير صدر عن مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة – بتسيلم، 2001/3/27، ونشر في: **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 47، صيف 2001، ص 132-134.

[35] **الحياة**، العدد 12966، 1998/9/3، ص 1.

الصحفي رامي أفيكوس حذر في برنامج حواري بثته التلفزة الإسرائيلية من أن بعض قادة الألوية في الجيش الإسرائيلي قد حثوا عناصر كاخ على تنفيذ عمليات إرهابية ضدّ الفلسطينيين، وأعطوهم الانطباع أن سلطات الجيش لن تولي الأمر اهتماماً كبيراً[36].

هـ. الأمر الأخطر مما سبق هو حرص المستوطنين على إقناع أبنائهم بالانضمام إلى الوحدات المختارة في الجيش الإسرائيلي، وهذا التوجه ليس توجهاً فردياً، بل توجهاً عاماً. فعندما أنشأت سلطات الاحتلال الإسرائيلية المستعمرة الأولى في الضفة الغربية، أصدر الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي سابقاً، شلومو غورين، والذي انضم فور تسريحه من الجيش للمستوطنين، أمراً حرض فيه المستوطنين على إرسال أبنائهم للوحدات المختارة في الجيش الإسرائيلي، حيث اعتبر أن ذلك يفتح الطريق للمستوطنين للتأثير مستقبلاً على عملية صنع القرار السياسي والأمني العسكري بدرجة تفوق الثقل الديموغرافي لهم.

وهكذا، أخذ المئات من أبناء المستوطنين طريقهم لتبوأ المواقع المرموقة في الجيش الإسرائيلي، وحيث إن معظم المستوطنين ينتمون إلى التيار الديني الذي يعتمر أنصاره القبعات الدينية المزركشة، فقد أطلق على بعض الوحدات المختارة في الجيش الإسرائيلي وحدات القبعات المزركشة. وكان الحاخام كهانا يدعو أنصاره للانضمام بشكل خاص إلى المخابرات العامة (الموساد) Mossad وسلاح حرس الحدود فضلاً عن الوحدات المختارة. وكان يثقف أنصاره على أن هذه المواقع تعطي الإمكانية لهم بأن يكونوا بمثابة "رأس الحربة" في مواجهة العرب.

باروخ مارزيل الذي خلف كهانا في قيادة حركة كاخ، أعلن بصراحة أن وجود عناصر الحركة في هذه المواقع يمكّنهم من قمع الفلسطينيين بالشكل الملائم. وبالفعل، فإنه لا يختلف اثنان على أن المنتمين لسلاح حرس الحدود هم من أكثر عناصر الأمن الإسرائيلي قسوة في تعاملهم مع العرب.

وقد توّج المستوطنون نجاحاتهم في هذا المجال عندما تمّ تنصيب إسرائيل سادان Israel Sadan قائداً لسلاح حرس الحدود، وهو خريج إحدى المدارس الدينية في مستعمرة كفار تفوح القريبة من مدينة بيت لحم، وهي من المستعمرات المشهورة

[36] **فلسطين المسلمة**، العدد 8، آب/ أغسطس 2001، ص 22.

بتعصبها وتطرف أفرادها حتى بالمقارنة مع مستوطني كريات أربع. وقد أشار العديد من الصحفيين الإسرائيليين وحتى من الساسة إلى أن قادة حرس الحدود وأفرادهم يتأثرون بشكل كبير بالتربية التي تلقوها في مؤسسات حركة كاخ الدينية والتعبوية.

ولا يقتصر الأمر على حرس الحدود، فقد حقق المستوطنون نجاحاً كبيراً في الأعوام الأخيرة في تبوأ مناصب مهمة جداً في كل من جهازي الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)، والمخابرات العامة (الموساد)، ويكفي أن نعلم أن ثلاثة من قادة الأفرع في الشاباك هم من المستوطنين المتدينين.

خطورة تبوأ المستوطنين المناصب العليا في المخابرات تكمن في أن ذلك ينعكس بشكل خاص على معاناة المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، حيث إن الشاباك هو الذي يتولى عمليات التحقيق مع المعتقلين، وهو الذي يتولى بالتالي عملية التعذيب.

وعلى الرغم من أن الشاباك يمارس التعذيب بعلم الحكومة، إلا أنه قد ثبت خلال التجربة أن عدداً من قادة الشاباك قام متأثراً بمعتقداته السياسية والعقائدية بإصدار الأوامر بتعذيب المعتقلين الفلسطينيين بشكل يفوق حتى ما تسمح به الحكومة. ومع أن الجنرالات في الشاباك لا يتولون التحقيق شخصياً مع المعتقلين، إلا أنه قد ثبت أن الجنرالات المنتمين للحركة الدينية قد قاموا بالتحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين، ولعل ما كشفت عنه النيابة العامة الإسرائيلية عن تورط ضابط كبير في الشاباك، ينتمي إلى التيار الديني في قتل الأسير خالد الشيخ في معتقل غزة المركزي سنة 1989، خير دليل على مغزى أن يتولى المستوطنين المسؤولية عن إدارة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية.

كما أن معظم قادة وحدات "المستعربين" هم من أبناء المستوطنين، حيث صرح هؤلاء أن العمل في هذه الوحدات يعطيهم المصدر لإشباع الرغبة في الانتقام من الفلسطينيين[37].

[37] إبراهيم السعيد، المستوطنون الصهاينة يعدون أبنائهم لمواجهة مؤكدة، **فلسطين المسلمة**، العدد 7، تموز/ يوليو 2000، ص 26-27.

أفيجدور أسكين Avigdor Askin، المتهم الرئيس في التخطيط للقيام بعمل استفزازي ضدّ المسلمين، وتدبير خطة لتدنيس المسجد الأقصى بإلقاء رأس خنزير في باحة المسجد خلال شهر رمضان سنة 1997 عمل لصالح جهاز الشاباك[38].

أما سكرتير عام مجلس المستعمرات في الضفة الغربية لمدة عشر سنوات أوري أريل Uri Ariel، فقد عهد له بمنصب مدير شعبة التخطيط والبنى التحتية في مكتب مستشار وزير الدفاع لشؤون الاستيطان في شهر تموز/ يوليو 1996، وتسلم في أيلول/ سبتمبر من السنة نفسها رسمياً منصب مساعد وزير الدفاع إسحق مردخاي لشؤون الاستيطان[39].

3. مخازن الطوارئ:

هناك تواطؤ آخر من قبل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية مع المستوطنين في الضفة الغربية، ذلك أن المستوطنين ممن يخدمون في الجيش الإسرائيلي، ومنهم ضباط يخدمون في وحدات ميدانية مقاتلة، يقومون وبعلم الجيش الإسرائيلي بتخزين الأسلحة النارية في مخازن يتصرفون بها كما يشاؤون.

والأكثر من ذلك، أن أفراد المجموعات الاستيطانية المتطرفة من بين الضباط يتولون، بحكم عملهم الميداني، الإشراف على مخازن السلاح الموجودة في المستعمرات، والتي يطلق عليها "مخازن الطوارئ"، ويحقّ لهم التصرف بها كيفما يشاؤون، ووفق تعليمات هيئة أركان الجيش الإسرائيلي[40].

وهناك مصادر عدة للحصول على السلاح بالنسبة للمستوطنين، مثلاً: من يخدم في الوحدات القتالية في الجيش، يحقّ له أخذ السلاح معه من طراز إم–16 وعوزي، ومن يخدم في الوحدات اللوائية، يحصل على سلاح من مخزن الأسلحة في المستعمرة ذاتها، كما يحصل بعض المستوطنين على سلاح بهدف الحراسة أو المرافقة، وأخيراً، بإمكان كل مستوطن أن يتقدم إلى وزارة الشرطة للحصول على موافقة حيازة سلاح[41].

---

[38] **الدستور**، العدد 11042، 1998/5/16، ص 15.

[39] **الرأي**، العدد 9516، 1996/9/21، ص 49.

[40] **فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 2001، ص 22.

[41] إياد عبد الخالق، إرهاب علني وشبه شرعي، **فلسطين الثورة**، 1991/9/8، ص 15.

وبعد أن قررت وزارة الشرطة في حكومة إسحق شامير توسيع المعايير التي يتمّ بموجبها إصدار تراخيص للإسرائيليين لحمل السلاح، بحيث أصبحت تشمل المزارعين الذين يفلحون أراضيهم خارج أماكن سكناهم، والإسرائيليين الذين يسافرون في نطاق عملهم إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، ارتفع عدد مقدمي الطلبات للحصول على السلاح بنسبة 60% من سكان المستعمرات في الضفة الغربية[42].

ونتج عن هذا التوسع في إصدار تراخيص حمل السلاح للمستوطنين، أن طالب قادة الميليشيات الاستيطانية بالسماح لهم باستخدام السلاح الذي بحوزتهم بهدف الردع، وليس فقط عندما يصابون، أو عندما تتعرض حياتهم للخطر، وأنه يجب النظر إلى رشق الحجارة عليهم على أنه عمل يعرض حياتهم للخطر، وليس أقل من إطلاق النار نحو من يفعل ذلك بهم[43].

وحسب المعطيات التي أعلنت عنها وزارة الدفاع الإسرائيلية، فإن هناك 12 مخزناً كبيراً للسلاح والمعدات والعتاد العسكري موجودة في المستعمرات بالضفة الغربية، والمستوطنين اليهود يتطلعون إلى تخزين المزيد من الوسائل القتالية في مستعمراتهم. بل، إنهم نقلوا كميات منها من داخل "إسرائيل" إلى المستعمرات، وبعض الأسلحة هذه تتمّ سرقتها من قواعد الجيش الإسرائيلي، بواسطة ضباط وجنود من سكان المستعمرات، حيث يقوم هؤلاء بنقلها إلى مستعمراتهم من أجل تخزينها.

الأسلحة الموجودة بحوزة المستوطنين تكفي لتسليح عدة ألوية أو جيش صغير كالجيش البنمي أو الكولومبي. ويتضح من المعطيات التي أعلنتها وزارة الدفاع الإسرائيلية أن بحوزة المستوطنين، 11 ألف رشاش عوزي و6 الآف بندقية رشاشة هجليل و21 ألف بندقية رشاشة إم–16، و9,700 قنبلة يدوية، و52 ألف مسدس من عيارات مختلفة، و53 مضاد للدروع آر بي جي RPG، و61 قاذف صواريخ مضاد للدروع من نوع "تاو" TOW، إضافة إلى 242 صاروخ تاو، و17 مدفع مورتر، و36 مدفع هاون عيار 82 ملم، و9 مدافع هاون عيار 120 ملم، و4 مدافع هاون عيار 160 ملم، و7 مدافع ميدانية عيار 130 ملم، و5 مدافع مضادة للدروع عيار 105 ملم، و3 مدافع

[42] **الوطن**، الكويت، العدد 4850، 1988/9/22.

[43] **الوطن**، الكويت، العدد 4610، 1987/12/21، ص 14.

ميدانية ثقيلة نوع "هوبيتسر" عيار 155 ملم، وثلاث مدافع ميدانية نوع هوبيتسر من عيار 160 ملم، ونحو خمسة أطنان من العتاد والذخائر وأجهزة اتصال عسكرية، وحوالي 170 سيارة جيب يمكن استخدامها لأغراض عسكرية، مزودة بأجهزة اتصال ثابتة[44].

أما بالنسبة لبرامج تدريب المستوطنين، فإنها تتمّ بدعم من وزارة الدفاع الإسرائيلية والأجهزة الأمنية الرسمية، ومن ذلك 11 مركزاً للتدريب العسكري أقامتها جمعية عطيرت كوهنيم، منها ثمانية "تخدم الشباب المتدين"، حيث يتمّ تقديم الدعم المالي لهذه المراكز من خلال الوحدة القتالية الشبابية الخاصة في الجيش، ويشمل الدعم المالي تمويل مستلزمات التدريب الميداني، مثل توفير خيم التدريب وغيرها، إضافة إلى تخصيص رواتب شهرية ثابتة للتلاميذ[45].

أفراد حركة كاخ، ومن منطلق عملهم في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، يعقدون دورات تدريبية ومخيمات صيفية للفتيان اليهود في العديد من المستعمرات، يتلقى فيها الفتيان تدريبات على استخدام السلاح، وكيفية تنفيذ عمليات إطلاق نار دون ترك دلائل على هوية منفذي العمليات، ويقوم بهذه التدريبات عناصر كاخ الذين يخدمون في الشرطة والجيش[46].

وقد بثّ التلفزيون الإسرائيلي، تقريراً ظهر فيه مجموعتان من المستوطنين تقومان بالتدرب على إطلاق النار في شوارع الخليل. وقد شوهد أفراد المجموعتين يحطمون زجاج المصابيح الكهربائية في شوارع الخليل، ويعملون على تحطيم زجاج السيارات العربية، ويطلقون النار على خزانات المياه، وهم يتدربون على استخدام السلاح[47].

كما أقامت المنظمات الاستيطانية والدينية معسكرات تدريب في أنحاء شتى في الولايات المتحدة لتعليم المهاجرين اليهود على استخدام السلاح، وصناعة العبوات

---

[44] المعلق العسكري لإذاعة الجيش الإسرائيلي، المستوطنون يمتلكون أسلحة جيش بكامله، ص 10-12.

[45] **الحياة**، العدد 12926، 1998/7/25، ص 3.

[46] **فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 2001، ص 22.

[47] **الحرية**، العدد 1577، 1993/5/23، ص 24.

المتفجرة، والانضباط والعقيدة العسكرية، وما إلى ذلك من أساليب وفنون الحرب. كما أن بعضاً من المستوطنين قد يكونون قد تلقوا تدريبات في السابق في أثناء خدمتهم في القوات الأمريكية، واكتسبوا خبرات قتالية في أثناء مشاركتهم في حروب أمريكا[48].

"لاني" مستوطن شاب من حركة "كهانا حيّ"، تخرج من دورة قتالية عقدتها الحركة في الولايات المتحدة، قال:

> مستوى الدورة أعلى من المستوى المطلوب في الجيش الإسرائيلي، وعدد من المرشدين لدينا هم من ضباط الجيش الإسرائيلي، من جولاني ومن سلاح المظلات. وشمل التدريب إطلاق النار من مختلف أنواع الأسلحة، أطلقنا النار من بندقية 16 ملم، كلاشينكوف، ماج، بنادق قنص، بنادق صيد ومسدسات... تدربنا أيضاً على إلقاء القنابل، وإعداد العبوات الناسفة، وقتال المواجهة، والسير لمسافات طويلة[49].

4. تعليمات القتل والإرهاب:

كلما ارتكب مستوطن عملاً إرهابياً ضدّ الفلسطينيين العزل من السلاح، تسارع وسائل الإعلام، والمسؤولون الإسرائيليين، للتقليل من شأن الحادث واتهام مرتكب الفعل الإرهابي بالجنون أو إصابته بحالة هيستيرية مرضية، ويطوى ملف القضية في يوم وقوع الحادث نفسه، ويتجرع ضحايا الإرهاب الصهيوني مرارة الموت، وحسرة فراق عزيز، وآلام رؤية المشوهين والجرحى، ويجوب أبناء الشهداء الشوارع بحثاً عن رغيف خبز وحياة كريمة يجدونها أو لا يجدونها.

وإذا ما ثبت أنه عمل مقصود، فالمجتمع الإسرائيلي الحضاري الديموقراطي المسالم لا يقبل بذلك، حيث تسارع السلطات باعتقال الفاعل أو الفاعلين، وتدفعهم الثمن باهضاً على فعلتهم الشنيعة، وهذا الثمن الباهظ هو دفع "أغورة" كتعويض على مقتل طفل فلسطيني، والأغورة لا تساوي ثمن عود ثقاب، أو تصدر حكماً بالسجن لأيام أو أشهر مع وقف التنفيذ[50].

---

[48] إيناس صلاح الدين، لماذا يأتي غالبية اليهود المتطرفين في فلسطين المحتلة من الولايات المتحدة، **السبيل**، العدد 405، 2001/10/9، ص 10.

[49] شلومو درور، **مرجع سابق**.

[50] إبراهيم أبراش، من إرهاب الدولة إلى إرهاب المنظمات والأفراد، **القدس العربي**، العدد 2423، 1997/2/21، ص 14.

وضع السلاح في أيدي المستوطنين، وتخويلهم حقّ استخدامه بحجة الدفاع عن أمن المستعمرات، لا يتوقف عند حدّ إفساح المجال أمام ارتكاب عمليات قتل ضدّ الفلسطينيين، بل يتجاوزه إلى إفساح المجال أمام صعود المنظمات الإرهابية اليهودية السرية في ظروف أكثر ملائمة، واستغلال التيار القومي الإسرائيلي الذي يراوده حلم الاحتفاظ بما يسميه "أرض إسرائيل كاملة".

وعلى الرغم من أن وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه أرنس ادعى أن تشكيلات المستوطنين العسكرية تعمل ضمن مراكز للشرطة في المستعمرات، وتكون تحت رقابتها، ولا يقوم أفرادها بالتالي بأعمال "طائشة" على حدّ تعبيره، فإنه كمسؤول حكومي لم يكن يملك سوى أن يقول مثل هذا الكلام. وهو لا يملك أيضاً أية ضمانة ضدّ حدوث ما أسماه "الأعمال الطائشة"، التي ستكون هي المطلوبة لنشر الإرهاب المرتجى في وسط الفلسطينيين، عندما يكون تهجيرهم هو الهدف المعلن على الأقل لتلك الميليشيات[51].

وفي الواقع، فإن مجمل النشاطات الرئيسية التي يقوم بها المستوطنون وأعضاء الحركات الدينية المتطرفة تتمّ بالتنسيق مع وزارة الدفاع الإسرائيلية. ومن ذلك، اعتراف المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بما يسمى "المجلس التنفيذي للضفة والقطاع"، الذي أسسه المستوطنون في أواخر سنة 1988، وكانت أول قراراته تسيير دوريات في سيارات خاصة تتجول في الشوارع الرئيسية، خصوصاً شمالي الضفة الغربية، وتحمل هذه السيارات لافتات كتب عليها "مجلس الأمن" وترفع الأعلام الإسرائيلية، إضافة إلى قيام أعضاء المجلس بتوزيع منشورات في القرى والبلدات الفلسطينية تحذر من استمرار الانتفاضة.

وقد قامت هذه الدوريات والفرق الاستيطانية بجرائم واسعة ضدّ أماكن التجمعات الفلسطينية، كإطلاق الرصاص الحي وقتل العديد من المواطنين الفلسطينيين وجرحهم، وكذلك عمليات إلحاق الأضرار بالعقارات والممتلكات من سيارات وأشجار وحقول.

وقد طور هذا المجلس نشاطاته في اجتماع عقده رؤساء المستعمرات، وحضره عدد من الضباط، وأقر بنتيجته مشروع عمل موحد تناول أهدافاً استراتيجية، منها استبدال

[51] رضى سلمان، تسليح المستوطنين في الضفة والقطاع يصعد سياسة تهجير السكان، **الحياة**، العدد 10596، 1992/2/11، ص 13.

الشعار الذي رفعه المستوطنون في أوائل الانتفاضة "أفسحوا المجال أمام الجيش لمعالجة مشاكل أمن الشوارع"، بشعار آخر "إذا لم أخدم نفسي، فمن يسعى إلى خدمتي". كما تمّ التأكيد على ممارسة الضغوط على الحكومة، وتجنيد الرأي العام الإسرائيلي لدعم نشاطاتهم، وذلك عن طريق استئجار لوائح إعلانات، ورفع شعارات الليكود الانتخابية، واستخدام طلبة المدارس في المستعمرات مقابل وزارة الدفاع أو مكاتب رئيس الحكومة.

وقد اتخذت السياسة الاستيطانية بُعدَها الإجرامي الفظّ في الكراس الذي وُزِّع في حزيران/ يونيو 1990، وسمي "دليل المستوطن في المناطق... كيف تطلق النار على عربي دون أن يلقى القبض عليك"، والذي تضمن توصيات وتوجيهات للعمليات الانتقامية ضدّ المواطنين الفلسطينيين وقياداتهم. وأطلقت حركة السلام الآن على هذا الدليل اسم "نظرية قتال" للمستوطنين، فهو ينصح المستوطنين بالتزود ببنادق إم–18 ذات أسطوانة قصيرة، وبأكبر ذخيرة ممكنة، ويفصل لهم كيفية إزالة آثار إطلاق النار، وعملية التمويه، والتصرف في أثناء التحقيق[52].

ويقول الدليل للمستوطن: "طوبى لك إذا قررت القيام بعملية مدبرة، وتهانينا لك إذا قمت بتنفيذ العملية". وفي إطار النصائح العامة، يقول الدليل للمستوطن: ردّ على كل حجر يلقيه عربي بعمليات انتقامية سرية، أو بعمليات جماعية، ألحق خسائر فادحة بالممتلكات العربية[53].

قلنا في غير هذا المكان، أن المستوطنين هم أبناء أيديولوجيا، يجدون في الاستيطان المؤدلج توراتياً وصهيونياً شرعية لممارساتهم. ومن هنا، جاءت مبادرة الحاخامات في الضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1991 بتشكيل جسم جديد أطلقوا عليه "حاخامات يهودا والسامرة وغزة"، حيث قال الحاخام بني ألون، إن الهدف من تشكيل هذا الجسم هو "تعبئة الفراغ الروحي وتقديم الإرشاد للمستوطنين بشأن كيفية الردّ على العمليات ضدهم". وذكر ألون أن الحاخامات سيقودون "النضال ضدّ السياسة الأمنية الإسرائيلية" التي لا تقوم بما يكفي تجاه الانتفاضة[54].

---

[52] إياد عبد الخالق، إرهاب علني وشبه شرعي، ص 15.

[53] مصطفى الحسيني، **مرجع سابق**، ص 14-15.

[54] المستوطنون يعلنون حالة الحرب، **الحرية**، العدد 1510، 1991/12/29، ص 10، نقلاً عن: **معاريف**، 1991/12/18.

وفي السياق نفسه، لا يمكن التعامل بلا مبالاة مع الفتوى الدينية التي أصدرها الحاخام الأكبر السابق، شلومو غورين يوم 1993/3/9، والتي أجاز فيها قتل كل فلسطيني "يسير وفي حوزته سكين فوراً، وأهدر دمه".

وفسر غورين فتواه بأنه يجب أن لا تعطى الفرصة للفلسطيني ليقتل، أو حتى يفكر بالقتل، يجب قتله، وبعد ذلك التأكد مما كان يريد فعله. وهذا يعني، أن كل فلسطيني يعتبر هدفاً مشروعاً للقتل، فكل حركة غير متوقعة ليد شاب أو فتاة باتجاه جيب سترته يمكن تفسيرها حركة مشبوهة تُلزم اليهودي الذي يلاحظها بإطلاق النار بقصد القتل.

فتوى الحاخام غورين سبقتها دعوة مماثلة، وإن تكن أقل تطرفاً، أطلقها مجلس المستعمرات، وقد تضمنت دعوة المستوطنين لإطلاق النار على رماة الحجارة، والطلب من الحكومة القيام بإبعاد ألف فلسطيني بصورة دائمة، رداً على مصرع المستوطن يهوشع فايسبورد في رفح، مع القيام بمثل هذه الخطوة في كل مرة يلقى فيها أحد اليهود مصرعه على أيدي الفلسطينيين. وبرر الأمين العام للمجلس أوري أريل هذه التوصية بقوله: "من الأفضل دخول السجن على النوم الأبدي تحت التراب".

وفعلاً، قام المستوطنون بعدة عمليات قتل لمواطنين فلسطينيين. فهاجموا العمال العائدين من عملهم، فقتل نعيم محمود المدهون وأصابوا عشرون عاملاً آخر. وبينما برر المستوطنون اعتداءهم بزعم تعرضهم للرشق بالحجارة، كشفت صحيفة حداشوت أن شيئاً من هذا لم يحدث، وأن الهدف كان القتل فقط.

فقد قام المستوطنون بعمليات استفزازية مقصودة ضدّ العمال، حين تمترسوا بالقرب من مفرق بيت لاهيا، وأغلقوا الشارع، وبدأوا برشق السيارات بالحجارة، حيث أصابوا بطريق الخطأ سيارة عسكرية. وقد لاحظ ضابط الدورية عمليات إطلاق نيران متعمدة من بندقية عوزي باتجاه العمال، ودون أي أثر لرشق حجارة. وقال الضابط "إن إطلاق النار كان دون مبرر، وليس في وضع تعرضت فيه حياتهم للخطر".

شهادة الضابط كذبت ادعاء المستوطنين والأوساط العسكرية التي ربطت عملية القتل بالتعرض للرشق للحجارة، حيث ادعى المستوطن الذي أطلق النار، ويدعى إيلان لسمر (37 عاماً)، ويشغل منصب الأمين العام لمستعمرة غاني طال، أنه وزملاؤه تعرضوا للخطر، وأنه عندما وصل مكان الحادث شاهد مئات العمال يرشقون الحجارة، فخرج من سيارته وأطلق النار في الهواء من مسدسه... وبندقيتين.

وكان مستوطن آخر قد أطلق النار على جمعة عبد العزيز مسك في حيّ رأس العمود في القدس فأرداه على الفور. وبررت الشرطة الإسرائيلية عملية القتل بتعرض المستوطن، وهو سائق شاحنة، للرشق بالحجارة. فهل يعقل أن شيخاً له من العمر 75 عاماً يقوم برشق الحجارة! وأضافت الشرطة أنها تفحص إمكانية أن القاتل لم يقصد إطلاق النار على القتيل العجوز، الذي أصيب "برصاصات طائشة"[55].

ينشر "مجلس حاخامات يهودا والسامرة وغزة" بياناً كل شهر، ينقل فيه إلى المستوطنين مقاطع من التوراة عن الشؤون الأمنية بشكل خاص. وقد ورد في البيان رقم 7، الذي نشر في شباط/ فبراير 1993: "إذا أصيب مخرب لا يوجد أمر إلهي يدعو إلى إنقاذه، إنما يجب عدم الاستمرار بضربه".

كما دافع مجلس الحاخامات عن المستوطن يورام سكولنيك، الذي أطلق النار على شاب فلسطيني مقيد اليدين، بدعوى أن عمله ناتج من المشاعر العامة من الرغبة بالانتقام. ويقول الحاخامات في البيان نفسه: "إن الطريقة الوحيدة لمكافحة العدو هي الردّ عليه بحرب شعواء، وفي الحرب لا يسألون المحكمة العليا عن شرعية الأعمال التي تفرضها احتياجات الحرب"[56].

الحاخام موردخاي جيسين، وهو من كبار الحاخامات المستوطنين، ألقى موعظة دينية أمام طلبة متدينين يهود على وشك الانضمام للجيش الإسرائيلي:

> لا تدعو هؤلاء الجوييم ترتفع هاماتهم، لا ترحموا منهم أحداً، عليكم باصطيادهم فرداً فرداً. نحن إن لم نهبَّ للقتل نُقتل في عقر دارنا، علينا أن ندرك القوانين هنا، هنا يتوجب تحكيم القوانين التي تتلاءم مع هؤلاء، عليكم ألا تصدقوا أن مثل هؤلاء تنفع معهم لغة السلام، تذكروا غدرهم مع آبائنا وأجدادنا الأوائل، لقد أخرج نبيهم محمد اليهود من مدينته، وهم يحاولون إخراجنا من أرضنا، فليغيبوا عن وجه الأرض إذن[57].

---

[55] إياد عبد الخالق، المستوطنون وشهوة القتل، ص 16-17.

[56] دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، تقرير رقم 2031، 1993/5/29، نقلاً عن: روني شيكد، **يديعوت أحرونوت**، 1993/3/26.

[57] **فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 2001، ص 22.

ثانياً: أنماط الإرهاب:

تواصلت ممارسات المستوطنين الاستفزازية والدموية، كما أنها اتسعت وتصاعدت، مع اتساع المواجهة بين الجيش الإسرائيلي والشعب الفلسطيني وتصاعدها. وقد شملت هذه الممارسات أشكالاً تمّ استعراضها في الصفحات السابقة، وهي: توزيع بيانات التهديد والوعيد، وتخريب الحقول واقتلاع الأشجار، والاعتداء على السيارات والممتلكات، وتنظيم مسيرات استفزازية دورية كالتي كانت تجري كل يوم سبت في الخليل، وصولاً إلى أعمال الخطف أو القتل بالرصاص. وبلغت ممارسات المستوطنين إحدى ذراها، عندما دخلت مجموعة منهم في مواجهة دموية مع سكان قرية بيتا، أسفرت عن سقوط شهيدين وعدد من الجرحى الفلسطينيين.

شهدت الأشهر القليلة الأولى من سنة 1989 تطوراً نوعياً وملموساً في اعتداءات المستوطنين، تمثل في تنظيم حملات كبيرة لـ"الانتقام" من القرى والمدن العربية، وفي الانتقال من نمط الأعمال الفردية المعزولة عن بعضها البعض إلى الانخراط في أطر منظمة، أشبه ما تكون بالميليشيات، أو بالحركة الإرهابية السرية، وما يزال هذا النمط مستمراً حتى الآن.

تقدم حادثة بيتا السالفة الذكر، مثالاً جيداً لتكامل جهود المستوطنين وسلطات الاحتلال في مواجهة الانتفاضة. فبعد أن وجهت اليد المنفلتة ضربتها إلى سكان القرية، هبت قوات كبيرة من الجيش الإسرائيلي إلى نجدة المستوطنين، ولاستكمال ما بدأوه من ترهيب للسكان. فأغلق الجيش القرية، وأخذ يطلق النار مما أدى إلى سقوط شهيد ثالث، واستجوب السكان لساعات طويلة، ثم قام بهدم 14 منزلاً، واعتقال أكثر من أربعين شاباً، وقطع المياه والكهرباء، وطرد إلى لبنان في وقت لاحق ستة من الشباب، دون أن يكون لهم ماضٍ حافل في الاشتراك في أنشطة الانتفاضة. وقد تأكدت اعتباطية تصرفات الجيش الإسرائيلي، عندما تبين، فيما بعد، أن المستوطِنة قُتِلت بنيران أحد المستوطنين، وأن منزلاً على الأقل نسف بالخطأ.

دفعت مواقف سلطات الاحتلال هذه، المستوطنين إلى تصعيد مطالبهم، فطالبوا بفرض عقوبة الإعدام على "المخربين"، وإبعاد المزيد من الفلسطينيين، وإغلاق الصحف العربية، وإنشاء 26 مستعمرة جديدة، ووقف المحادثات مع وزير الخارجية الأمريكي. بل إنهم شنوا هجوماً لا سابق له على كل من رئيس هيئة الأركان، وقائد المنطقة الوسطى،

بتهمة التساهل في قمع الانتفاضة. وهكذا، بدأت ترتسم ملامح السياسة التي ينتهجها المستوطنون في مواجهة الانتفاضة، والتي تقوم على ثلاث دعائم متلازمة:

- **تطوير التنسيق مع سلطات الاحتلال:** لم يكن المستوطنون بحاجة إلى بذل عناء كبير على هذا الصعيد، وهم الذين يشكلون جزءاً عضوياً من نظام الدفاع الإقليمي الإسرائيلي، كما أسلفنا. لكن اللافت للنظر هنا، هو نوعية التنسيق الذي يرتئيه المستوطنون، كما عبر عنه مثلاً زعماء المستوطنين خلال اجتماعهم مع رئيس هيئة الأركان، الجنرال دان شومرون Dan Shomron، في 1988/1/20. ففي ذلك الاجتماع، تقدم زعماء المستوطنين باقتراح إنشاء مجلس مشترك ودائم بين ممثليهم وقادة كبار في الجيش الإسرائيلي، بهدف استجلاء المشكلات الأمنية. وهو اقتراح ينطوي على إمكان تحويل الجيش النظامي إلى مستوطنين مسلحين، وهذا ما يجعل سعي المستوطنين لتطوير التنسيق يلامس الدعامة الثانية في سياستهم.
- **الضغط على سلطات الاحتلال:** لم يتوقف المستوطنون عند حدّ الإدلاء بالتصريحات والهتافات، بل لجأوا إلى مختلف أشكال الضغط على السلطات، ومثال ذلك: التظاهرة التي قام بها في تل أبيب، في 1989/3/7، نحو 20 ألف مستوطن مسلح، والتي طالبوا فيها بإقامة مستعمرات جديدة. وكذلك الاعتصام الذي نظمه زعماء المستوطنين في شباط/ فبراير سنة 1989، أمام مكتب رئيس الحكومة، والمؤتمر الصحفي الذي عقدوه، والرسالة التي بعثوا بها إلى إسحق شامير عند إنهاء الاعتصام، وتضمنت نموذجاً للمطالب التي يضغط المستوطنون من أجل تحقيقها، وهي: التشكيل الفوري لفريق رفيع المستوى في ديوان رئيس الحكومة يتولى أمر الضفة، ويعمل فوق وزير الدفاع، ويقضي على الانتفاضة، وإغلاق الصحف الفلسطينية، وطرد زعماء "المحرضين"، واعتبار الجمعيات الخيرية في القدس الشرقية خارجة على القانون، وطرد الأسرى المحررين، ووقف تدفق الأموال إلى المناطق المحتلة.
- **نحو عمل مستقل:** جنباً إلى جنب مع محاولات التنسيق مع السلطات والضغط عليها، بدأ المستوطنون، وخصوصاً منذ مطلع سنة 1989، بالقيام بعمليات انتقامية مستقلة ضدّ تجمعات السكان الفلسطينيين، وشملت العديد من القرى والمدن الفلسطينية، وتكررت بمعدل مرة في الأسبوع تقريباً.

يمكن اعتبار سلوك مستوطني ألفي منشيه Alfei Menashe، بعد مقتل أحد المستوطنين، نموذجاً لنشاط المستوطنين المستقل على أكثر من صعيد. ففي اليوم التالي، سارع رئيس مجلس المستعمرة، الذي كان برتبة مقدم في الجيش، إلى إجراء تحقيق خاص به في قضية مقتل المستوطن. وأرسل ضباط أمن المستعمرة إلى مكان الحادث لإيجاد دلائل على الأرض، تساعد في كشف ملابسات تلك الحادثة. وهو بذلك كان يحاول استباق نتائج التحقيق الرسمي، الذي لم يكشف ما إذا كانت دوافع القتل إجرامية أم وطنية. ولم يكتفِ المستوطنون بذلك، بل اقتحموا المجلس البلدي في قلقيلية المجاورة وبلغوا سكانها الرسالة التالية: "ثمة على الأرض قوة أخرى إلى جانب الجيش، يمكن أن تباشر العمل، إفهمونا جيداً".

تنقسم ميليشيات المستوطنين إلى "لجان عمل" محلية، تجند المستوطنين للقيام بالثأر والردع والعقوبة والانتقام. وتعمل هذه اللجان في عدة مستعمرات منها: أريل، ويتسهار، وعلي زهاف، وشعاري تكفا Sha'arei Tikva، وكرني شومرون، ومعاليه شومرون Ma'ale Shomron، وغينوت شومرون Ginot Shomron، وكدوميم، وألفي منشيه، وعوفرا، وكريات أربع.

في عدد من الحوادث، جرى تعاون بين لجان عمل متجاورة، كما حدث، مثلاً في العملية التي نفذت في 1989/2/3، في قرية عزون، والتي اشترك فيها نحو 300 من أعضاء لجان العمل في شعاري تكفا وأريل. كما أن لجان العمل في كرني شومرون، ومعاليه شومرون، وغينوت شومرون وكدوميم، تتعاون فيما بينها في نطاق منطقتها. وتعمل لجنة عمل علي زهاف في قرية كفر الديك، ولجنة عمل يتسهار في قرية برقين، ولجنة عمل أريل في منطقة كفل حارث وبديا وعزون وعتمه.

انتظمت مجموعة من مستوطني كفار عتسيون Kfar Etzion وإفرات للعمل في مخيم الدهيشة، ومجموعة من مستوطني الخليل لتنفيذ عمليات انتقامية في سوق المدينة، وعملت مجموعة مستوطنين من نيلي Nelly في قرية خربتا ودير قسيس، ونشطت مجموعة من مستوطني كريات أربع على طريق بيت لحم – الخليل.

وفيما يتعلق بسياسة لجان العمل تجاه الجيش الإسرائيلي، فإن اللجان تقوم على منع حدوث مواجهة جسدية عنيفة مع الجنود قدر الإمكان، لكن مع عدم الامتثال لأوامر

الجيش إلى حين إنجاز مهمة المستوطنين، المتمثلة في تحطيم المنازل والأثاث والسيارات وترهيب العرب، ولا يتمّ الانسحاب، إلا بأوامر من "لجان العمل"[58].

وإذا كان المستوطنون الرجال، يشكلون خطراً على أمن الفلسطينيين واستقرارهم، كونهم يحملون السلاح ويتدربون عليه، ويخدمون في الجيش الإسرائيلي مباشرة، فإن تسليح النساء من المستوطنين يشكل خطراً أكبر، فهن مثل الرجال وأخطر، حيث أصبحن جزءاً من جيش مدجج، وإن كان سلاحهن مكون من المسدسات.

الرجال، وعلى الرغم من تطرفهم السياسي، وأحقادهم ضدّ الفلسطينيين، يظلون خاضعين لمقاييس الجيش النظامي. فكل تصرف لهم، حتى لو كان شاذاً ومتطرفاً، يظلّ محسوباً على الجيش الرسمي. وبالتالي، يكون مقيداً بأنظمة الجيش والدولة، فقيادة الجيش هي التي تقرر منحه السلاح، أو حرمانه منه. لكن النساء اللواتي يطلبن السلاح يعاملن برقة وتسامح، ولا تتردد قيادة الجيش في استصدار تصاريح حمل السلاح لهن، وتحظى الواحدة منهن بالتعاطف وبالتمييز والتفضيل.

لكن الأدهى من ذلك، أن النساء يتصرفن بخوف زائد عن الرجال، ولذلك، فإن عملية الضغط على الزناد تكون عادة أسهل منها لدى الرجال، وليس من المستبعد أن يكون هذا الضغط في غير مكانه. كما أنه من غير المستبعد، أن تعامل الواحدة منهن بتساهل أكبر من سلطة الاحتلال وبتسامح. وهذا بحدّ ذاته، يشجع المستوطنين، على توسيع نطاق حمل السلاح بين النساء، وبناء جيش بين صفوفهن[59].

المستوطنة أناتا وأولادها، باتوا "غول" حكايات أطفال الخليل الواقعية، فعندما تسأل تلميذات مدرسة قرطبة الأساسية، عن أناتا، تأتي الإجابة باستهجان واضح: إنها المستوطنة اليهودية التي تضربنا، وتمنعنا من دخول المدرسة، وتعتدي على مديرة المدرسة، وتنزل العلم الفلسطيني، وتمزقه في كل مرة نرفعه فوق المدرسة[60].

---

[58] آمال شحادة، إسرائيل: أخطر من المستوطنين... نساء المستوطنات، **الوسط**، العدد 584، 2003/4/7، ص 22-23.

[59] **الحياة**، 2000/10/30، ص 4.

[60] يزيد صايغ، "مواجهة حرب المستوطنين،" مجلة **شؤون فلسطينية**، نيقوسيا، العدد 196، تموز/ يوليو 1989، ص 126.

1. الإرهاب الجماعي:

تعززت الاتجاهات المتنامية خلال ربيع سنة 1989، لمشاركة المستوطنين في الاعتداء على الفلسطينيين، في محاولة لقمع الانتفاضة، فتطور هذا النمط ليصبح حرباً منظمة واسعة، خططوا لها مسبقاً ضدّ عدد من القرى والمخيمات والمدن الفلسطينية، علماً بأن تصدي المواطنين في أحيان عدة، وحواجز الجيش الإسرائيلي في أحيان أخرى، منعتها من تحقيق أهدافها.

وقد ابتدأ مسلسل الدهم بالهجوم من كريات أربع على الخليل وحلحول في 1989/5/17. وتكرر ذلك في 1989/5/21، حين هاجم مستوطنو معاليه أدوميم قرية العيساوية، وأحرقوا عدداً من السيارات، وفي 1989/5/24، تعرضت العيزرية وعزون للهجوم. وفي اليوم عينه، قام أهالي بديا بردّ مستوطني أريل عن قريتهم، إلا أن هؤلاء المستوطنين هاجموا، في اليوم التالي، قرية مردة، وحطموا بعض الممتلكات فيها.

كذلك، عمد المستوطنون إلى حرق الحقول، وإتلاف المحاصيل الفلسطينية بشكل متزايد خلال الفترة قيد العرض. وقد تعرضت قرى وبلدات زعترة ورافات وطوباس وبيت عور الفوقا للاعتداء في 1989/5/16، فيما تمّ إتلاف 300 طن من الحمضيات في اليوم التالي، وتعرض خمسون دونماً للحرق في جوار صانور والمغير وبدرس والزاوية وكفر قدوم. واستمر مسلسل الحرق والإتلاف بعد ذلك، ليشمل صوريف وعزون وبيتا وطولكرم، وعنبتا ودير بلوط، وقريوت وتقوع وبيت ساحور وزيتا والمغير وترمسعيا[61].

وعلى الرغم من كونها ليست المرة الأولى، فقد واجهت الهجمة ردود فعل لم يسبق أن واجهتها اعتداءات مماثلة للمستوطنين، بسبب طابعها العنيف والاستفزازي الواضح، واستهدافها مواقع عربية أوسع، وتصادمها مع أسلوب عمل الجيش الإسرائيلي، الأمر الذي فتح معركة كلامية دارت في الوسطين؛ الاستيطاني والعسكري، وشارك فيها سياسيون وأحزاب عدة.

فاستناداً إلى ما عُدَّ فشلاً من جانب الجيش الإسرائيلي في سحق الانتفاضة، وعجزاً في توفير حماية كافية للمستوطنين، بدأت مجموعات المستوطنين "انتفاضة" خاصة،

[61] يزيد صايغ، **مرجع سابق**، ص 136-137.

عبر تنظيم حملات وحشية ضدّ قرى فلسطينية. فقام حوالي أربعين مستوطناً في 1989/5/29، بغارة وحشية على قرية كفل حارس، قرب نابلس، أطلقوا فيها النار في جميع الاتجاهات، فقتلوا الفتاة ابتسام بورية (13 عاماً) في الحال.

وفي الخليل، سيّر المستوطنون دوريات راجلة، أخذت تجوب الشوارع الرئيسية بصورة منتظمة، بينما تولى آخرون أعمال حراسة الطرق التي تربط الخليل بالمستعمرات المجاورة، حيث ضمت دورياتهم أربع أو خمس سيارات، تقل كل منها أربعة ركاب. وأنشأوا شبكة هواتف "ساخنة"، لإنذار المستوطنين فيها عند حدوث أي طارئ. وكوّنوا داخل المستعمرات ذاتها، ميليشيات منظمة، زوّدت بأسلحة وأجهزة متطورة.

وأصبحت الخليل هدفاً دائماً للمستوطنين من كريات أربع، الذين شنّوا عليها غارات عدة، وأصبحوا يحاولون باستمرار إثبات قدرتهم على الحركة والتنقل داخل المدينة كيفما يحلو لهم، بل قالوا إنهم لن يرضوا بأقل من طرد جماعي للعرب من الخليل. وأدى العنف المتزايد للمستوطنين إلى جعل المدينة، ومدن أخرى غيرها، "خارجة عن السيطرة، وتعيش حالة من عدم الانضباط"، كما علق مصدر إسرائيلي على ذلك.

شكل العنف المتزايد للمستوطنين كابوساً حقيقياً للجيش الإسرائيلي، واتهم ضباط كبار المستوطنين "بإعاقة مهمة الجيش في إخماد الانتفاضة"، وحذروا أن الأعمال الانتقامية ضدّ قرى عربية "سوف تؤدي إلى قيام الفلسطينيين بشنّ غارات مماثلة على المستوطنات اليهودية"[62].

إزاء هذه الوقائع، استمر المستوطنون في هذا النمط من الأعمال الإرهابية. ففي 1989/7/16، تجمهروا على جانبي الطريق في مدينة القدس، وهاجموا سيارات فلسطينية بالحجارة، مما أسفر عن إصابة أربعة فلسطينيين، بينهم طفل رضيع. كما هاجم آخرون، قرى وسيارات فلسطينية في اليوم نفسه، وأطلقوا التهديدات والشعارات المعادية للعرب، وحاولوا التعرض لعدد من العمال، ومنعوهم من التوجه إلى أعمالهم[63].

وفي يوم 1991/12/15، أقدمت مجموعات المستوطنين على تحطيم زجاج ثماني سيارات وواجهات منزلين، عندما ألقت مجموعة منهم، كانت تمرّ في وسط رام الله في

[62] **القبس**، العدد 6173، 1989/7/17، ص1.

[63] **الخليج**، العدد 4604، 1991/12/16، ص 16.

أثناء فرض الجيش الإسرائيلي حظراً للتجول، حجارة باتجهاها. وأوضح المستوطنون أنهم قاموا بـ"هذا العمل الانتقامي"، إثر الرفع الجزئي لحظر التجول عن مدينتي رام الله والبيرة.

كما أعلن مستوطنو كريات أربع، أنهم قاموا بعملية "انتقامية" أخرى في الخليل، فحطموا زجاج عشرين سيارة فلسطينية، انتقاماً لهجوم بالأسلحة الآلية قام به مجهولون ضدّ دورية للجيش في محيط مستعمرة معاليه عاموس، قرب بيت لحم[64].

وتصاعدت اعتداءات المستوطنين الوحشية ضدّ الفلسطينيين وممتلكاتهم، في أنحاء مختلفة من الضفة الغربية، وبخاصة بعد توقيع اتفاق أوسلو، حيث قاموا بإحراق ستّ سيارات وألحقوا أضراراً بـ 12 سيارة وحافلة، بالإضافة إلى تحطيم زجاج نحو عشرين منزلاً في منطقتي البيرة وبيرزيت وحدهما. كما شنّ المستوطنون اعتداءات في مدينة الخليل ومخيم الجلزون وضاحية التربية وشارع الإرسال في رام الله وقرية ترمسعيا، أشعلوا خلالها النار في العديد من السيارات، وأطلقوا الرصاص باتجاه العديد من المنازل.

حطم المستوطنون زجاج منزلين في مخيم الجلزون، وعشرات المنازل في بير زيت، وأحرقوا سيارة مستأجرة في ترمسعيا. وبموازاة ذلك، اكتفى الجيش الإسرائيلي بإعادة فتح طريق رام الله–نابلس بعد أن قطعه المستوطنون لبعض الوقت[65].

ولم يكن المستوطنون بحاجة إلى مبرر حتى يقوموا بهذا النمط من الإرهاب الموجه بشكل جماعي، ضدّ المواطنين العرب، مثلما برروا أفعالهم السابقة بأنها ردّ على خطف المقاومة مستوطناً بالقرب من قرية سردا بقضاء مدينة رام الله، إذ يؤكد الصحفي أوريئيل بن عامي أن:

> عربدات مستوطنة نيلي ضدّ قرية خربثا في منطقة رام الله، في مطلع أيار/ مايو، كانت إشارة واضحة إلى مسلكهم المرتقب في الفترة القريبة القادمة. فبعد أن تعرض اثنان من مستوطني نيلي للرشق بالحجارة في قرية خربثا، سارعا إلى استدعاء كل سكان المستوطنة، الذين داهموا القرية، وأحرقوا حوانيتها،

---

[64] **الرأي**، العدد 8478، 1993/11/1، ص 23.

[65] أنطوان شلحت، "احتداد النقاش داخل اسرائيل حول الانتفاضة،" **الملف**، العدد 63/3، المجلد 6، حزيران/ يونيو 1989، ص 222.

وحطموا زجاج المنازل والسيارات، وأطلقوا الأعيرة النارية على خزانات المياه والحمامات الشمسية... ومنذ هذا الحادث، قرر المستوطنون العمل بطريقة الفزعة العربية. فعندما يتعرض مستوطن للرشق بالحجارة، لا يردّ على ذلك بمفرده، وإنما يستدعي كل سكان مستوطنته، الذين يهبون نحو القرية المعنية، ويعيثون فيها فساداً[66].

ويخلص بن عامي إلى القول: "المستوطنون ماضون، الآن، في اتجاه تحرك جديد وجماعي. وهم ينوون أن يثبتوا للحكومة أنه يستحيل، بعد الآن، إيقافهم، وأنهم غير مستعدين بعد [ذلك] للتعرض للرشق بالحجارة... والحديث لا يدور عن سكان مستعمرة واحدة، وإنما عن عشرات المستوطنات"[67].

ونتيجة لهذا الإرهاب الجماعي، يعيش مواطنو البلدة القديمة في مدينة الخليل في خوف دائم، ويشكون من عدم حرية الحركة والتنقل بين زوايا البلدة، بفعل ما يتسبب به نحو 500 مستوطن يقطنون الحي القريب من البلدة، من إرهاب وتخويف وقهر لكل مواطن هناك.

ولا يقتصر هذا الإرهاب على الإنسان فحسب، بل تعدت اعتداءات المستوطنين المستمرة على المقدسات والمحال التجارية في البلدة المذكورة، والتي أغلق معظمها وحُرِم أصحابها من مصدر رزقهم. وطالت الاعتداءات كذلك، أشجار الزيتون والأشجار المثمرة هناك، ضمن سياق مخطط الترحيل والتهجير للفلسطينيين، وإبقاء المنطقة تخصّ المستوطنين فقط.

ويقوم عشرات المستوطنين باعتداءات ضدّ أهالي بلدة الخليل القديمة وممتلكاتهم، محاولين الاستيلاء على المزيد من البنايات والشوارع والساحات وترهيب الآمنين، حتى وصل الأمر إلى إضرام النار في مسجد "وقف الكيال"، وكتابة العبارات البذيئة والمسيئة على واجهات وجدران البيوت والمحال التجارية، إلى جانب التي تدعو إلى قتل الفلسطينيين أو ترحيلهم، ناهيك عن التبول وإلقاء القاذورات في خزانات المياه.

---

[66] بتصرف عن: تقرير المركز الفلسطيني للإعلام، 2007/8/11.

[67] المرجع نفسه.

كما يقومون برشق الحجارة والزجاجات الفارغة والنفايات القذرة والقضبان الحديدية على المواطنين المارة أو على الشبابيك، فينبعث الخوف في نفوس الأطفال، ويحرمون من النوم، وتتحول أحلامهم الصغيرة إلى كوابيس مفزعة[68].

2. الإرهاب الفردي:

قال زئيف شيف المحرر العسكري لصحيفة هآرتس، معلقاً على الاعتداء الذي نفذه المستوطن نوعام فريدمان Noam Friedman ضدّ مواطني الخليل سنة 1997، بأنه ليس حادثاً شاذاً، وإنما يدور الحديث عن ظاهرة، وأن "من الواضح أن هناك نهج يتكرر... نهج ثابت". وأضاف شيف: إن "هذا الحادث ينضم إلى الحوادث الدموية السابقة، ولا تعوز الأمثلة هنا. فالقاتل باروخ غولدشتاين والقاتل إيجال عامير والإخوان كهلاني من كريات أربع ويهودا ريختر وغيرهم، لا يمكن النظر إلى هؤلاء الأشخاص كأفراد، بل كممثلي مجموعة".

وأكد شيف أن هناك قاسم مشترك بين هؤلاء، وهو أنهم متدينون، متطرفون، متعصبون من حيث رؤيتهم الأيديولوجية، ويحملون سلاح الجيش الإسرائيلي، ويكرهون العرب، ومعظمهم يتبعون تماماً الحاخامات، وهم على قناعة أن سفك دماء العرب مسموح به، كي يحققوا أهدافهم السياسية والدينية[69].

واستعرضت مجلة دير شبيغل Der Spiegel الألمانية، في التحقيق الذي نشرته عن مجموعات المستوطنين، رؤية هؤلاء لمن يجاورهم من العرب، وقالت بأن الحاخام إسحق غينسبرغ يقوم بتعليم تلاميذه في مدرسة التلمود التي تقع قرب الحرم الإبراهيمي الشريف بأن العرب هم قوم أقل قيمة من اليهود، وأن الدماء العربية رخيصة وسفكها أمر حلال!

وتضيف المجلة الألمانية أن هذا النوع من التفكير يسيطر على عقول الغالبية العظمى من المستوطنين الذين يتمتعون بجميع الحقوق "بما في ذلك القتل، تاركين للعرب حقاً واحداً فقط، وهو أن عليهم أن يتكيفوا مع الوضع الظالم الذي يعيشون تحت ظله. والشعار الوحيد الذي يحمله هؤلاء المستوطنين هو: إما نحن وإما هم"[70].

---

[68] **القدس**، العدد 9829، 1997/1/4، ص 22.

[69] تقرير نشرته **دير شبيغل** *Der Spiegel*، ونشر في: **السبيل**، 2000/11/14، ص 8.

[70] نظير مجلى، اعتداء الخليل الجديد: إرهاب يهودي بلا رادع، **الشرق الأوسط**، 1997/1/2، ص 3.

إذاً، نوعام فريدمان ليس مستوطناً شاذاً قام بمجرد عمل فردي، إنما هو ظاهرة آخذة في التفشي داخل المجتمع الإسرائيلي عموماً، وبين المستوطنين في الضفة الغربية بشكل خاص، فهنالك تيار يهودي يؤمن بالعنف ويمارسه، ومن هذا التيار جاء باروخ غولدشتاين وإيجال عامير وعامي بوبر وغيرهم.

الحاخامات الذين يقودون هذا التيار، روحياً بالأساس، وبعضهم يقودونه تنظيمياً أيضاً، معروفون بتعصبهم الديني وبدعوتهم الصريحة لاستعمال العنف من أجل خدمة أهدافهم. وقد أصدروا فتوى تقضي بجواز التمرد على الأوامر العسكرية، داعين الجنود إلى رفض أوامر الانسحاب من أية منطقة فلسطينية. ومع أن هؤلاء الحاخامات يشكلون أقلية في صفوف المتدينين اليهود، إلا أن الطريق ما بينهم وبين اليهودي المتدين العادي قصيرة جداً. فالجندي أو المستوطن المؤمن، يستمع إلى كل الحاخامات، ويحترم أقوالهم، وما لم يتلقَّ تعليمات واضحة ضدّ تلك التوجيهات، يظلّ لديه الاستعداد للانجراف وراء الحاخامات المتطرفين.

وفريدمان هو شاب عمره 19 عاماً، من عائلة متدينة في مستعمرة معاليه أدوميم، القائمة في ضواحي القدس الشرقية، دخل الجيش بموجب قانون الخدمة العسكرية. والجيش يستوعب كل شاب وشابة يهودية في الـ 18 من العمر، بغضّ النظر عن أفكاره أو منبته، ويعطيه السلاح الأوتوماتيكي بسهولة، وإن قام بارتكاب مخالفة أو جريمة، يحاكم في المحاكم العسكرية.

من هنا، فإن عنصر الردع لهذا التيار ولاحتمال تنفيذ أفكاره العدوانية، غير متوفرة، لا بل هناك نوع من التعاطف والتعاضد حول هؤلاء المجرمين في معسكر الأصولية الدينية، واليمين السياسي، وحتى المؤسسة السياسية الإسرائيلية. ذلك أن هؤلاء المستوطنين يرون في فلسطين كلها "أرض إسرائيل"، ولا يؤمنون بأي سلام مبني على اقتسامها بين اليهود والعرب، ويعدّون كل انسحاب من أي شبر منها بمثابة خيانة. وعليه، عندما جاء رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أمنون شاحاك Amnon Shahak إلى الخليل، والتقى قادة المستوطنين ليحثهم على الحفاظ على الهدوء، وعدم استفزاز الفلسطينيين بعد اعتداء فريدمان، ما كان من مؤسس حركة جوش أمونيم، والذي حكم عليه بالسجن ستة أشهر لقتله فلسطينياً في الخليل، إلا أن هبّ في وجه شاحاك مهاجماً الجيش على

كشفه كل تفاصيل الموضوع: "قررتم من أول لحظة أن فريدمان قاتل، ومعتدٍ. فلماذا لم تنتظروا التحقيق؟ لماذا لم تحققوا باتجاه احتمال قيامه بالدفاع عن نفسه في مواجهة مخربين فلسطينيين؟ إنكم أصبحتم مأجورين للعرب ومنفرين لليهود".

ولكن المنطق الذي تكلم به لينفجر لم يكن بعيداً عن المنطق الذي تكلم به وزيرالأمن الداخلي وقتها، أفيجدور كهلاني Avigdor Kahalani، الذي يعدّ من الوزراء المعتدلين، فقد قال بعد أن استنكر الاعتداء: "لم يتضح بعد نهائياً إن كان فريدمان بادر إلى عمليته من أجل تخريب اتفاق الخليل، أم أنه تعرض لاعتداء وحاول الدفاع عن نفسه"[71].

الاستنتاج الأساسي مما سبق، هو أنه طالما يشعر هؤلاء المستوطنين بعدم وجود رادع حقيقي لهم، فإن اعتداءاتهم ستتكرر في مختلف مناطق الضفة الغربية. ومن هنا، نجد أن أكثر من 80% من الضحايا الذين سقطوا نتيجة اعتداءات المستوطنين هم نتيجة لهذا النمط، دون حساب أو عقاب من قبل الحكومة الإسرائيلية، المسؤولة بموجب الاتفاقات والمعاهدات الدولية عن حماية الفلسطينيين في الضفة الغربية، كونها قوة احتلال.

عاش عشرات الآلاف من سكان جنوب قطاع غزة محاصرين لسنوات، بعد أن قام مستوطن واحد بإغلاق الطريق الذي يربط جنوب القطاع بشماله. وهذا المستوطن الذي كان يسكن وحيداً في مستعمرة كفار يام Kfar Yam، التي كانت متاخمة لمدينة خان يونس من الجهة الغربية، قام بنصب الأسلاك الشائكة في الشارع الساحلي الرئيسي في المنطقة، بالإضافة إلى استيلائه بمساعدة الجيش الإسرائيلي على أفضل مناطق الاستجمام على ساحل قطاع غزة الجنوبي، بعد أن قام بإزالة الكبائن التي نصبتها بلدية خان يونس.

المستوطن الذي يدعى نير، لم يكتفِ بهذا، بل بنى عدداً من المشاريع السياحية على شواطئ خان يونس، بهدف منع وصول أي من فلسطينيي جنوب قطاع غزة، الذين يصل عددهم إلى 400 ألف نسمة لشاطئ البحر. ليس هذا فحسب، بل إن طلاب المدارس في المناطق المحاذية يواجهون يومياً جولات حرب مع كلاب نير الشرسة، كما أن نير نفسه، يقوم بسحب الهويات من عموم الفلسطينيين ويقوم بالاعتداء عليهم.

[71] **السبيل**، العدد 179، 1997/5/13، ص 10.

الخميس في 1997/5/1، قام الناس بالتظاهر احتجاجاً على تسلط هذا المستوطن، وعدم مقدرة السلطة الفلسطينية على تحريك ساكن إزاء هذا الأمر، وقد حضر إلى موقع المظاهرة قائد قوات الأمن الوطني الفلسطيني اللواء عبد الرزاق المجايدة، فما كان من نير إلا أن قام بضرب اللواء المجايدة بعقب البندقية، الأمر الذي أدى إلى إصابته بجرح في رأسه. وتدخل الجيش الإسرائيلي لحماية المستوطن، الذي قام بدوره بإطلاق عشرات القنابل من الغاز على الأحياء القريبة من مدينة خان يونس، سقط عدد منها في حضانة الأطفال، مما أدى إلى إصابة العشرات منهم بالاختناق.

أيضاً، هذا المستوطن كان يجوب بقاربه الآلي شواطئ القطاع الجنوبية، وإذا ما عثر على أحد الصيادين الفلسطينيين فإنه يذيقه ألوان العذاب، بعد أن يصادر قاربه وأدوات الصيد التي يملكها، مع العلم أن هذه المنطقة من أغنى شواطئ قطاع غزة بالثروة السمكية حيث تنتشر فيها الصخور، كما يتفنن نير في إهانة أفراد الشرطة الفلسطينية، الذين يشتركون في الدوريات المشتركة، ودائماً يقول لهم: "أهلاً بكلاب اليهود"[72].

المستوطن نير هذا لم يقتل أحداً، ولكنه أذاق عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذل والإهانة. ولكن المستوطنة ميهال هلال، قامت في شهر أيار/ مايو 1985، مع مستوطنين آخرين بقتل سائق سيارة أجرة من القدس، اختاروه عشوائياً في إطار عمل انتقامي من العرب، دون أي سبب أو مبرر. والقتلة الثلاثة قالوا في المحكمة أنهم أرادوا بفعلتهم هذه الانتقام بعد اعتداءات فلسطينية. وقد حكم على الثلاثة بالسجن مدى الحياة، ولكن تمّ تخفيض عقوبة السجن إلى 16 عاماً، في سنة 1989، وخرجت هلال بعد سنة من السجن، بسبب تدهور حالتها الصحية والعقلية، حسب بيان مصلحة السجون الإسرائيلية[73].

في 1989/11/4، وبينما كان عمر أحمد أبو سنينة وزوجته روحية علي عيسى أبو سنينة يتناولون طعام الغداء مع أطفالهم في ساحة المنزل، الكائن على طريق وادي القاضي بالخليل، ألقى أحد المستوطنين قنبلة يدوية، مما أدى إلى إصابة العائلة المكونة من ثمانية أفراد بالإصابات التالية:

الأب: جروح في الرأس والساقين، الأم: جروح في الظهر، صباح (14 عاماً): كسر في الساقين، منصور (11 عاماً): بتر الساقين واليد اليمنى، عبد الكريم (10 أعوام): جروح

[72] **القدس العربي**، العدد 3285، 1999/11/29، ص 5.

[73] **الرأي العام**، الكويت، العدد 9304، 1989/11/5، ص 17.

بالصدر، أسماء (8 أعوام): جروح في الظهر، نجاة (7 أعوام) جروح في الكوع الأيمن والساقين، عبد الحليم (6 أعوام) جروح في الكوع والظهر.

ومع أن شهود عيان ذكروا أن مستوطنين مسلحين يرتدون لباساً عسكرياً هم من ألقى القنبلة اليدوية على المنزل المجاور للحرم الإبراهيمي الشريف، إلا أن سلطات الاحتلال لم تجرِ أي تحقيقات، ولم تقم باعتقال أحد على خلفية هذه الجريمة[74].

صباح يوم الأحد الموافق 1990/5/20، اهتزت الضمائر الإنسانية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي جميع أنحاء العالم، أمام جريمة بشعة ذهب ضحيتها سبعة عمال فلسطينيين إلى جانب ثمانية جرحى آخرين، وذلك في أثناء انتظارهم في أحد المواقف عند مستعمرة ريشون لتسيون. وكان هؤلاء العمال العزل كعادتهم ينتظرون فرصة العمل، والبعض الآخر كان ينتظر وصول الحافلة لتنقله إلى مكان عمله. لقد خرجوا من بيوتهم منذ بزوغ الفجر، وتنقلوا من حافلة لأخرى، ومن سيارة لثانية. فقد كانوا يتطلعون إلى الالتحاق بإحدى الورشات لتأمين لقمة العيش لأطفالهم وعائلاتهم في قطاع غزة، بعد أن قطعوا المسافات الطويلة، وتخطوا نقاط التفتيش التي فاق عددها العشرين. وبالرغم من عدم ارتكابهم أي مخالفة أو ذنب، إلا أنهم دفعوا ثمناً غالياً عندما تعرض لهم "مستوطن مجنون"، حسب الادعاءات الإسرائيلية! ثم دون رحمة تركهم يسبحون في دمائهم، مخلفاً وراءه ذكرى مجزرة بشعة تقشعر لها أبدان الإنسانية.

وقد كتبت إحدى الصحفيات الإسرائيليات بهذا الخصوص:

> قد يقولون مجنون، والعقلاء ليسوا مسؤولين عن أعمال فرد مجنون، ولكن حتى المجنون والمختل لا يطلق النار إلا على من أهدر دمه، وحتى لا ترتجف يده، هناك ضرورة لوجود صلاحية تزيل الرجفة. هناك من ضغط على الزناد وهناك من أوضح له خفية، أو حتى علانية أنه باتجاه أهداف معينة، لا ضير في الضغط على الزناد، بل على العكس تماماً.

[74] **البيادر السياسي**، العدد 401، 1990/5/26، ص 18، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1990/5/21.

وأضافت:

أنت يا سيد ليفنجر أهدرت دم طالب رزق عائلته على الشارع قرب ريشون لتسيون، عندما قلت: للأسف لم أحظَ بأفضلية إصابة عربي. ولن أسميك حاخاماً لأنه في المكان الذي يتمّ فيه تدنيس اسم الرب لا يكرم الحاخام، وأنت يا سيد موشيه تسفى نيريا أهدرت دم أَجِيرَيْ العمل اليومي العرب، عندما قلت بكامل صلاحيتك وحجتك: يجب إطلاق النار ذات اليمين وذات الشمال، وأنت أيضاً لن أسميك حاخاماً لأن توراتك هي توراة قتل، وحاخاميتك لم تسمع عن الوصية الداعية بألا تقتل. وإلى متى سيظل يعاقب الضاغطون على الزناد، ويظل الضاغطون على الضاغطين أحراراً في داخلنا؟[75].

كما روى الجريح زياد مصطفى طباسي تفاصيل الحادث قائلاً:

وصلنا ريشون لتسيون في ساعة متأخرة، كنا نقف كالعادة ننتظر العمل، خرج لنا مسلح من بين الأشجار المحاذية للشارع، طلب منا الجلوس على الأرض، ثم أوقف سيارة عربية كانت تسير في الشارع، وطلب من ركابها النزول والجلوس معنا أيضاً، وأمر سائق السيارة بترك المحرك شغالاً، ثم قال لنا، هل تعرفون لماذا جمعتكم هنا؟ وكان يتحدث بالعبرية، فقلنا له: لا، فأجاب: أحسن.. ثم فتح نيران رشاشه علينا، كان المنظر مخيفاً جداً، لقد شاهدت الشهداء يتساقطون أمام عيني، وكان المصابون يتمايلون فوق بعضهم البعض، كان بعضنا يحاولون الاحتماء وتفادي الرصاص، أصبت في ظهري وفي رجليّ الاثنتين، حتى أن بعض الشهداء والجرحى سقطوا فوقي فحموني من الموت، كانت الجثث فوقي حاجزاً أنقذني من الموت[76].

بعد أقل من ثلاث سنوات على المجزرة التي ارتكبها باروخ غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي الشريف، جاء مستوطن آخر هو نوعام فريدمان ليكرر عمله يوم الأربعاء الموافق 1997/1/1، بإطلاق النار عشوائياً على متسوقين في سوق الخضار المركزي بالبلدة القديمة في مدينة الخليل، فأصاب سبعة فلسطينيين.

[75] خالد عمار، مجزرة الأحد الدامية في الضفة وغزة، **الوطن**، الكويت، 1990/5/24.

[76] عدنان جابر، **مرجع سابق**، ص 98.

وقبل تنفيذه الاعتداء، كتب هذا الإرهابي بياناً وجهه إلى وسائل الإعلام، ونشرته صحيفة يديعوت أحرونوت، جاء فيه: "أنا نوعام فريدمان وصلت اليوم الأربعاء لأقتل عرباً من الخليل يعيشون في المكان الذي اشتراه أبونا إبراهيم من عفرن الحيطي بـ 40 شاقل فضة". وفي المحكمة العسكرية في يافا، طلب فريدمان خلال النظر في تمديد اعتقاله، أن ينتقل للعيش مع قاتل إسحق رابين، في سجنه[77].

فريدمان قال للمحققين إنه كان يعتزم سرقة ناقلة جند مدرعة لإطلاق النار على الفلسطينيين في قرية قريبة من القدس، وإنه كان يريد ارتكاب مجزرة في المسجد الأقصى أيضاً. وعن هدفه من كل ذلك، قال فريدمان للقناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي، إنه أراد منع تنفيذ اتفاق الخليل بين حكومة نتنياهو والسلطة الفلسطينية، وبالتالي منع تسليم جزء من المدينة للفلسطينيين. وردّ على سؤال حول كيفية تبريره لإطلاق النار على نساء وأطفال أبرياء، قال فريدمان: "إنهم ليسوا أبرياء، إنهم يكرهون إسرائيل... الخليل ملكنا الآن وإلى الأبد"[78].

وفي الجلسة الأولى للمحكمة العسكرية التي قررت تمديد فترة اعتقاله المؤقت حتى 1997/1/22، لدواعي التحقيق، أكد فريدمان أنه غير آسف على إقدامه على إطلاق النار، وأن أسفه الوحيد هو أنه لم يتمكن من قتل أكبر عدد من العرب. وكان قد احتج بصوت عالٍ على محاكمته خلال الجلسة "لا أفهم لماذا اعتقلوني... لم أقم إلا بالنضال من أجل مدينة الخليل المقدسة"[79].

وكما في حالة غولدشتاين، فإن السلطات الإسرائيلية التي يفترض أنها مسؤولة عن أمن جميع سكان الخليل من اليهود والعرب، عجزت عن توقع الحادث. ولكن هذه المرة، أسهم التدخل السريع لعناصر الجيش الإسرائيلي الذين سيطروا على الإرهابي فريدمان في تجنب وقوع مجزرة أكيدة.

الباحث السياسي الإسرائيلي زئيف شتيرنهيل علّق على هذه الجريمة، بأن "هذا التصرف يثبت أن المستوطنين مستعدين لفعل أي شيء من أجل تخريب عملية السلام، إذ أن مرتكب الاعتداء لم يدّعِ حتى أنه كان في حالة دفاع عن النفس"[80].

---

[77] **القدس العربي**، العدد 2382، 1997/1/3، ص 5.

[78] **الشرق الأوسط**، العدد 6618، 1997/1/10، ص 3.

[79] **القدس**، العدد 9827، 1997/1/2، ص 4.

[80] **القدس العربي**، 1998/6/17، ص 9، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1998/6/16.

بقي فريدمان في السجن لشهرين فقط، بعد ذلك نقل إلى مستشفى للأمراض النفسية، ذلك لأن ثلاثة من الأخصائيين النفسيين في وزارة الصحة الإسرائيلية قرروا أنه مريض نفسياً وغير مسؤول عن أفعاله[81].

ولكن بعد خمسة أشهر، لم يقدم الجيش الإسرائيلي لائحة اتهام ضدّ نوعام فريدمان، لأنه غير مسؤول عن فعلته، ولا يتحمل أي مسؤولية إجرامية بسبب مرضه النفسي. وعليه، أطلق سراح فريدمان بعد أن انتهت تعليمات إدخاله إلى المستشفى، وعاد إلى منزله في مستعمرة معاليه أدوميم، القريبة من القدس[82].

نذكر مثال آخر على الإرهاب الفردي، وهو قيام ثلاثة مستوطنين، قرب مستعمرة بيت حجاي، مساء يوم الثلاثاء الموافق 1998/6/17، بضرب مواطن فلسطيني والتسبب بموته، وذلك خلال مطاردتهم له "على سبيل التسلية". وقالت الشرطة الإسرائيلية أن أحد المستوطنين أخرج عصا خشبية من نافذة السيارة، وضرب بها عنق عبد المجيد أبو تركي (54 عاماً)، ولاذ المعتدون بالفرار بعد ذلك. وفيما وصفت الشرطة عملهم بأنه "عمل مشاغبين"، قال المجرمون الثلاثة أنهم أرادوا "التسلية"، ونفوا أن يكونوا سعوا إلى قتل ضحيتهم، وهو أب لـ 12 طفلاً[83].

ومن جرائم الإرهاب الفردي التي ارتكبها المستوطنون في انتفاضة الأقصى، ما حدث يوم الأحد الموافق 2001/6/3، حيث أطلق مستوطن النار باتجاه سيارة بداخلها ثلاثة أشقاء من قرية دير دبوان على الطريق الالتفافي، شمال شرق رام الله، مما أدى إلى انقلابها في واد عميق واستشهاد الشقيقان عايد وزياد وإصابة الثالث زيدان محمود محمد بجروح خطيرة. وعلى الرغم من تحقيق شرطة الاحتلال بالاعتداء، إلا أن التحقيق انتهى دون اعتقال أي من منفذي الجريمة، بل إنها ادعت أن الحادث مجرد حادث سير على الطريق[84].

---

[81] **الرأي**، 1997/7/14، ص 1؛ و**القدس العربي**، 1997/8/5، ص 7، نقلاً عن: كيخال ليبرطوف، **هآرتس**، 1997/8/1.

[82] **الحياة**، العدد 12889، 1998/6/18، ص 3.

[83] **القدس**، 2001/6/4، ص 1.

[84] **فلسطين المسلمة**، أيلول/ سبتمبر 2005، ص 12-13.

شكلت المجزرتان اللتان ارتكبهما إرهابيان يهوديان في كل من شفاعمرو، وفي مستعمرة شيلو شمال مدينة رام الله، تحققاً للسيناريوهات التي رسمت من قبل لردة فعل المستوطنين على خطة فكّ الارتباط التي أعلنها رئيس الوزراء الإسرائيلي أريل شارون، والتي بمقتضاها انسحب الجيش الإسرائيلي من داخل قطاع غزة. فطريقة عمل الإرهابيين اليهود باتت معروفة، مستوطن مسلح برشاش، يقوم بإطلاق النار في وسط تجمع للفلسطينيين، بقصد قتل أكبر عدد منهم.

دوائر صنع القرار في الدولة العبرية ادعت الشعور بالمفاجأة لوقوع المجزرتين، على الرغم من أنه كان في حكم المؤكد أن أحد المستوطنين سيقدم على فعل ما، من أجل إحباط تنفيذ خطة فكّ الارتباط، ومع ذلك تعاملت الحكومة الإسرائيلية بلا مبالاة واضحة تجاه بؤر الإرهاب اليهودي المعروفة تماماً للأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية.

يوم الخميس 2005/8/4، دخل أحد مستوطني كفار تفوح، قرب نابلس، عيدن نتان زادة Eden Natan Zada (19 عاماً)، الحافلة رقم 165 التي كانت متوجهة من حيفا إلى شفاعمرو في شمالي الأراضي المحتلة سنة 1948، مرتدياً زيّ الجيش الصهيوني. وعندما دخلت الحافلة إلى شفاعمرو، نهض الإرهابي زادة من مكانه، ووقف في مقدمة الحافلة، قرب السائق العربي ميشال بحوث، وأطلق النار عليه فأرداه قتيلاً. ثم بدأ إطلاق النار داخل الحافلة، فقتل الشقيقتين هزار تركي (23 عاماً)، ودينا (21 عاماً)، ونادر حايك (55 عاماً)، وأصاب 15 آخرين، قبل أن يتمكن عشرات المواطنين العرب من قتله.

كان عيدن نتان زادة معروفاً بانتمائه لحركة كاخ، وتهرّب من الجيش مراراً في تعبير عن رفضه لخطة فكّ الارتباط، بل إنه رفض تنفيذ الأوامر العسكرية بالمشاركة في إخلاء المستعمرات، وتبين أن عائلته توجهت لقيادة الجيش وأبلغتها أن ابنها يمكن أن يقدم على عمل إرهابي ضدّ العرب، لكن قيادة الجيش لم تكلف نفسها حتى مهمة اقتفاء أثره واعتقاله، أو مساءلته. بل تبين أن لدى جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) ملفاً خاصاً حوله، ويعرف تحركاته المثيرة للاشتباه داخل مستعمرة كفار تفوح، التي تعدّ معقلاً لتنظيم كاخ وفتية التلال Hilltop Youth.

جميع وسائل الإعلام الإسرائيلية تؤكد أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية قد قصرت في واجباتها، ولم تحاول إحباط تنفيذ مجزرة شفاعمرو، مع أنه كان بالإمكان اعتراض منفذ المجزرة واعتقاله قبل تنفيذ العملية بوقت كبير. والذي كشف التواطؤ والتقصير

هو السجال المثير للاستفزاز الذي نشب بين الأجهزة الأمنية الإسرائيلية حول المسؤولية عن التقصير في متابعة السفاح في شفاعمرو، وتبين من هذه السجالات أن جميع الأجهزة الأمنية كانت تعلم بالشبهات حول زادة، ومع ذلك تمّ السماح له باقتناء السلاح الذي ارتكب به المجزرة.

الأمر الذي حاولت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية إخفاءه وتجاهله هو حقيقة انتماء نتان زادة إلى خلية إرهابية تعمل في منطقة جنوب مدينة نابلس، اعتقلت الشرطة ثلاثة من الذين كانوا أعضاء فيها، لكن كما هو عليه الحال في كل مرة، عندما يقوم الشاباك والشرطة باعتقال مستوطن، فإن من حقه أن يلوذ بالصمت في أثناء التحقيق معه حتى يضجر منه المحققون، ويطلقوا سراحه بحجة "عدم المقدرة على إعداد لائحة اتهام ضده".

وحتى مجزرة شمال رام الله التي ادعت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية أن منفذها عمل لوحده، تبين لاحقاً أن هذا المجرم كان ناشطاً مع المعارضين لخطة فكّ الارتباط، وقد تحفظت الشرطة الإسرائيلية على العديد من الأدلة التي تؤكد حجم التقصير الأمني في متابعته.

القيود التي يفرضها القانون الإسرائيلي في التحقيق مع اليهود تكفي وحدها لتشكيل التنظيمات والخلايا الإرهابية دون أن تستطيع الأجهزة الأمنية اكتشافها. وبخلاف ما تتصرف به مع الأسرى الفلسطينيين، فإن المخابرات الإسرائيلية لا تبذل جهداً حتى في توظيف القرائن التي تربط الإرهابيين اليهود بالجرائم التي ترتكب ضدّ الفلسطينيين. ويكفي هنا أنه بسبب هذا التعاطي، فإن هناك جرائم قتل واعتداءات يرتكبها إرهابيون يهود ضدّ الفلسطينيين لم تحاول الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تعقب ومطاردة المجرمين المسؤولين عنها وجلبهم للقضاء. بل، هناك العشرات من عمليات العربدة التي يقوم بها المستوطنون كل يوم دون أن يتم توقيف أي شخص بتهمة ارتكاب هذه الممارسات، وفي كثير من الأحيان تقوم الشرطة وجنود الاحتلال بحماية المستوطنين في أثناء قيامهم بارتكاب الجرائم ضدّ الفلسطينيين[85].

كانت المجزرة في مصنع للألمنيوم بمستعمرة شيلو القريبة من رام الله أكثر بشاعة، وتدلّ على إرهاب وعنصرية متجذرة لدى المستوطنين. فالمستوطن آشر فايسغن الذي

[85] **المجتمع**، العدد 1666، 2005/8/27، ص 21.

أطلق النار، في 2005/8/17، باتجاه الفلسطينيين مما أدى إلى مقتل أربعة منهم وإصابة أربعة آخرين يعرف الضحايا، بل إنهم عملوا معه لسنوات طويلة، ولم يكن بينهم أي مشاكل، وهو ما حاول محامي الدفاع استغلاله في دفاعه عن المجرم.

قال المجرم فايسغن، إن جريمته بدافع وقف تنفيذ خطة فكّ الارتباط، انطلاقاً من اعتقاده أن ذلك سيدفع الآخرين إلى القيام بجرائم مماثلة. وحسب مصادر التحقيق، فإن فايسغن ومع انتهاء العمل في المصنع، وصل إلى الحاجز المقام على مدخل المستعمرة، ودخل غرفة الحارس الذي اعتقد أنه قدم لأخذ بطاقات الهوية الشخصية الخاصة بالعمال المودعة لديه. وفي هذه الأثناء، غافل فايسغن الحارس، وأخذ منه سلاحه، بندقية من نوع ساعار إم–16 كانت محشوة بالذخيرة، كما أخذ ذخيرة أخرى كانت بحوزة الحارس.

وتابعت المصادر الإسرائيلية أن فايسغن اقترب من السيارة وأطلق النار على العمال الذين كانوا داخلها، وكان يوجه السلاح باتجاه النصف الأعلى من أجسامهم، وعندما تيقن المجرم أنهم لم يعودوا على قيد الحياة، دخل ثانية إلى المصنع بهدف قتل عامل آخر يعمل هناك. وخلال جري فايسغن باتجاه المصنع، خرج أحد العمال المصابين من السيارة وهو ينزف بسبب رصاصة أصابته في وجهه وحاول الوصول إلى المجرم، وهو يقول له: آشر ماذا تفعل؟ وعندها استدار آشر فايسغن، وأطلق عدة رصاصات باتجاهه إلا أنها لم تصبه.

وصل فايسغن إلى مدخل المصنع، وركض باتجاه الموقع الذي يعمل فيه أحد العمال، وأطلق النار عليه فأصيب، في هذه الأثناء نفدت الذخيرة منه، فاستبدلها وأطلق عدة رصاصات من مسافة قريبة جداً، أصابت إحداها رأس العامل ففجرته، ثم خرج من المصنع وسلم نفسه لضابط الأمن الذي وصل إلى المكان[86].

قدمت المحكمة المركزية في القدس، لائحة اتهام ضدّ آشر فايسغن، تضمنت القتل ومحاولة القتل والتخريب والتسبب بإصابات في ظروف خطيرة. ولم ينفع المحامي اللجوء إلى التشكيك في سلامة المجرم النفسية، مما يؤهله للادعاء بأنه من غير الممكن تقديمه للمحاكمة، أو أنه لم يكن من ناشطي اليمين، ولم يخرج في أية تظاهرة، فحكمت عليه المحكمة بالسجن المؤبد أربع مرات و12 عاماً[87].

---

[86] **الرأي**، العدد 12769، 2005/9/6، ص 55.

[87] **فلسطين المسلمة**، كانون الثاني/ يناير 2007، ص 8.

أمضى فايسغن فترة اعتقاله في القسم الديني من سجن أيالون Ayalon Prison، حيث انتحر فيها في كانون الأول/ ديسمبر سنة 2006، وقد حمل إيتمار بن جفير، أحد رموز تيار اليمين الإسرائيلي، القضاة الذين حكموا بسجن فايسغن، المسؤولية عن انتحاره، زاعماً أنهم تجاهلوا الوضع النفسي الذي لا يسمح بمحاكمته، وفق ادعائه[88].

3. الإرهاب المنظم:

خلال سنين الانتفاضة، ثمة إضافة مهمة لإرهاب المستوطنين، عززت "إرهاب الدولة الإسرائيلية"، إذ تخلل لوحة إرهاب المستوطنين نمط ثالث، تفوق فيها المستوطن على إرهابيته، وهو الإرهاب المنظم الصادر عن تنظيم أو منظمة عسكرية شكلها المستوطنون لتنفيذ عمليات ضدّ الشعب الفلسطيني.

وهذا النمط من الإرهاب ليس عملاً فردياً، بل هو جزء من سياسة منظمة تحظى برعاية رسمية لمستويات معينة. والمهام القتالية الموكلة للمستعمرات تغذي هذه العدوانية وتزيد محددات إرهابها. كما أن الضعف العربي يغري المستوطنين على الإيغال في إرهابهم، ويدفعهم إلى حمل مهمات الجيش الإسرائيلي نفسه، إضافة إلى المهام الموكلة إليهم أصلاً.

بعد مقتل أحد الفلسطينيين بالرصاص وإصابة ثلاثة آخرين بجروح بالقرب من بوابة يافا في مدينة القدس، أعلنت منظمة يهودية سرية تطلق على نفسها اسم سيكاري Sicarii Jews مسؤوليتها عن هذه الجريمة. وهذه المنظمة، أو هذه الجماعة، سبق لها أن عملت على إحياء ذكرى اسم منظمة سرية كانت موجودة قبل حوالي ألفي سنة، كانت مهمتها قتل اليهود المتعاونين مع سلطات الاحتلال الروماني، مستخدمة آلة حادة تشبه الخنجر إلى حدّ كبير ويطلق عليها اسم سيكا sicae.

ولكن حتى وقوع جريمة بوابة يافا، لم يكن أحد يأخذ موضوع هذه الجماعة على محمل الجد، بالرغم من أن منظمة سيكاري ادعت مسؤوليتها عن ستة حوادث هجوم وحرق متعمد وقعت ضدّ يهود يؤيدون فكرة المصالحة مع العرب. وهذه المنظمة

[88] **القبس**، العدد 6093، 1989/4/27، ص 23، نقلاً عن: صحيفة **فرانكفورتر الجماينة** *Frankfurter Allgemeine*، ألمانيا.

تريد إرغام السلطات الإسرائيلية على الحيلولة دون تقديم أية تنازلات للفلسطينيين، فاستخدمت أساليب إرهابية من بينها المتفجرات والقنابل اليدوية ضدّ العرب في أوائل الثمانينيات[89].

قدم رئيس بلدية الخليل شكوى بصدد انفجار قنبلة خارج جامع القزازين في الخليل، عند منتصف نهار الجمعة الموافق 1983/2/25، وقبل قليل من خروج نحو 300 من المصلين. وجاء في الشكوى أن اثنين من الأهالي جرحا عندما انفجرت القنبلة تحت كومة من الحجارة بجانب الجامع، وأعطبت سيارتان كانتا متوقفتين في المنطقة ذاتها. ويشير رئيس البلدية، في شكواه ذاتها، إلى حادث سابق وقع، في 1982/10/29، في ملعب لكرة القدم في الخليل، عندما انفجرت قنبلة[90].

ولكن منظمة سيكاري لم تكن المنظمة الوحيدة المعبرة عن إرهاب المستوطنين، فهناك منظمات أخرى ذكرنا عنها في الفصل السابق. ومن تلك المنظمات، منظمة تطلق على نفسها اسم "كيشيت" أو الذين لا يقبلون المهادنة أو الصلح، والتي تضم مجموعة من الشباب الذين قاموا بنشر الإرهاب وبثّ الرعب والخوف في الضفة الغربية وقطاع غزة فترة الثمانينيات.

وفي الوقت الذي تحاول فيه منظمة سيكاري إدخال الرعب والهلع والخوف في قلوب العرب واليهود الذين ينظر إليهم على أنهم أصدقاء العرب، فإن الهجمات التي تشنها منظمة كيشيت موجهة في الأساس ضدّ اليهود الذين لا يلتزمون بالتعاليم والقواعد الدينية اليهودية المتطرفة[91].

الإرهاب المتزايد من المستوطنين لم يأتِ في واقع الأمر من فراغ، إذ يقوم السياسيون الإسرائيليون بالعمل على زيادة حدة هذا الإرهاب. واستنتج المستوطنون من حديث زعماء الليكود ومولديت وهتحيا وغيرها أنهم غير مستعدين للتخلي عن أي شبر من الضفة الغربية، باعتبارها جزء من "الأراضي التي ورد ذكرها في التوراة، وأنه يتعين عليهم التكفل بالقيام بتنفيذ القانون بطريقتهم الخاصة".

---

[89] **المستقبل**، العدد 237، 1983/8/6، ص 18.

[90] **القبس**، العدد 6093، 1989/4/27، ص 23، نقلاً عن: **فرانكفورتر الجماينة**.

[91] بتصرف عن: الإرهابي المتعصب: مئير كهانا، ترجمة **الوطن**، الكويت، 1987/12/19، ص 11.

إن هذه الأوضاع، شكلت البيئة الخصبة لظهور حركات مثل كاخ وجوش أمونيم تريد إقامة "إسرائيل الكبرى"، وتؤيد منظمات الإرهاب والقتل ضدّ الفلسطينيين. ففي آذار/ مارس سنة 1982، قام أحد اتباع كاخ من الأمريكيين، ألان هاري جودمان، بقتل اثنين من العرب في البلدة القديمة من القدس. كما قام آخرون بإطلاق الرصاص على حافلة ركاب فلسطينية، بالقرب من رام الله.

وفي أوائل سنة 1984، تشكلت مجموعة غامضة أطلق عليها اسم "الإرهاب ضدّ الإرهاب" (تي.أن.تي)، وأعلنت مسؤوليتها عن هجوم وقع على حافلة في القدس. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1984، قام ديفيد بن شيمول بإطلاق قذيفة على حافلة ركاب عربية، فاحتفلت كاخ على الفور بفعلته ومنحته عضوية فخرية. واعتقل يهودا ريتشر Yehuda Richter، الرجل الثاني في قائمة كاخ الانتخابية للاشتباه باشتراكه في هذه الأعمال الإرهابية. كما وضع زعيم كاخ ومؤسسها، الحاخام مائير كهانا، تحت الحجز عشرات المرات، دون أن يصدر ضده أي حكم لعدم وجود الدليل الكافي[92].

وبرر الحاخام موشيه ليفنغر، أحد زعماء حركة جوش أمونيم الاعتداء على حياة رؤساء البلديات في الضفة الغربية، وأيضاً جريمة الجامعة الإسلامية في الخليل. كما زعم ليفنغر أن بنيامين بن إليعازر، الذي كان الحاكم العسكري للضفة الغربية، قال بعد الاعتداء على حياة رؤساء البلديات "كان ينبغي وضع مزيد من المواد المتفجرة كي تكون كافية لما يتعدى قطع أرجل رؤساء البلديات".

أما مئير اندور Meir Indor، أحد زعماء المستوطنين، فقد قال لشبكة سي.بي.أس cbs الأمريكية، إن محاولة اغتيال رؤساء البلديات في الضفة الغربية تمت بتخطيط أشخاص يحتلون مواقع مركزية في الحكومة الإسرائيلية. ونقلت الشبكة عن اندور قوله: "قالت لنا الحكومة إننا لا نستطيع القيام بذلك لأن أيدينا مكبلة، فلربما تستطيعون أنتم القيام بذلك بصفتكم الفردية، وسيفهم العالم كله ذلك"[93].

لم يكن كلام مئير اندور سوى الحقيقة التي كرستها مواقف القيادة السياسية الإسرائيلية من إرهاب المستوطنين بأنماطه الثلاث، بل إن رئيس الاستخبارات العسكرية

---

[92] **الملف**، العدد 4، المجلد 1، تموز/ يوليو 1984، ص 337، نقلاً عن: **دافار**، 1984/7/6، و**هآرتس**، 1984/6/19.

[93] **الرأي**، 2005/8/10، ص 60، نقلاً عن: شلومو غازيت، **معاريف**.

سابقاً الجنرال شلومو غزيت Shlomo Gazit أقرّ بها حين كتب في صحيفة معاريف، يتحدث عن عيدن نتان زادة، المجرم الذي نفذ مجزرة شفاعمرو:

> إن دم الضحايا في رقبة قادة مجلس مستوطنات الضفة والقطاع والناطقين باسمه، وفي رقبة الحاخامات الذي يظهرون مراراً وتكراراً في المسيرات الشعبية وفي دروسهم الدينية الأسبوعية، وفي رقبة أعضاء الكنيست الذين يستغلون حصانتهم التي لا تعرف الحدود والذين يدعون باسم الديموقراطية وبرعايتها لخرق القانون، كما يتحمل مسؤولية هذه الدماء أيضاً القيادة الروحية، السياسية وغير الأخلاقية للمعارضة[94].

في الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد الموافق 1982/4/11، اقتحم المستوطن ألان هاري جودمان وهو من أصل أمريكي ومولود في نيويورك، ويعتمر على رأسه قبعة دينية، باحة المسجد الأقصى عبر بوابة الغوانمة، وأطلق النار بصورة عشوائية من بندقية إم–16، ثم هرع إلى مسجد الصخرة وهو يطلق النار بغزارة حيث كان حارس الحرم الحاج محمد صالح اليماني (65 عاماً) بقرب الباب الغربي، وأرداه قتيلاً.

واتجه بعد ذلك إلى إطلاق النار على المصلين داخل المسجد، وعلى الجدران والقبة. وقد صحب إطلاق النيران من جانب جودمان، إطلاق نيران من الناحية الغربية للمسجد، حيث يتمركز الجنود الإسرائيليون على أسطح المنازل بالإضافة إلى إطلاق نيران من الناحية الشرقية حيث مقبرة اليهود المشرفة على ساحات المسجد، وكان هدف إطلاق النار من جميع هذه النواحي إصابة المصلين داخل المسجد وساحاته، بالإضافة إلى الإضرار بمبنى مسجد الصخرة.

وحين اندفعت الجماهير من داخل البلدة القديمة إلى المسجد الأقصى تلبية لنداء المؤذنين ومناشداتهم عبر مكبرات الصوت، بدأ الجنود الإسرائيليون يطلقون النار عليهم، مما أدى إلى إصابة عدد كبير منهم واستشهاد الشاب جهاد إبراهيم بدر (21 عاماً). وقد أغلق التجار حوانيتهم في القدس وتوجهوا إلى المسجد الأقصى، بينما أقفل الجنود الإسرائيليين أبواب البلدة القديمة لمنع الأهالي من الدخول.

---

[94] أحمد العلمي، **أيام دامية في المسجد الأقصى** (عمّان: دار الجليل للنشر، 1983)، ص 37-44.

وفي الساعة الحادية عشرة، قام الجنود الإسرائيليون بإطلاق قنابل مسيلة للدموع داخل مسجد الصخرة في محاولة لمنع المصلين من إلقاء القبض على ألان جودمان. وقد تسبب هذا في اندلاع حريق في سجاد المسجد، الأمر الذي وجه انتباه المصلين بإخراج السجاد وإخماد الحريق.

توجهت مجموعة من الجنود الإسرائيليين المدججين بالسلاح عبر ساحات المسجد إلى داخل الصخرة وأخذت المستوطن ألان جودمان ومنعت الأهالي من المساس به. وقد نقل الجرحى الفلسطينيين الذين قدر عددهم بأكثر من 120 شخصاً إلى مستشفى الهوسبيس والمقاصد[95].

وقد ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية أن جودمان قد عمل وفق خطة مدروسة، واختار المسجد الأقصى بقصد القيام بجريمة وفق تعبيرها. وكان جودمان قد حصل على الجنسية الإسرائيلية منذ سنة 1981، ونجح في الاختبارات النفسية للجيش الإسرائيلي، ولم يبدُ عليه أي اضطراب عقلي. ووجدت الشرطة الإسرائيلية في غرفة جودمان التي كان يستأجرها في مستعمرة بيت هكيرم Beit Hakerem بالقدس منشورات تعود لرابطة الدفاع اليهودية التي أسسها الحاخام مئير كهانا بالولايات المتحدة، وهي حركة تنادي بطرد السكان العرب وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى[96].

حركة كاخ أصدرت بياناً للصحافة في أعقاب الجريمة، عبرت فيه عن "قلقها" لضعف الشرطة الإسرائيلية في معالجة أعمال "العنف" التي قام بها العرب الذين استغلوا عمل يهودي مريض يحب جبل البيت لرجم اليهود المطمئنين بالحجارة، مذكرة الحاخامين الكبيرين بما قاله الحاخام أبا بار زبد: "إسرائيل حتى لو أذنب، فهو إسرائيل".

وجددت حركة كاخ نداءها بطرد "الغرباء من جبل البيت"، و"إزالة المباني الحقيرة من هناك، والتي أقيمت على مكان مقدس لتجميد سلطة الغرباء على أرض إسرائيل، ووضع حراسة المكان بأيدي يهود مخلصين يمشون على هدى توراة إسرائيل"[97].

---

[95] أحمد العلمي، **مرجع سابق**، ص 56.

[96] أحمد العلمي، **مرجع سابق**، ص 74-75.

[97] مفيد عبد الرحيم، جزار الأقصى: سأعود لأواصل رسالتي ضدّ العرب، مجلة **الوطن العربي**، باريس، 1998/1/2، ص 23 و25.

وتحت ضغوط وغضب عالمي، حكمت إحدى المحاكم الإسرائيلية بالقدس على ألان جودمان بالسجن المؤبد بالإضافة إلى أربعين عاماً، قضى منها 15 عاماً داخل السجن. إذ قررت لجنة تخفيف العقوبات التابعة لمصلحة السجون الاسرائيلية إطلاق سراحه في 1998/10/26، وأن يغادر فلسطين المحتلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وألا يعود إلا بعد ثمانية أعوام على الأقل.

وكان جودمان في سنوات سجنه الأخيرة يسمح له بالخروج من سجنه والتجول بحرية، ولكنه منع من ذلك بعد أن شاهده ذات مرة أحد حراس الأقصى الفلسطينيين يتجول بالقرب من الأقصى، فتعرف عليه، وأبلغ الشرطة الإسرائيلية التي منعته من دخول القدس.

ويقول جودمان، أن أبرز من كانوا يزورونه في السجن المستوطنون، وخصوصاً مستوطني كريات أربع قرب الخليل. ويضيف أن أكثر زواره تكراراً كان جوزف آلستر زعيم منظمة "المدافعون عن سجناء الضمير اليهودي". وحين خرج جودمان من السجن، كان آستر وجماعة "كهانا حي" اليمينية المتطرفة قد اشتروا له الملابس وتذكرة طائرة، وأوصلوه إلى الولايات المتحدة برفقة هيربرت سنشاين، وهو أمريكي يهودي أيضاً، نقل عنه أنه وصف جودمان بأنه "بطل يهودي وطني يجب أن نفتخر بما قام به".

وصل جودمان إلى بالتيمور Baltimore بصحبة سنشاين، وهرعت العديد من المنظمات اليهودية المتطرفة إلى مساعدته، حيث استأجروا له شقة وأثثوها، كما اشتروا له الملابس، كما قدموا له مبلغاً شهرياً من المال ليعتاش عليه. ونقل عن جودمان قوله بكل وقاحه، في مقابلة تلفزيونية جرت معه، "هناك الكثير من الأعمال التي يجب القيام بها ضدّ الفاشيين العرب، ولكن ينبغي على آخرين القيام بذلك"[98].

وكانت صحيفة يديعوت أحرونوت قد نقلت ضمن التقرير الذي نشرته عن جودمان، إثر الجريمة التي ارتكبها: "اليوم حققت العدالة في جبل الهيكل وانتصرت لليهود الذين قتلوا، وحررت جبل الهيكل حين قتلت جميع المحتلين العرب. وقد فعلت ذلك انتقاماً للأطفال والنساء الذين قتلوا في حادث الاعتداء على حافلة الركاب على طريق الساحل قبل أربع سنوات". وذكرت الصحيفة أنه عثر في غرفة جودمان على مستندات دلت

[98] ترجمة **الرأي**، 1997/10/27، ص 23.

على علاقته بحركة كاخ. وعلى الرغم أن الحاخام مئير كهانا وأفراد تنظيمه لم يعرفوا جودمان، وعلى الرغم من ادعاء جودمان بأنه عمل وحده، فإنه بعد إلقاء القبض على جودمان وضبط المستندات في غرفته، قرر كهانا تغطية تكاليف الدفاع وأتعاب المحاماة المرتبطة بقضيته[99].

ملخص تاريخ التنظيم السري اليهودي لسنوات الثمانينيات، والذي عُرِف بأسماء مختلفة أشهرها منظمة "أبناء صهيون"، هو ثلاثة قتلى، و13 عملية تخريبية، واتضح أنهم كانوا أعضاء في منظمة الإرهاب اليهودي التي عملت منذ سنة 1979 وحتى إلقاء القبض عليها سنة 1983، والهدف منها "ضرب العرب".

في يوم السبت الموافق 1980/5/3، وبعد ساعات فقط من جنازة المستوطنين الذين قتلوا في عملية الدبويا في مدينة الخليل، اجتمعت نواة المنظمة السرية لحركة جوش أمونيم، في شقة مناحيم ليفني Menachem Livni بمدينة الخليل، لتضع خطة الهجوم على رؤساء البلديات العرب.

قال بنزيون هاينمان Benzion Heineman، وهو رجل أعمال بارز وعضو ناشط في جوش أمونيم:

> كنا متوترين توتراً لا يصدق بعد الجنازة. وتحدث ليفني وأيتزيون عن الثأر للطلاب. وتمّ اختيار اثنين من مستوطني السامرة لمهاجمة رئيس بلدية نابلس، بسام الشكعة، هما ناتان ناثانسون [Nathan Nathanson] رئيس أمن شيلو، البالغ من العمر 27 عاماً، وموشي زار، اليهودي من أصل إيراني البالغ من العمر 48 عاماً، وهو من أكبر تجار الأراضي في المناطق. وربما كان رئيس بلدية مستوطنة شيلو عيرا ربابورت قد انضم لناثانسون، وهو يهودي من مواليد بروكلين في نيويورك، وزار، هو الأكثر شهرة في إسرائيل بين الثلاثة، إذ تطلق الصحافة العربية عليه لقب ملك السامرة، فهو يستضيف في فيلته الواقعة على قمة جبل في نابلس سياسيين ومسؤولين عسكريين أقوياء مثل أريل شارون. وفي صباح الثاني من يونيو/ حزيران 1980، وبعد شهر من الهجوم على الطلاب اليهود في الخليل، وفي نهاية فترة الحداد اليهودية التي استمرت ثلاثين يوماً، قاد

[99] **الوطن**، الكويت، 1986/1/13، ص 15، نقلاً عن: صحيفة **الأمريكان فويس** *The American Voice*.

زار ورفاقه سياراتهم إلى ضاحية الرشيدية الحديثة في مدينة نابلس، أكبر مدن الضفة الغربية ومركز الحركة الوطنية الفلسطينية، وأوقفوا سياراتهم في ظلال بيت حجري كبير، وقام رجلان بتخطي السور المحيط بالبيت، وزحف رجل تحت سيارة أوبل زرقاء فاتحة واقفة في الممر، وزرع متفجرة ربطها بلوحة معدنية فوق الكلاتش تماماً. وبعد الساعة الثامنة بقليل، دخل بسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس، ومن أبرز المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق، سياراته [سيارته]، وحرك السليف، وداس على الكلاتش، فانفجرت السيارة واشتعلت، فقُطعت رجليه[100].

وفي روايتها عن محاولة اغتيال زوجها بتلك الطريقة المرعبة، تؤكد زوجة بسام الشكعة مشاركة الحكومة الإسرائيلية في تلك الجريمة عبر قطع الاتصالات عن المنزل، حيث تقول:

كنت في المطبخ، وكانت الساعة الثامنة إلا عشر دقائق. جاء بسام يحدثني قبل خروجه، ثم نزل من البيت في طريقه إلى دار البلدية كما اعتاد أن يفعل كل صباح. فجأة سمعت انفجاراً قوياً، وتحطمت كل نوافذ البيت. اعتقدت أن الصوت صوت طائرة أو شيء من هذا القبيل، لكني سرعان ما سمعت ابنتي راضية، ذات الأربعة أعوام تصرخ وتبكي في الحديقة مولولة: بابا... بابا... ركضت. كان هناك دخان يصعد من السيارة. فتح بسام باب السيارة وارتمى قربها، ركضت إليه مع ابني عيسى. أردنا أن نرفعه. وفي تلك اللحظة، أدركت، مرعوبة، أن رجليه بقيتا داخل السيارة. حملناه إلى الشرفة، ثم حاولنا أن نوقف سيلان الدم بكميات من القطن. أردت أن أتصل، لكني أدركت بسرعة أن الهاتف مقطوع، مع أنه كان يعمل لنصف ساعة خلت[101].

ولم يكن الشكعة هو الهدف الوحيد، في ذلك الصباح، فقد كان إسحق نوفيك الناعم الحديث من مستعمرة عوفرا يراقب طيلة عدة أسابيع منزلي كريم خلف رئيس بلدية رام الله وإبراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة. واكتشف نوفيك أن كريم خلف يغادر منزله، في الساعة 7:30 كل صباح، بينما يغادر الطويل منزله إلى العمل في حوالي الساعة 8:30.

[100] إبراهيم العريس، إرهاب صهيوني آخر في الضفة الغربية، **الحياة**، 1998/6/3، ص 18.

[101] **الوطن**، الكويت، 1986/1/13، ص 15، نقلاً عن: **الأمريكان فويس** *The American Voice*.

وكانت مشكلة نوفيك أنه إذا وضع قنبلة لتفجير سيارة خلف في الساعة 7:30، فإن ذلك ربما يجعل الطويل يأخذ حذره، ويضيف نوفيك: "وهكذا اتصلنا بضابط في الجيش، وقلنا له خططنا، وكانت مهمته هي إبقاء الجنود الإسرائيليين بعيداً عن سيارة الطويل".

وفي ليلة الأول من حزيران/ يونيو، صحا نوفيك في الثالثة بعد منتصف الليل، وقاد سيارته إلى مستعمرة عوفرا لاصطحاب رفيقيه، واتجهوا جميعاً إلى رام الله ثم إلى البيرة. واستغرق زرع المتفجرات بضع دقائق، وترك نوفيك صديقيه في القدس، وعاد إلى مستعمرة عوفرا مستخدماً طرقاً فرعية. وفي الساعة الثامنة صباحاً، وبعد لحظات من فقد بسام الشكعة لرجليه، فقد كريم خلف إحدى قدميه، عندما انفجرت سيارته. وعلى الرغم من جهود نوفيك، قام ضابط في الجيش الإسرائيلي بتحذير إبراهيم الطويل، فنجا من الإصابة. إذ أصابت قنبلة يدوية (تمّ تفخيخ باب كراج الطويل بها) خبيرَ نزع متفجرات إسرائيلي بالعمى.

دافع نوفيك، عن التفجيرات بقوله:

> شعرت أنه لا بدّ من عمل شيء ما. وكان الخطر يتزايد على الطرق في المناطق، وكان العرب يهاجمون الباصات والسيارات اليهودية يومياً، بالحجارة والقنابل اليدوية وقنابل مولوتوف، وكانت سياسة الحكومة تجاه العرب رخوة. وقمنا بمظاهرات احتجاج كثيرة، مطالبين بإجراءات أمنية أكثر صرامة، لكن شيئاً لم يحدث. وشعرنا أننا بدون أحد يساعدنا[102].

كان من الواضح بالنسبة للفلسطينيين أن العمليات الأربعة، بعد إلقاء أعضاء التنظيم قنبلة على مدرسة عربية في الخليل أوقعت سبعة جرحى، تعدّ إشارة لحرب إرهابية جديدة عليهم، هدفها أن تقتل عدداً أكبر من كبار المسؤولين الفلسطينيين وأهمهم في الضفة الغربية آنذاك، وأن ترعب من في خارج فلسطين المحتلة. ومن هنا، لم يكن بعيداً عن الصواب ذلك الذي كتب في "لونوفيل أوبسرفاتور" Le Nouvel Observateur الفرنسية معلقاً على ما حدث: "يوم الإثنين في 2 حزيران، في نابلس، في رام الله، في الخليل، في البيرة، إن وحدة الجيش الإسرائيلي هي التي نسفت على الأرجح"[103].

---

[102] إبراهيم العريس، **مرجع سابق**.

[103] **المستقبل**، العدد 237، 1983/8/6، ص 16.

في الساعة 1:50 من ظهر يوم الإثنين الموافق 1983/7/25، وصلت سيارة بيجو تحمل لوحة صفراء، وهي التي تميز السيارات الإسرائيلية عن سيارات الضفة الغربية ذات اللوحات الزرقاء، أمام المدخل الخلفي لجامعة الخليل، وهي تقل أربعة من أعضاء التنظيم السري اليهودي خططوا لتنفيذ مجزرة جديدة بحقّ أبناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية.

داخل الجامعة، كان العديد من الطلبة يستعدون للخروج لأداء صلاة الظهر، بعد انتهاء الامتحانات والمحاضرات. خرج أربعة أشخاص من السيارة، ودخلوا الحرم الجامعي عبر الحرج الكائن خلف المبنى. كانوا ملثمين بكوفيات حمراء وسوداء، ويحملون بنادق رشاشة من نوع إم–16.

تطلعوا يمنة ويسرة، ثم ألقوا قنبلة يدوية في ساحة الجامعة، وفتحوا نيران بنادقهم الرشاشة باتجاه الطلبة بصورة عشوائية. ولكي يثيروا أكبر قدر من الفوضى والغموض، راحوا يطلقون قنابل مسيلة للدموع. ووسط حالة من الذعر سيطرت على الطلبة، انطلق المعتدون إلى داخل مبنى الجامعة، واقتحموا إحدى قاعات الدراسة وهم يواصلون إطلاق النيران. وأخذ العديد من المدرسين والطلاب يغلقون أبواب قاعاتهم ومكاتبهم، لحماية أنفسهم، في حين ألقى البعض بنفسه من الطابقين الثاني والثالث هرباً من النيران.

بعد سبع دقائق، غادر المقتحمون الأربعة الجامعة، وانطلقوا في السيارة، تاركين ورائهم ثلاثة قتلى و33 جريحاً وجريحة، ودماراً وبقعاً من الدماء. وكان ضحايا المجزرة: سعد الدين حسن صبري (39 عاماً)، أب لثلاثة أولاد. وجمال أسعد نزال (39 عاماً)، أب لابنتين، والإثنان يقيمان ويعملان في مدينة قلقيلية، وكانا يتقدمان للامتحان النهائي في جامعة الخليل التي ينتسبان إليها. وأما الضحية الثالثة، فكان سميح عمور (26 عاماً) الذي كان يزور صديقاً له في الجامعة، وهو من بلدة يعبد القريبة من مدينة جنين.

وقع المجزرة كان عنيفاً في الضفة الغربية، وفي حين أغلق تجار القدس متاجرهم على الفور احتجاجاً على هذه المجزرة، طالبت مؤسسات الضفة السكرتير العام للأمم المتحدة بإرسال لجنة للتحقيق في ممارسات المستوطنين. وفي نابلس، نُظِّمت مظاهرة

مساء يوم المجزرة، وقام مستوطنون بإطلاق النار، فاستشهدت فتاة تبلغ من العمر عشرين عاماً، تدعى إلهام أبو زعرور، كان من المقرر أن تُزفَّ إلى خطيبها يوم الأحد الموافق 1983/7/31، وكانت قد انتهت لتوها من توزيع بطاقات الدعوة[104].

وبعد سنة من تلك المجزرة، اتهمت السلطات الإسرائيلية ثلاثة من بين الأربعة بالقتل، وهم: مناحيم ليفني، وشاؤول نير Shaul Nir، وعوزي شربف Uzi Sharbav، وقد اتضح بعد إلقاء القبض على القتلة ورفاقهم، أن الكلام هو عن منظمة عسكرية سرية على شكل هرم غير رسمي، في رأسه مناحيم ليفني ويهودا عتصيون، كان لها لغة سرية ومكان اجتماع وبرامج عمل.

كان نسف المسجد الأقصى هو العملية الوحيدة التي خططت لها المنظمة ولم تنفذها، بالرغم من أن أعضاء التنظيم حضّروا المواد المتفجرة المطلوبة، ولكن الانفجار لم يحصل بسبب مضاعفة الحراس العرب لوسائل الأمن في المسجد الأقصى الشريف.

يهودا كوهين Yehuda Cohen، أحد أفراد التنظيم، قال إن الخطة كانت تهدف إلى نسف المسجد الأقصى عشية يوم الغفران، أو في ليلة الاحتفال بعيد الفصح، وأن المجموعة كانت تنوي استخدام غاز يسبب الدوار لشلّ الحراس هناك، ووضع عبوات ناسفة عند أعمدة المسجد[105].

وبعد أن وضعوا عدة عبوات ناسفة في حافلات عربية، نجح جهاز الشاباك بمعرفة أعضاء المنظمة، وألقى القبض عليهم، حيث مثل 25 منهم أمام القضاء، 10 منهم عملوا صفقة، بينما أدين 15 آخرين بتهمة القتل والانتماء لمنظمة إرهابية، وضرب العرب وامتلاك السلاح. وقد بدأت حملة جماهيرية إسرائيلية، بعد فترة قصيرة من وجودهم في السجن، من أجل إعطاء عفو عن "الشباب الطيب"، لتنتهي الحملة بتخفيف رئيس الدولة حاييم هرتسوغ الحكم عنهم.

أحد زعماء المنظمة، عيرا ربابورت، وجد ملجأ له في الولايات المتحدة بواسطة جواز سفره الأمريكي، نجا من الاعتقال وسافر في سنة 1983 إلى الولايات المتحدة،

[104] رضى سلمان، **إسرائيل–1984**، ص 99، نقلاً عن: **هآرتس**، 1984/7/20.

[105] **السبيل**، 1995/12/5، ص 8، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1995/11/24.

كمبعوث هجرة من قبل جوش أمونيم. وبعد ثلاث سنوات، توصل إلى اتفاق مع الشرطة الإسرائيلية عاد بموجبه إلى فلسطين المحتلة، ومثل أمام القضاء، وأدين حسب الصفقة القضائية بالسجن مدة ثلاثين شهراً، على الرغم من أنه اعترف في التحقيق أنه هو الذي وضع العبوة الناسفة في سيارة بسام الشكعة.

خرج ربابورت من السجن بعد 15 شهراً، بواسطة العفو الذي منحه الرئيس حاييم هرتسوغ لرجال منظمة الإرهاب اليهودي، وأصبح بعد إطلاق سراحه سكرتير مستعمرة شيلو التي يسكن فيها. وكان ربابورت قد أجرى مقابلة مع وسائل الإعلام الإسرائيلية، سئل خلالها كيف قرروا قتل ثلاثة رؤساء بلديات عرب، فأوضح: "لم نقرر وحدنا، حاخاميين عرفوا ما هو البرنامج، وصادقوا عليه". ومع ذلك، لم يُفتشْ أحد عن الحاخاميين، ولم يمثلوا أمام القضاء[106].

ثلاثة فقط من أعضاء المنظمة، أدينوا بقتل فلسطينيين وحكموا بالسجن مدى الحياة، غير أن هرتسوغ أمر بتخفيض مدة العقوبة سنة 1988، عن عوزي شربف وشاؤول نير ومناحيم ليفني إلى السجن 15 عاماً، لمناسبة الذكرى السنوية الأربعين لقيام "دولة إسرائيل"[107].

وكان هرتسوغ قد خفض من مدة حكم أعضاء المنظمة الآخرين بعد سنة من صدورها، ومنهم أوري مئير الذي حكم بالسجن لمدة 20 شهراً سجناً فعلية و18 شهراً مع وقف التنفيذ، فخفض الرئيس من حكمه الثلث، وحصل على عفو خاص أعفاه من آخر ستة شهور[108].

وفيما يلي أسماء أعضاء التنظيم اليهودي "أبناء صهيون"، والتهم الموجهة إليهم وعقوباتهم:

- المتهم الأول مناحيم ليفني، 37 عاماً، مهندس من مستعمرة الحي اليهودي في مدينة الخليل، ونائب قائد سرية في سلاح الهندسة في قوات الاحتياط، وهو رئيس رابطة

[106] **القبس**، العدد 5756، 1998/5/22، ص 18.

[107] **الوطن**، الكويت، 1985/9/13، ص 9.

[108] بتصرف عن: يوسف مرار، **مرجع سابق**، ص 107-117؛ ومجلة **الصخرة**، حركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح، الكويت، العدد 152-153، 1987/7/28.

تجديد الاستيطان في مدينة الخليل، ويعدّ الشخص المركزي في التنظيم، والمبادر في التخطيط لكافة العمليات، وهو نفسه الذي وجّه ودرّب الآخرين. وبناء على مخططاته، أرسلت كافة الخلايا التي قامت بمحاولة اغتيال رؤوساء البلديات، كما أعدّ بنفسه العبوات التي استخدمت في محاولة اغتيال رؤساء البلديات العرب، وهو الذي خطط للاعتداء على الجامعة الإسلامية في مدينة الخليل، وكذلك محاولة تفجير الباصات العربية. وهو الذي بادر وخطط لوضع قنابل يدوية مفخخة في مسجد بالخليل، ويُتهم بتنظيم معظم أعضاء التنظيم.

- المتهم الثاني يهودا عتصيون، 23 عاماً، ابن أبراهام منتس Avraham Mintz الذي يعدّ أحد كبار مؤسسي حركة جوش أمونيم، وهو الذي بادر عملياً بوضع نواة استيطانية قرب مستعمرة عوفرا، وانتخب عضواً في سكرتارية حركة جوش أمونيم، وشغل مناصب مركزية في هذه الحركة، خاصة في مجالي تنظيم المظاهرات وإقامة المستعمرات. وقد حُكِم عليه بالسجن الفعلي لمدة سبعة أعوام وثلاثة أعوام مع وقف التنفيذ، قضى منها ثلاثة أعوام في السجن فقط ثم عفى عنه الرئيس.
- المتهم الثالث شاؤول نير، 30 عاماً، مهندس معماري استوطن الحي اليهودي بالخليل، ويعدّ الشخص المركزي في تنفيذ كافة العمليات الإرهابية، وكان من الوحدات القتالية المختارة، وانضم إلى النواة الاستيطانية في مستعمرة شومرون.
- المتهم الرابع يشوعان بن شوشان، 34 عاماً، من سكان القدس، وهو ضابط في الجيش برتبة نقيب وقائد في قوات الدفاع اللوائي في إيلون موريه. وحُكِم بالسجن أربعة أعوام ونصف فعلية وعامين ونصف مع وقف التنفيذ، لكن عفى عنه الرئيس قبل انتهاء مدة عقوبته.
- المتهم الخامس إسحق غاني رام، 40 عاماً، وهو من أوائل المستوطنين مع الحاخام ليفنغر في الخليل. وقد حُكِم بالسجن لمدة عشرة أعوام، منها سبعة أعوام فعلية.
- المتهم السادس تصيون بن هنمن، 48 عاماً، من سكان مستعمرة سوسيا، ويعدّ شخصاً بارزاً جداً في كافة النشاطات الاستيطانية، واعتقل معه أخوه يعقوب وابنه بوعز. وحكم بالسجن لمدة ستة أعوام منها 45 شهراً فعلية، غير أن الرئيس عفى عنه بعد مرور عامين فقط على سجنه.

- المتهم السابع يعقوب هنمن، 36 عاماً، من سكان مستعمرة سوسيا، وهو طيار احتياط في سلاح الجو الإسرائيلي. وحكم بالسجن خمسة أعوام منها أربعون شهراً فعلية، وقد أطلق سراحه قبل انتهاء مدة عقوبته.
- المتهم الثامن دان بئيري، 40 عاماً، من أصل فرنسي وهو كاثوليكي، وصل فلسطين قبل 28 عاماً، ومنذ ذلك الحين وهو يدرس التوراه ويقوم بنشاطات اجتماعية، ويعيش في الحي اليهودي في القدس. وقد حُكِم بالسجن ثلاثة أعوام فعلية وعامين مع وقف التنفيذ، لكن أطلق سراحه قبل انتهاء مدة العقوبة.
- المتهم التاسع جلعاد بلائي، 36 عاماً، من مستعمرة كيشيت Keshet في هضبة الجولان. وقد حُكِم بالسجن لمدة عشرة أعوام، لكن المحكمة العليا خفضت الحكم إلى أربعة أعوام ونصف فعلية، وأطلق سراحه قبل انتهاء المدة.
- المتهم العاشر زئيف فريدمان، 33 عاماً، ضابط احتياط في سلاح المدرعات، وقد عللت المحكمة حكمها المخفف بحالته الصحية المتدهورة في حينه، حيث قالت إنه يعاني من مرض خبيث. وبعد إطلاق سراحه، عُيِّن مديراً عاماً لشركة ترميم الحي اليهودي في الخليل، ذلك المنصب الذي شغله مناحيم ليفني، قائد التنظيم الإرهابي. وكان قد حُكِم بالسجن 11 شهراً فعلية و25 شهراً مع وقف التنفيذ.
- المتهم الـ 11 حاييم بن ديفيد، 32 عاماً، يقطن في مستعمرة كيشيت في هضبة الجولان. وقد حُكِم بالسجن لمدة خمسة أعوام منها أربعون شهراً فعلية، لكن أطلق سراحه بعد قضاء عامين وأربعة أشهر.
- المتهم الـ 12 عوزي شربف، 34 عاماً، متزوج من ابنة ليفنغر ويعيش بجانبه في الحي اليهودي في الخليل، وهو جندي في الوحدات المقاتلة، وحُكِم بالسجن المؤبد.
- المتهم الـ 13 باراك نير، 25 عاماً، من مستعمرة رامات أشكول Ramat Eshkol، وهو الأخ الأصغر للمتهم الثالث الذي نظمه ليقود السيارة التي استخدمت بالاعتداء المسلح على الجامعة الإسلامية في الخليل. وقد حُكِم بالسجن لمدة عشرة أعوام منها ستة أعوام فعلية.
- المتهم الـ 14 أوري مئير، 36 عاماً، يقطن في مستعمرة رامات مغشيميم Ramat Magshimim، في هضبة الجولان، ويتهم بشراء مغناطيسيات لتثبيت العبوات الناسفة في سيارات رؤساء البلديات. وقد حُكِم بالسجن لمدة عامين ونصف وأطلق

سراحه قبل انتهاء مدة عقوبته، حيث أصبح مسؤول التصنيع في مستعمرات قطاع غزة.

- المتهم الـ 15 بوعز هنمن، 23 عاماً، يقيم في مستعمرة نوب، ويملك زريبة خراف، حفر فيها حفرة كبيرة لتكون مخزناً للمتفجرات. وقد حُكِم بالسجن لمدة خمسة أعوام منها ثلاث فعلية، وأطلق سراحه بعد عام وتسعة أشهر فقط.
- المتهم الـ 16 أيندوهم كترئيلي، 26 عاماً، من سكان تل أبيب، وجهت له تهمة شراء كواتم صوت بهدف استخدامها في محاولة نسف المسجد الأقصى، وبعد إطلاق سراحه، جرى تعيينه مديراً لمكتب استيعاب المستوطنين، وهو مكتب مشترك لحركة جوش أمونيم ومجلس المستوطنات في الضفة والقطاع. وقد حُكِم بالسجن لمدة 15 شهراً، وتمّ الإفراج عنه بعد أن تقرر تقليص مدة محكوميته إلى الثلث لسلوكه الحسن.
- المتهم الـ 17 يوسف تسوريا، 25 عاماً، يقطن في مستعمرة رامات هشارون Ramat Hasharon. وقد حُكِم بالسجن لمدة ثلاثة أعوام فعلية ومثلها مع وقف التنفيذ، قضى منها 15 شهراً.
- المتهم الـ 18 مناحيم نويبرجر، 28 عاماً، يقطن مستعمرة سوسيا، وهو صهر الزعيم الروحي لحركة جوش أمونيم، عضو الكنيست الحاخام إليعزر فلدمان. وقد حُكِم بالسجن لمدة 40 شهراً، منها 22 شهراً فعلية، وتمّ الإفراج عنه قبل انتهاء مدة عقوبته.
- المتهم الـ 19 نوعم ينون، 27 عاماً، يقطن مستعمرة كيشيت، وهو متهم بإعداد المواد المتفجرة التي وضعت في شركة باصات قلنديا العربية، وحكم بالسجن لمدة عام ونصف.
- المتهم الـ 20 يهودا كوهين، 25 عاماً، يقطن مستعمرة عوفرا، وهو متهم بإعداد المتفجرات التي كان الهدف منها نسف الجامع القبلي وقبة الصخرة المشرفة، وحكم بالسجن لمدة 15 شهراً.
- المتهم الـ 21 يوسي أدري، 23 عاماً، مهندس كهربائي يقطن مستعمرة كرني شومرون، ووفقاً للائحة الاتهام فإنه هو الذي اشترى الساعات التي استخدمت لإعداد العبوات الناسفة التي وضعت في الباصات العربية. وقد حكم بالسجن لمدة 40 شهراً منها 25 شهراً فعلية قضى منها 16 شهراً.

- المتهم الـ 22 موشيه زار، 47 عاماً، يقطن مستعمرة كرني شومرون، وهو أحد أكثر المتهمين شهرة وذلك لنشاطاته الخاصة بشراء الأراضي في الضفة الغربية واستخدامه العنف في ذلك، وقد ارتبط اسمه بقضايا مختلفة منها الابتزاز والرشوة. ووفقاً للائحة الاتهام، فقد قام مع نتان نتنزون وعبرا رففورت بوضع العبوة الناسفة في سيارة بسام الشكعة. ومع كل ذلك، حكم بالسجن لمدة ثلاثة أعوام فعلية وعامان مع وقف التنفيذ، قضى من مدة محكوميته أربعة أشهر فقط بناء على تقارير طبية.
- المتهم الـ 23 حجاي سيغل، 27 عاماً، من مستعمرة عوفرا، قام هو وإسحق نوفيك ويوسي أبندور بوضع عبوة ناسفة في سيارة كريم خلف وعبوة أخرى على باب كراج إبراهيم الطويل وقد انفجرت العبوة الناسفة في سيارة كريم خلف وأدت إلى قطع رجله، وأدت العبوة الناسفة الأخرى إلى إصابة خبير المتفجرات سليمان خرباوي بالعمى. ومع ذلك، حكم بالسجن لمدة ثلاثة أعوام فعلية وعامان مع وقف التنفيذ.
- المتهم الـ 24 إسحق نوفيك، 36 عاماً، يقطن مستعمرة عوفرا، ووجهت له تهمة محاولة القتل، إذ كان سائق السيارة التي نفذت محاولة اغتيال رئيس بلديتي رام الله والبيرة. وقد حُكِم بالسجن لمدة خمسة أعوام منها ثلاثة فعلية، وقد أفرج عنه قبل انتهاء مدة محكوميته.
- المتهم الـ 25 نتان نتنزون، 27 عاماً، يقطن مستعمرة شيلو، وقد وجهت إليه تهمة قتل شاب من قرية سنجل قضاء رام الله، وإطلاق النار على أطفال كانوا يلقون الحجارة، واعتقل على أثر ذلك لعدة أيام وأطلق سراحه بحجة عدم توفر الأدلة الكافية لإدانته، واتهم أيضاً بسجن شاب عربي داخل صندوق سيارته، واتهم بمحاولة اغتيال بسام الشكعة. وقد حُكِم بالسجن لمدة خمسة أعوام، منها ثلاثة أعوام فعلية.
- المتهم الـ 26 شلومو لفيتان، 34 عاماً، يقطن مستعمرة شيلو، وهو ضابط برتبة رائد يشغل رئيس الفرع الاقتصادي في الحكم العسكري بالضفة الغربية، ووجهت إليه تهمة المشاركة بمحاولة اغتيال رؤساء البلديات. وقد حكم بالسجن لمدة عام قضى منه ثلاثة أشهر فقط.
- المتهم الـ 27 آهارون أوني جيله، 35 عاماً، يسكن مستعمرة رامات أشكول بالقدس، وكان مساعداً للحاكم العسكري في رام الله، واتهم بضلوعه في محاولة اغتيال رؤساء البلديات، وكان على معرفة بأن العبوة الناسفة التي كانت موضوعة على باب كراج

سيارة إبراهيم الطويل قد تودي بحياة خبير المتفجرات سليمان خرباوي، ويتهم أيضاً بأنه على الرغم من وجوده قرب خرباوي لم يحذره من الاقتراب من العبوة الناسفة. وقد حُكِم بالسجن لمدة 15 شهراً[109].

من بديهية البديهيات أن لا تكون محاكمة الإرهابيين مماثلة لمحاكمة العرب، فالمتهم يهودي والقاضي يهودي، والتهمة: القيام بأعمال إجرامية ضدّ العرب ومقدساتهم وممتلكاتهم، فماذا ستكون الأحكام؟ وخاصة أنهم يعدّون "أبطالاً قوميين وشباناً ممتازين" في نظر الكثيرين من أبناء عرقهم وجنسهم، وليس أدل على ذلك من مؤتمرات التضامن معهم، وجمع التبرعات لهم ممن يسيرون على الأيديولوجية نفسها، والقيام بزياراتهم، بل "الحج" إلى سجنهم في تلموند كما فعل الوزير يوفال نيئمان، حيث اقترح تعيين الإرهابي رقم واحد مناحيم ليفني، مديراً عاماً لوزارة إسرائيلية. وكما فعل ستون حاخاماً من كبار حاخامات اليهود، من ضمنهم الحاخامان الأكبران والحاخام عوفديا يوسف الذين توجهوا إلى رئيس الوزراء ووزير الشرطة، مطالبين العفو عن أعضاء التنظيم الإرهابي، وقالوا بأنهم قلقون على أولئك الشبان الممتازين، بينما وصفهم مناحيم بيغن، "الأبناء الأعزاء"، وقال إسحق شامير، بأنهم فرطوا كثيراً بمحبتهم لـ"دولة إسرائيل"[110].

فيما قال الحاخام مئير كهانا، إن المعتقلين قاموا بأعمال مقدسة وتجب مساعدتهم "ومن المؤسف الإقدام على توقيفهم"، ودعا الحاخام ليفنغر إلى إطلاق سراحهم لأنهم "فعلوا ما كان يجب أن تفعله الحكومة، ودافعوا عن الدم اليهودي"، فإن الوزير يوفال نيئمان الذي زار المعتقلين وتحدث إليهم طوال ساعتين عن نشاطات الحكومة في نطاق أمن المستعمرات، قال لدى خروجه من السجن أنه لا ينظر إلى الموقوفين كأعضاء منظمة إرهابية، بل "بصورة عامة كأعضاء تنظيم غير مرخص، أنشىء لعمليات دفاعية"[111].

التنظيم اليهودي الثاني الذي أعلنت سلطات الاحتلال عن إلقاء القبض على أفراده كان يسمى "تنظيم أبناء يهودا"، وأفراده من حركة كاخ، وكان يقوم بعملياته تحت

---

[109] يوسف مرار، **مرجع سابق**، ص 121.

[110] رضى سلمان، **إسرائيل–1984**، ص 98-99، نقلاً عن: **هآرتس**، 1984/6/15 و1984/7/12 و1984/9/10.

[111] رضى سلمان، **إسرائيل–1984**، ص 95، نقلاً عن: **هآرتس**، 1984/3/27.

اسم "الإرهاب ضدّ الإرهاب" وقد وجهت إحدى المحاكم الإسرائيلية مذكرات اتهام ضدّ أربعة من أعضاء التنظيم، وهم: مئير ليبوفيتش Meir Leibowitz، وليفي حزان Levy Hazan، ويهودا ريختر Yehuda Richter، ومايك جوزوفسكي المعروف باسم يكوتيئيل بن يعقوب Mike Guzovsky (Yekutiel Ben-Ya'acov)، حيث اتهم هؤلاء بارتكاب الجرائم التالية: مهاجمة حافلة ركاب عربية في القدس الشرقية في شهر آذار/ مارس 1984، أدت إلى جرح ستة من العمال العرب، وإحراق مكتب هيئة تحرير صحيفة الفجر في القدس الشرقية، وإحراق سيارات عربية في الخليل والقدس، وإلقاء قنابل حارقة على عرب في أحد أحياء البيرة[112].

محكمة في القدس، حكمت على يهودا ريختر بالسجن خمس سنوات فعلية بالإضافة إلى ثلاث سنوات أخرى مع وقف التنفيذ، وذلك بعدما أدانته بالإرهاب والتآمر. كما حكمت على ليفي حزان بالسجن سنة ونصف، ومئير ليبوفيتش ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. وقد أدين ريختر بمحاولة القتل، لأنه أطلق النار على الحافلة التي كانت تقل عمالاً عرباً، بينما برأت مايك جوزوفسكي وذلك على الرغم من شهادة شركائه[113].

أما التنظيم اليهودي الثالث، فقد عرف في الإعلام باسم "المتعصبون"، وضمّ مجموعتين: مجموعة لفتا ومجموعة عين كارم. وقد اعترف أعضاء هذا التنظيم بأنهم وضعوا قنابل وعبوات ناسفة مفخخة في مبانٍ دينية إسلامية ومسيحية في منطقة القدس، إلى جانب إطلاق النار على راهب مسيحي في منطقة عين كارم. وتبين من التحقيق مع ثلاثة من أعضاء مجموعة عين كارم، وهم ديفيد درعي وعميرام درعي وأوري بن عيون، أن القنابل التي استخدمتها المجموعة سرقت من قاعدة الجيش الإسرائيلي في البقاع اللبناني[114].

وفي سياق متصل، أطلق المستوطن ديفيد بن شيمول، وهو من تنظيم يدعى "المنتقمون" وكان في حينه جندياً في الجيش الإسرائيلي، صاروخاً باتجاه حافلة تقل فلسطينيين في الشطر الشرقي من مدينة القدس يوم 1984/10/28، مما أدى إلى

---

[112] رضى سلمان، **إسرائيل–1984**، ص 100-101، نقلاً عن: **هآرتس**، 1984/11/11، و**دافار** 1984/11/23.

[113] رضى سلمان، **إسرائيل–1984**، ص 95، نقلاً عن: **دافار**، 1984/4/11، و**هآرتس**، 1984/4/22.

[114] **الرأي**، العدد 12742، 2005/8/10، ص 61.

استشهاد مواطن وإصابة عشرة آخرين. وروى بن شيمول، بعد ارتكابه الجريمة، أنه سرق السلاح من القاعدة التي كان يخدم فيها. ومع أنه حكم على بن شيمول بالسجن المؤبد، إلا أنه أطلق سراحه، بعد أن قضى 11 عاماً في السجن بدعوى "حسن سلوكه" خلال فترة سجنه[115].

ثلاثة مستوطنين من القدس، ومن أعضاء تنظيم المنتقمون، هم: ميخال هيلل Michal Hillel، وغيل فوكس، ودان ايزنمان نفذوا عملية قتل سائق سيارة الأجرة خميس توتنجي في الشارع الجديد المتجه إلى مستعمرة معاليه أدوميم، بواسطة بندقية إم–16 تابعة للجيش الإسرائيلي[116].

أما أن يلقي أحد المستوطنين في القدس قنبلة على الفلسطينيين في سوق مزدحم، وعن سبق إصرار وتخطيط، فهي مسألة لا تحمل تفسيراً سوى أنها جريمة مغموسة بالدم، فأولئك المستوطنين لم يكتفوا بالاستيطان في بيوت العرب بالقوة، بل يريدون قتلهم وسفك دمائهم، في حالة تعبير عما يعتمل في قلوبهم من حقد أسود على كل ما هو فلسطيني من الأرض إلى البيت إلى الإنسان، وإلا ما تفسير هذه المجزرة؟

في الساعة 1:15 من ظهر يوم الإثنين الموافق 1992/11/16، بينما كان سوق اللحامين في البلدة القديمة من القدس، يعجّ بالباعة والمشترين العرب، وبالكاد يجد الإنسان مكاناً ليضع قدمه، ألقى أحد المستوطنين قنبلة يدوية من سطح أحد البيوت، التي استولى عليها المستوطنون بالقوة، دخلت من شباك السوق، لترتطم بالأرض وتحدث انفجاراً قوياً وغباراً كثيفاً، الأمر الذي أدى إلى استشهاد التاجر المسنّ عبد الرزاق عبد الرحمن أدكيدك (70 عاماً)، وإصابة سبعة آخرين بجراح.

المواطنون والتجار في سوق اللحامين قاموا بنقل الجرحى في العربات التي تستخدم لنقل اللحم والخضار، ودماؤهم تنزف على الأرض، راسمة معالم المجزرة إلى باب الخليل، بعد أن رفضت الشرطة الإسرائيلية السماح بنقلهم بالسيارات العمومية إلى المستشفيات. وبعد لحظات، انتشرت قوات حرس الحدود في أماكن متعددة من القدس،

---

[115] **القدس**، 1993/11/30، نقلاً عن: إيتان رابين، **هآرتس**، 1993/11/29.

[116] **البيادر السياسي**، العدد 521، 1992/11/21، ص 14-16.

وأغلقت المكان، وتمّ توقيف العديد من العرب بالطبع، مع أنه لا يمكن لأي عربي أن يصعد إلى سطح ذلك المنزل الذي ألقت منه القنبلة، حيث يوجد حارس إسرائيلي على مدار 24 ساعة.

وتعددت روايات شهود العيان، وأجمعت على شيء واحد، أن المستوطنين فعلوها. وبالفعل، لم تكد تمضي نصف ساعة حتى أعلنت صحيفتا حداشوت والجيروزاليم بوست الإسرائيليتان أنهما تلقتا اتصالاً هاتفياً من مجهول يعلن أن حركة "كهانا حي" انتقمت لمقتل الحاخام مئير كهانا في الذكرى السنوية الثانية لمقتله[117].

الشرطة الإسرائيلية قالت إنها وجدت صعوبة في الوصول إلى المجرمين، مع أن أنصار حركة كاخ معروفون لديها، علماً بأن هؤلاء سبق وقاموا بأعمال إجرامية ضدّ الفلسطينيين في مختلف مناطق الضفة الغربية، وأصابع الاتهام وجهت للعديد منهم بقتل فلسطينيين بدم بارد. ومن ذلك، إطلاق بنحاس فالرشتاين النار من بندقية "عوزي" كانت بحوزته، على عرب يوم 1985/1/15، مما أسفر عن استشهاد شاب وإصابة آخر من قرية بيتين. وإطلاق نحشون فولس Nachshon Walls، من مستعمرة كريات أربع، النار على سيارة كانت تقودها عزيزة سالم جابر مما أسفر عن استشهادها. وكذلك، إطلاق باروخ يلين، من مستعمرة سوسيا، النار على راعٍ عربي وأرداه قتيلاً في 1991/3/8[118].

استغرقت تحقيقات الشرطة الإسرائيلية ثمانية أشهر إلى أن أعلنت، في 1993/7/1، عن اعتقال أربعة فتية من أنصار كهانا اعترفوا بارتكابهم الجريمة بعد أن "سرقوا" القنبلة من سيارة جيب عسكرية نقلتهم من بيسان إلى أريحا. وجاء في حيثيات قرار الحكم الصادر عن المحكمة المركزية بالقدس، في بداية شهر كانون الثاني/ يناير سنة 1995، أنه ثبت بصورة قاطعة أن المتهمين الأربعة ارتكبوا جريمة القتل مع سبق الإصرار. بل إن المتهم الأول، الذي ألقى القنبلة، لم يبدِ أي ندم على فعلته، وقال إن عملية قتل عرب تعدّ عملاً مقدساً.

---

[117] **البيادر السياسي**، العدد 598، 1995/1/7، ص 22.

[118] **النهار**، القدس، العدد 2568، 1994/4/22، ص 7.

ويستدل من إفادات الأربعة أنهم انضموا سنة 1991 إلى حركة "كهانا حي"، التي انفصلت عن حركة كاخ، برئاسة بنيامين زئيف كهانا، ابن الحاخام مئير كهانا، وفي نطاق هذه الحركة الجديدة أقاموا "دورية الانتقام" لتحقيق أهداف الحركة، وهي قتل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، ودبّ الرعب في قلوبهم، ليضطروا إلى الهجرة، وبالتالي توطين يهود في المنازل العربية.

وكان الأربعة قد التقوا قبل الحادث بأسبوع في القدس الغربية، واتفقوا على أن يتمّ اختيار دور كل واحد منهم في الجريمة بالقرعة، بعد أن كتبوا على أربع أوراق المهمة المطلوبة، بحيث سحب الواحد تلو الآخر ورقة ليعرف المهمة الملقاة على عاتقه. وكانت الأدوار موزعة على النحو التالي: الأول يتولى إلقاء القنبلة، والثاني مهمته أعمال رصد ومراقبة، والثالث التأكد من أن سوق اللحامين خالٍ من اليهود، أما الرابع فألقي على عاتقه دور الاتصال بالإعلام. كما اتفق الأربعة على القيام بجولة في الموقع لاختيار المكان المناسب لإلقاء القنبلة والقيام بأعمال الرصد اللازمة. وفي ختام هذه الجولة التي جرت في الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل، عادوا إلى مقر حركة "كهانا حي"، لوضع الخرائط والخطط اللازمة لارتكاب الجريمة، والفرار دون أن يتركوا أثراً لتورطهم. وفي يوم الجريمة وصل ثلاثة من المتهمين في ساعات الصباح إلى حائط البراق، وبحوزة كل واحد منهم مئة شيكل (حوالي 41 $)[119] ليستقلوا حافلة إلى تل أبيب بعد ارتكاب الجريمة، أما الرابع فوصل متأخراً.

أحدهم انتظر قرب هاتف عمومي ومعه قائمة بأسماء "مراسلين لشؤون الشرطة"، في حين لاحظ الاثنان اللذان تولا المراقبة قبل إلقاء القنبلة بلحظات مرور دورية راجلة من حرس الحدود، ثم مرت امرأة يهودية تجر طفلها بعربة أمامها. وبعد أن اختفت المرأة عن الأنظار، ألقى المتهم الأول بالقنبلة، التي لفت بالمسامير لكي تودي بحياة أكبر عدد ممكن، من أعلى سطح سوق اللحامين على رؤوس العرب.

الأربعة هربوا إلى حائط البراق للتمويه على جريمتهم، وبعد أن أدوا الصلاة هناك، استقلوا سيارة أجرة إلى المحطة المركزية ومن ثم إلى تل أبيب. وفي الطريق، سمعوا من الراديو أن عربياً قتل وأصيب آخرون بجراح[120].

---

[119] تمّ احتساب سعر صرف الشيكل حسب أسعار سنة 1992.

[120] **البيادر السياسي**، العدد 545، 1993/12/18، ص 24-25.

وبالرغم من أن حركة "كهانا حي" أخذت على عاتقها المسؤولية عن الجريمة، إلا أن الجهات الأمنية الإسرائيلية تواطأت مع المجرمين، وذلك بتقديمها نسخة معدلة من تسجيل لشهاداتهم، الأمر الذي انتقده قاضي المحكمة العليا في القدس، الذي اكتشف في أثناء المحاكمة أن شريط التسجيل كان مقطعاً، وتمّ عمل نسخة جديدة عن الأصل، بحيث أن أجزاء عديدة من شهادات المتهمين، الذين حظرت السلطات الإسرائيلية نشر أسمائهم وصورهم، كانت محذوفة[121].

ترك توقيع اتفاق أوسلو آثاراً كبيرة على المستوطنين معتبرين أن التوقيع بداية لفكفكة وجودهم في مستعمراتهم، حيث بدأوا محاربتهم للاتفاق بتنظيم مظاهرات ضخمة تجمعت من مختلف المستعمرات، والتقت أمام مباني الحكومة الإسرائيلية، ومنزل رئيس الوزراء، ومبنى الكنيست. وكثيراً ما وقعت مشادات كلامية وصلت حدّ المدافعة والملاسنة، بينهم وبين رجال الشرطة الإسرائيليين.

لم يكتفِ المستوطنون بالمظاهرات والمسيرات وإغلاقات الطرق، بل أخذوا يقومون بممارسات ضدّ الفلسطينيين أنفسهم، ودون خشية أو خوف من قوات الجيش وحرس الحدود، التي غالباً ما وقفت إما حامية ومدافعة عن المستوطنين أو مكتوفة الأيدي تجاه ما يقومون به من أعمال. ووصل الأمر حده الأخطر في مدينة الخليل، عندما أخذ المستوطنون يجوبون شوارع المدينة، ويطلقون النار على كل ما يتحرك فيها بشكل هستيري، فيما الجيش كان يراقب الوضع دون أن يفعل شيئاً. وهذا الأمر أدى إلى استشهاد طلال البكري (53 عاماً)، جراء إصابته برصاصات أطلقها مستوطنون عليه دون سابق إنذار.

رابين أخذ يوازن بين تطبيق التزامه فيما يتعلق بتوقيعه على اتفاق إعلان المبادئ في واشنطن، وشعبيته واستمراره في الحكم في ظلّ ضغوطات المستوطنين ومناصريهم من أحزاب المعارضة اليمينية. وقد اختار رابين في موازنته هذه التردد والتريث والمماطلة في تطبيق الاتفاق، واختلاق الاختلافات مع منظمة التحرير في مجمل مواضيع المفاوضات، باستثناء المفاوضات الاقتصادية التي رغب في استمرارها بشكل سريع لما سيحققه منها من أرباح وفوائد تعود على الاقتصاد الإسرائيلي.

[121] **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 17، شتاء 1994، ص 73، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**، 1994/2/27.

هذا التعنت الذي اختاره رابين دفع المستوطنين إلى القيام بخطوات أخرى، أشد عنفاً، من الخطوات السابقة، وذلك بأن أصبحوا ينفذون عمليات اغتيال بدماء باردة، فقتلوا خميس أبو عواد (54 عاماً)، من قرية ترمسعيا شمالي رام الله، في أثناء عمله في أرضه، كما قاموا بعدها باغتيال ثلاثة من ترقوميا بترصد وسبق إصرار. ولم يكتفوا بذلك، بل أن حركة كاخ تعهدت باستمرار الأعمال الانتقامية ضدّ الفلسطينيين، وبعد ذلك أعلنت منظمة تسمي نفسها "سيف داود" مسؤوليتها عن الحادث.

شاهد عيان على مقتل المواطنين الثلاثة من قرية ترقوميا، قال: عمل المواطنين الثلاثة وهم سعدي فطافطة وأخوه محمد، وابن عمهما إسحق في مهنة القصارة، وكان مركز عملهم عسقلان. وبعد ظهر يوم الجمعة 1993/12/10، عاد ثلاثتهم من مكان عملهم إلى بيوتهم في ترقوميا، شمالي غربي الخليل.

خالد العملة من قرية بيت أولا كان أول من وصل إلى مكان الحادث، قال:

قرابة الساعة الثانية ظهراً سافرت بسيارتي على الطريق الترابية إلى قريتي بيت أولا وبعد سيري حوالي 1.5 كم من مستوطنة روجليت، واجهتني سيارة مسرعة من طراز أودي 80 بلون بني فاتح يميل إلى الاحمرار وتحمل لوحة إسرائيلية، رأيت داخلها شاب حنطي اللون تبدو عليه علامات الخوف والارتباك، وكان يقود السيارة، ويجلس إلى جانبه شاب ممتلئ يلبس طاقية اليهود المتدينين، وقد تقدمت السيارة باتجاهي بسرعة جنونية وأُجبرت على النزول إلى حواشي الطريق، وشتمت السائق ظناً مني أن السيارة مسروقة. وواصلت السفر، وبعد 1.5 كم رأيت سيارة بيجو 504 تقف وسط الطريق، وقد أطلقت صافرة سيارتي لكي تبتعد غير أنها لم تتحرك، فنزلت من سيارتي لرؤية ماذا يحدث هناك، فرأيت أفظع منظر في حياتي، السائق سعدي غارق بدمه على مقود السيارة ورأسه محطم، المخ خارج الرأس ومتناثر على الزجاج، وقدماه ما زالت تضغط على كوابح السيارة، وقد جلس بجانبه أخوه محمد مصاباً بالرقبة والصدر وما زال الدم ينزف منه، الزجاج الخلفي للسيارة كان محطماً، وفي المقعد الخلفي، جلس إسحق وجسده مليء بآثار الطلقات النارية والسيارة كانت مليئة بالدم. أدركت فجأة، أن السيارة التي رأيتها هي سيارة يهود، وقاموا بعملية القتل البشع. وبجانب السيارة، كانت هناك كومة

من الطلقات الفارغة لرشاشات عوزي وإم 16، والقتل تمّ بإطلاق وابل كثيف من الرصاص من مسافة قريبة جداً، والاعتقاد أن مخزنين من الرصاص تمّ تفريغهما في السيارة وركابها.

اثنان من رعاة قرية خاراس المجاورة، اللذان كانا في منطقة الحادث، قالا لخالد العملة، أن يهوديين أبعداهما عن المنطقة، وشاهدوهما يوقفان سيارة سعدي وبدأوا بإطلاق النار على السيارة وركابها[122].

أما المجزرة التي حدثت في الحرم الإبراهيمي، وقالت سلطات الاحتلال أن مرتكبها هو مستوطن متطرف يدعى باروخ غولدشتاين دون أن يكون له شركاء أو معاونين، من الجنود والمستوطنين الآخرين، فإنها لم تكن مستبعدة لكل من يعلم ممارسات المستوطنين السابقة، وتستر الحكومات الإسرائيلية عليها، كما لم يكن مستبعداً تنفيذها في الخليل، خاصة في ظلّ التعصب الديني لدى مستوطنيها، الذين نشأوا على أنهم شعب الله المختار، وعلى أن غيرهم يجب أن يكون عبداً وخادماً لهم أو ميتاً.

وفي دفاعه عن غولدشتاين، وتبريره لما أقدم عليه، كتب أريل شارون:

إن خلفية العمل المجنون الذي قام الدكتور باروخ غولدشتاين به، والتي لا تبرر العمل بأية حال من الأحوال، واضحة. عندما يصبح أمن المواطنين الإسرائيليين مستباحاً، عندما تجرنا حكومة إسرائيل إلى أسفل الدرك وتدمر، بيديها، المشروع الصهيوني وأسس الدولة اليهودية، فلا عجب في أن يفقد اليهود الأمل، وأن يفقدوا كل اتجاه وضبط للنفس[123].

الرواية الإسرائيلية الرسمية تقول إن باروخ غولدشتاين اقتحم المسجد الشريف، وفتح النار من سلاحه الأوتوماتيكي صوب قرابة ألف فلسطيني كانوا يؤدون صلاة الفجر، مما أدى إلى استشهاد 29 وإصابة 125 آخرين. وبالرغم من أن الحكومة الإسرائيلية وسلطات الحكم العسكري أكدت، المرة تلو المرة، أن غولدشتاين كان الوحيد الذي أطلق النار على المصلين، إلا أن شهادات الجرحى وشهود العيان تدحض

[122] **البيادر السياسي**، العدد 557، 1994/3/12، ص 12-14.

[123] **النهار**، القدس، العدد 2639، 1994/7/2، ص 1.

هذا الادعاء، وتؤكد مشاركة الجنود والمستوطنين في المجزرة، وأن الأمر كله عبارة عن إرهاب منظم، شارك فيه آخرون جرى التغطية عليهم، نظراً لردود الفعل العنيفة على الجريمة.

إمام الحرم الإبراهيمي الشريف، الشيخ عادل إدريس، قال في شهادته:

في أثناء الصلاة، شاهدت مستوطناً يقتحم المسجد حاملاً قنابل وبندقية من طراز جليلي، وعندما كنا راكعين، خاشعين لله سبحانه وتعالى، ألقى المستوطن الذي كان يرتدي البزة العسكرية بقنابل نحو المصلين، ثم أخذ يطلق النيران الأوتوماتيكية بصورة عشوائية، وقد أصيب كثيرون من المصلين وسقطوا على الأرض، وواصل إطلاق النار رغم إصابة العديد. وشاهدت خلفه عدداً من المستوطنين الذين ساعدوه وزودوه بأمشاط الرصاص ودافعوا عنه. وفي كل مرة حاول [فيها] المصلون الوصول إلى المجرم، كان المستوطنون يصدونهم إلى الوراء. شاهدت مستوطناً يسلمه مشطاً بعد أن فرغت الذخيرة من سلاحه، ثم لاذوا بالفرار، وعندئذ انقض الشباب عليه وقتلوه.

وقال حاتم قفيشة في شهادته أيضاً:

وصلت إلى الحرم لأداء صلاة الفجر عبر باب السليماني، الذي يؤدي إلى ساحة النبي إسحق داخل المسجد. حينما خلعت حذائي شاهدت جندياً إسرائيلياً قد وصل من الجانب الآخر، حاملاً سلاحاً وأمشاطاً مربوطة بشريط. وقد دفعني بقوة، ودخل راكضاً إلى جهة المسجد اليمنى، حيث غصّ بمئات المصلين. لذت بالفرار عندما أخذ المستوطن يطلق النار على المصلين، ولكنهم انهالوا علي بالضرب. وبعد أن أفلحت في الهرب منهم، ركضت إلى خارج الحرم، وأبلغت مجموعة أخرى من الجنود بالأمر، لكنهم أمروني بالوقوف قرب الحائط وعدم التحرك. وقد استمر إطلاق النار ما بين سبع وعشر دقائق، وعندما توقف الرصاص، دخل الجنود ومعهم المستوطنين المسلحين. وداخل الحرم، شاهدت شباناً يهاجمون باروخ غولدشتاين، عندئذ أطلق الجنود والمستوطنون النار لإنقاذه مما أدى وقوع إصابات عديدة بين المصلين، بينما قتل المستوطن نتيجة ضربة بجهاز إطفاء الحريق. وقد شاهدت المؤذن، الشيخ جميل النتشة، وهو يحاول إخلاء الجرحى، ولكن

بعد مضي بضعة دقائق أصيب في رأسه ومات على الفور. لا أدري من قتله، ولكن الشيء الأكيد أن ذلك حدث بعد قتل غولدشتاين.

مهند محمد أبو عيشة، من ترقوميا أصلاً، وأدخل إلى المستشفى الأهلي بالخليل إثر إصابته، قال:

كنا راكعين حينما تعرضنا لوابل من الرصاص من الخلف. سقطت على الأرض ولم أستطع الحركة، وبعد أن توقف إطلاق النار، شاهدت جنوداً ومستوطنين يدخلون إلى المسجد، وهم يطلقون النار في جميع الاتجاهات، وقتلوا الشيخ جميل النتشة. المجرم غولدشتاين حاول الهرب، وحينئذ انقض عليه عدد كبير من المصلين وقتلوه. زحفت نحو الباب ورأيت تسعة قتلى على الأقل خارج المسجد، يبدو أن الجنود والمستوطنين قتلوهم حينما حاولوا الهرب.

أما ثائر الجعبري، فقد أضاف:

عندما كنا راكعين، دخل جندي راكضاً إلى المسجد، وألقى قنبلة يدوية، ثم اختبأ خلف العمود، وأخذ يطلق النار من رشاش أوتوماتيكي، وتطايرت شظايا الرصاص في كل الاتجاهات، وانبطح المصلون على الأرض. شاهدت أربعة شبان يحاولون الهرب من الباب، ولكن الجنود الذين وقفوا في الخارج قتلوهم، أقسم بالله أن هذا ما رأيته. وعندما غادرت المسجد شاهدت الجنود يطلقون النار حتى على الجرحى.

ويقول شريف بركات زاهدة، شقيق الشهيد سليمان زاهدة، في شهادته أيضاً:

لم تكن [تكد] تمضي دقيقة على بدء الصلاة حتى سمعت شخصاً يصيح باللغة العبرية: هذه نهايتكم، ولكن المصلين ظلوا راكعين، خاشعين، إلى أن بدأ وابل من الرصاص. وقد أصيب الشخص الذي كان بجواري، وتطاير دماغه من رأسه، وتعالت صيحات الله أكبر، وشاهدت عدداً كبيراً من الناس ينقضون على جندي إسرائيلي كان يطلق النار من خلف عمود... صبي في الـ 12 كان يقف إلى جانبي سقط شهيداً. ورغم إصابتي بجراح، نجحت في الوصول إلى الباب، لكن الجنود الذين وقفوا هناك، هددوني بالسلاح، وأطلقوا النار داخل المسجد، وأصابوا كثيرين. كما شاهدت خمسة مستوطنين اختبأوا في إحدى الزوايا من الجهة اليمنى.

ويؤكد الجريح حربي أبو صبيح، الذي أصيب بيده، وهو من سكان القدس، أن الجنود الإسرائيليين شاركوا في المجزرة بإطلاق النار مباشرة على الناجين من رصاص غولدشتاين، حيث قال: "قبل إطلاق النار، سمعت شخصاً يصيح: هذه نهايتكم، باللغة العبرية. وعندما أطلقت النيران، انقطع التيار الكهربائي. حاولت الهرب بعد أن أصبت، لكني شاهدت الجنود يطلقون النار باتجاه الذين هربوا، بينما كان العديد من القتلى والجرحى مستلقين على الأرض"[124].

منظمة سيف داود، عادت للعمل من جديد، حيث أقدمت عناصر منها على إطلاق النار على هود صالح توفيق أبو سنينة (31 عاماً)، وهو من سكان حيّ سلوان في القدس، وعثر على جثته يوم 1994/7/1، في سيارة بغابة قريبة من مدينة القدس. وقد أكد شخص مجهول، أعلن انتماءه إلى هذه المنظمة، في اتصال هاتفي مع الإذاعة الإسرائيلية، أنه قتل الشاب أبو سنينة انتقاماً لمصرع إسرائيلي في تل أبيب[125].

وفي 1995/9/8، قام مستوطنون، لم يتمّ الكشف عن هوياتهم أيضاً، ينتمون إلى منظمة سيف داود كذلك، بدخول عدة منازل في مدينة حلحول، وهم يرتدون أقنعة الغاز والزي العسكري الإسرائيلي. وفي المنزل الأول، العائد لأسرة الزماعرة، قيدوا حسين الزماعرة، ثم أطلقوا الرصاص على ابنه سليمان الزماعرة (25 عاماً) عند وصوله. وفي منزل آخر، ضرب المجرمون عمر ملحم الذي أصيب بكسر في يده، وياسر أبو ريان الذي تعرض للضرب، ثم اقتادوه إلى وادٍ صغير مجاور، حيث عثر عليه بعد ساعات عدة[126].

تنظيم آخر لم يتمّ الكشف عن أعضائه أو تركيبته، ولكن الشرطة الإسرائيلية قالت إنها اعتقلت أحد أعضائه، ويدعى إيال لكينان (25 عاماً)، بتهمة التحضير لقصف الجامع القبلي وقبة الصخرة. ومع أن، لكينان اعترف بأنه كان يعتزم إطلاق قذيفة آر بي جي على المسجد الأقصى، وتدرب لهذه الغاية بإطلاق قذائف على حطام سيارات في أرض خلاء، وقام بتجربة أخرى لإلقاء القذيفة في بناء مهجور بالقرب من مدينة تل أبيب، كما أن الشرطة عثرت في منزله على أسلحة وصور لفلسطينيين

---

[124] **الرأي**، العدد 9142، 1995/9/9، ص 26.

[125] **الشرق الأوسط**، العدد 6212، 1995/12/1، ص 3.

[126] **القدس العربي**، العدد 2991، 1998/12/22، ص 5.

ملاحقين من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية، إلا أن قاضي محكمة القدس الجزئية اكتفى بإجراء فحص نفسي للمستوطن[127].

كان أحد المستوطنين في طريقه إلى وضع عبوة ناسفة في باب العمود، الذي يزدحم عادة بالفلسطينيين من القدس، يوم الأحد الموافق 1998/12/20، غير أن خللاً ما أدى إلى انفجار العبوة الناسفة التي أعدت يدوياً بواسطة أنابيب تمّ حشوها بالمتفجرات والمسامير، على مقربة من باب الحديد، وهو أحد أبواب البلدة القديمة المتاخم لشارع يافا. وقد دلت التحقيقات التي أجرتها الشرطة الإسرائيلية وجهاز الشاباك، على وجود صلة بين ذلك الانفجار الذي أدى إلى إصابة المستوطن بجراح وأربعة حوادث تفجيرات متشابهة وقعت خلال السنة نفسها، وكانت موجهة ضدّ تجمعات، أو مراكز فلسطينية في القدس، لم يتم حلّ لغز أي منها.

ففي 1996/11/7، انفجرت عبوة ناسفة وضعت عند المدخل الخارجي لمكاتب وزارة الداخلية الإسرائيلية، في شارع نابلس القريب من باب العمود، حيث تزدحم طوابير طويلة من المقدسيين يومياً أمام هذه المكاتب بانتظار الحصول على معاملات التسجيل الرسمية اللازمة. وقد أسفر انفجار العبوة عن إصابة أربع نساء فلسطينيات وطفلة رضيعة بجروح طفيفة.

وفي 1998/3/14، انفجرت عبوة ناسفة مشابهة، قرب كشك لبيع الصحف والمجلات في باب العمود، مما أدى إلى إصابة أربعة فلسطينيين بجروح مختلفة.

وفي 1998/7/14، انفجرت عبوة ناسفة، وضعت قرب مدخل بيت الشرق، ومدرسة دار الطفل للإناث الفلسطينيات في القدس الشرقية، مما أدى إلى إصابة معلم مدرسة بجروح بسيطة، عندما داس صدفة على كيس نايلون أخفيت فيه العبوة الناسفة[128].

وعلى الرغم من هذا الاكتشاف، واستمرار تحقيقات الشرطة وجهاز الشاباك، إلا أن السلطات الإسرائيلية لم تستطع أن تربط المستوطن الجريح والتنظيم الذي ينتمي إليه بمسلسل حوادث الطعن التي تعرض لها المواطنون الفلسطينيون في أنحاء مختلفة من

[127] **الرأي**، العدد 10115، 1998/5/19، ص 45.

[128] **القدس العربي**، العدد 2991، 1998/12/22، ص 5.

مدينة القدس، والتي أدت إلى استشهاد ثلاثة فلسطينيين وإصابة ستة آخرين بجروح، خلال مدة لا تزيد عن ستة أشهر. وقد وقعت جميع الهجمات قبل الفجر، واستهدفت فلسطينيين يتوجهون عادة إلى عملهم في ضواحي يهودية، أو بالقرب منها سيراً على الأقدام، مما أثار الذعر بين العمال الفلسطينيين، الذين بات كثير منهم يتوجهون إلى أعمالهم في مجموعات، وليس فرادى. ولقد جاءت تلك الحوادث على الشكل التالي:

- في 1998/2/17، طعن شاب فلسطيني في شارع بني داسوا، قرب حيّ مئة شعاريم للمتدينيين اليهود، وأصيب بجروح متوسطة الخطورة.
- في 1998/3/10، طعن شاب فلسطيني في شارع راشيت حكمه، وأصيب بجروح متوسطة.
- في 1998/3/12، طعن حسان كعابنة في حيّ مئة شعاريم، وأصيب بجروح متوسطة.
- في1998/4/29، طعن السائح الأردني وائل سروري في حيّ مئة شعاريم، وأصيب بجروح متوسطة.
- في 1998/5/3، طعن خيري علقم (51 عاماً) في شارع شموئيل هنبي، واستشهد متأثراً بجراحه.
- في 1998/5/7، طعن عامل بمخبز في شارع "بيت يسرائيل"، وأصيب بجروح بين المتوسطة والخطيرة[129].
- وفي 1998/12/8، قتل أسامه موسى النتشة في حيّ الثوري جنوب القدس القديمة، واعتقل أحد المستوطنين على خلفية ذلك، غير أن الشرطة الإسرائيلية أفرجت عنه، بدعوى أنها لم تجد إثباتات كافية لإدانته[130].
- أما آخر ضحايا هذا المسلسل الإرهابي، فقد كان الشهيد فايز زيتاوي (57 عاماً)، الذي قتل طعناً بالسلاح الأبيض، صباح يوم 1999/1/12، قرب حيّ مئة شعاريم أيضاً. وقد رفضت الشرطة الإسرائيلية التعليق على تقارير صحفية إسرائيلية، بأن فريقاً سرياً كان يراقب القاتل الغامض على بعد 300 متر، حيث رقد فايز زيتاوي، ينزف أكثر من ساعة، قبل أن يعثر عليه وينقل إلى المستشفى.

---

[129] **القدس العربي**، العدد 3012، 1999/1/14، ص 6.

[130] **فلسطين المسلمة**، العدد 8، آب/ أغسطس 2001، ص 22.

وقال المتحدث باسم الشرطة، إنها تعتقد أنها تتعامل مع قاتل ماهر يحسب حسابه، وهو يمسح المنطقة أولاً، ثم يضرب ضربته. ولكن وسائل الإعلام الإسرائيلية، قالت إن القاتل ترك في معظم الحوادث السكين وعلامات تشير إلى أن الهجوم من عمل يهودي[131].

جريمة جديدة اقترفتها التنظيمات الإرهابية خلال انتفاضة الأقصى، حين أطلق مستوطنون من سيارة خصوصية، مساء يوم الأربعاء 2001/6/13، النار باتجاه شاحنة، يستقلها أربعة فلسطينيين، كانوا يسيرون على طريق وادي النار، قرب معسكر للجيش الإسرائيلي مقام على أراضي قرية عناتا شمالي القدس، مما أسفر عن استشهاد عوني عبد الرؤوف علي الحداد (42 عاماً)، وهو أب لسبعة أطفال أصغرهم رضيعة عمرها ثمانية أشهر، وإصابة عواد أبو ميالة ونجليه طاهر وأحمد بجروح.

منظمة سرية يهودية أطلقت على نفسها اسم "كتائب جلعاد شيلهفت"، أخذت على عاتقها مسؤولية العمل الإجرامي، عبر بيان أرسل إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية. وجلعاد هو ضابط أمن مستعمرات شمال الضفة الغربية، قتل برصاص المقاومة الفلسطينية قبل عدة أسابيع من الجريمة، وشيلهفت هو مستوطن آخر قتل في مدينة الخليل قبل عدة أشهر.

وقبل أن تجف دماء مجزرة بيت لحم التي نفذتها طائرات حربية إسرائيلية ضدّ مجموعة من كوادر حركة حماس، قامت جماعة من المستوطنين تطلق على نفسها اسم "منظمة الأمن على الطرق"، معروفة بانتمائها لحركة كاخ، بتنفيذ مجزرة جديدة على مدخل بلدة إذنا، غرب مدينة الخليل، مساء الخميس 2001/7/19، حيث قامت بإطلاق النار على سيارة أجرة، مما أدى إلى استشهاد محمد سلامة الطميزي (22 عاماً)، ومحمد حلمي الطميزي (21 عاماً)، وضياء الدين مروان حلمي الطميزي (30 يوماً)، كما جرح بقية أفراد العائلة.

وكدليل أن عناصر حركة كاخ يمارسون عملهم دون أي مضايقات من قبل الجيش الإسرائيلي وأجهزة الأمن والمخابرات، أكد شهود عيان أن الرصاص أطلق من سيارة المستوطنين، بينما كانت ترافقها سيارة عسكرية إسرائيلية، لم تكتفِ بعدم التدخل

[131] **القدس**، العدد 11770، 2002/5/29، ص 4.

فحسب، بل قامت بمنع سيارات الإسعاف التابعة لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني من إسعاف المصابين[132].

التنظيم السري الذي أطلقت عليه الشرطة الإسرائيلية اسم "خلية بات عين" Bat Ein، نسبة إلى المستعمرة التي ينتمي إليها المتهمون الخمسة، الذين اعتقلوا وبحوزتهم ستة كيلو جرامات متفجرات ومواد ناسفة ورشاش عوزي و150 رصاصة، خطط لتنفيذ عمليات قتل جماعي ضدّ العرب في مدينة القدس.

وكُشف عن هذا التنظيم بمحض الصدفة في 2002/4/29، إذ اعتقل مجرمان خلال وضعهما عربة قرب مستشفى المقاصد الخيرية، المجاور لمدرسة البنات على جبل الزيتون بالقدس. واتضح وجود عبوة ناسفة كبيرة جداً في العربة، تتكون من برميلين للغاز وبرميل وقود، وثلاثة كيلو جرامات من البراغي، وقالبين من المواد المتفجرة من صناعة الجيش الإسرائيلي، وساعة توقيت تحدد موعد الانفجار بالساعة 7:35، وهي الساعة التي تصل فيها معظم البنات إلى المدرسة[133].

ويتضح من لائحة الاتهام التي قدمها الادعاء العام الإسرائيلي، أن الخلية مسؤولة أيضاً عن عملية تفجير عبوة ناسفة أخرى، استهدفت مدرسة صور باهر الإبتدائية للبنين جنوبي مدينة القدس، في 2002/3/5، وأدت إلى إصابة معلم وعشرة طلاب، إذ أن العبوة انفجرت في الساعة 7:55، وهو الوقت المحدد لاصطفاف الطلاب في الساحة، تمهيداً لدخولهم إلى الصفوف، مما يدل أن الذين وضعوها كانوا يقصدون تنفيذ مجزرة في المدرسة[134].

وبالرغم من مضي نحو ثماني سنوات على الجرائم التي ارتكبها التنظيم اليهودي السري الذي تبنى مسؤولية قتل تسعة فلسطينيين في 15 عملية، وأعلن عن نفسه في بيان أرسله إلى عدد من رؤساء المجالس الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولصحفيين باسم "مقاتلو مملكة إسرائيل"، إلا أن أجهزة الشرطة والأمن الإسرائيلية لم تتمكن، أو لم تعلن عن اعتقال أي من أعضائه.

---

[132] **القدس**، العدد 11776، 2002/6/4، ص 9.

[133] **القدس**، العدد 11752، 2002/5/11، ص 8.

[134] **الرأي**، 2003/8/28، ص 28، نقلاً عن: **يديعوت أحرونوت**.

في ذلك البيان، توعد التنظيم اليهودي السري بتنفيذ المزيد من العمليات الإرهابية، حيث جاء فيه: "عرب أرض إسرائيل انتهى زمنكم، أعدوا أكفانكم". كما أشاد البيان بالذين يرتكبون اعتداءات ضدّ العرب، وهاجم الشاباك، وتضمن أسماء أربعة مستوطنين اعتقلوا بتهمة ارتكاب جرائم ضدّ العرب واصفاً إياهم بـ"المقاتلين"[135].

وقد أوردت صحيفة يديعوت أحرونوت تفاصيل العمليات الإرهابية التي نسبت لمنظمة "مقاتلو مملكة إسرائيل"، وإن كان الشاباك يعتقد أن هناك خلية أخرى تعمل ضدّ العرب، أطلقت على نفسها اسم حركة الشبيبة "محانوت هعوليم" أي التنظيم السري للانتقام، مسؤولة عن عدد من تلك العمليات:

- في 2001/4/3، إطلاق نار على مفترق طرق سعير في منطقة الخليل، أسفر عن إصابة فلسطينيَيْن.
- في 2001/6/13، إطلاق نار في شارع حزما – معاليه أدوميم، حيث قتل عوني الحداد وأصيب ثلاثة آخرون.
- في 2001/7/6، إطلاق نار في شارع ريمونيم على سيارة أجرة فلسطينية، حيث أصيب ثلاثة من الركاب.
- في 2001/7/19، إطلاق نار في مفترق إذنا على سيارة فلسطينية، حيث قتل ثلاثة وأصيب ثلاثة آخرون.
- في 2001/7/19، إطلاق نار في شارع حزما – معاليه أدوميم، حيث قتل جهاد كنعان.
- في 2001/10/11، إطلاق نار على شاحنة في شمال الضفة الغربية، وإصابة اثنين من مسافريها.
- في 2001/10/24، إطلاق نار في مفترق طرق بني نعيم في منطقة الخليل، حيث أصيب ستة فلسطينيين.
- في 2002/2/15، وضع عبوة ناسفة على مدخل قرية بيت عانون من دون أن تنفجر.
- في 2002/4/1، إطلاق نار قرب مستعمرة كوكب هشمار حيث قتل فلسطينيان.
- في 2002/6/21، قتل فلسطيني في عملية إعدام جماعية وقعت في قرية بورين.

[135] جيفري أرونسون، **سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية**، ص 297-298.

- في 2002/7/28، إطلاق نار في مدينة الخليل، حيث قتلت فتاة فلسطينية كانت في الـ 14 من العمر.
- في 2002/8/15، عثر على عبوة ناسفة كبيرة في مفترق طرق بيت عانون، وتمّ تفكيكها.
- في 2002/9/17، وضع عبوة في ساحة مدرسة بلدة يطا، أسفر انفجارها عن إصابة خمسة طلاب، وتبين أن في المكان عبوة أخرى جرى تفكيكها.
- في 2003/4/9، وضع عبوة ناسفة في مدرسة على مشارف جنين، أدى انفجارها إلى إصابة عشرين طالباً.

هذا عدا عن عمليات الاغتيال التي يزعم المستوطنون أنهم قتلوا "إرهابياً مسلحاً"، ومنعوه من التسلل إلى "مناطقهم"، أو حاول مهاجمتهم بسكين دون أن يعثر على ذلك السكين بجانب جثة الضحية بالطبع. وكثيراً ما يتبنى الجيش الإسرائيلي هذه الاغتيالات حتى لا يتورط بالكشف عن المستوطنين الإرهابيين، الأمر الذي أدى إلى استمرار تنفيذ عمليات الإرهاب الموجهة ضدّ العرب[136].

ثالثاً: رعاية الإرهاب:

إرهاب المستوطنين السافر، وحقيقة الموقف الرسمي الإسرائيلي، وتفاقم الجرائم ضدّ المواطنين العرب، أفرز أكثر من ظاهرة تستحق الاهتمام والتمحيص، فالعرب يرون المستوطنين "إسرائيليين مجرمين"، لكن الحكومات الإسرائيلية تنظر إلى هؤلاء كنظرتها إلى أفضل رواد الصهيونية، فهم أناس ضحوا برفاهية تل أبيب وأمنها، ليبسطوا السيادة الإسرائيلية على أرض فلسطين كلها.

وعلى مرّ السنوات، طور هؤلاء المستوطنون –بلا رادع يردعهم– ممارسات متنوعة من الثأر والانتقام، لا تقيدهم أي أوامر أو مسلكيات، بل تحميهم الحكومة الإسرائيلية من تحقيقات الشرطة، ويدافع عنهم الوزراء والقادة العسكريون باعتبارهم يمارسون حقهم الطبيعي في الدفاع عن النفس.

كانت قائمة جرائم المستوطنين المبلغ عنها طويلة، ولكنها لم تكن كاملة. فقد أقرّ عدد من المسؤولين الكبار في الشرطة الإسرائيلية، أن كثيراً من تلك الجرائم مضى من دون

[136] **المرجع نفسه**، ص 299-300.

أن يبلغ عنها، لأن العرب كانوا "خائفين من الشكوى إلينا أو غير متيقنين من قدرتنا على جرّ المجرمين إلى المحاكمة".

ففي حين حظرت المحكمة على الحاخام مئير كهانا دخول مدينة رام الله، سمح الجيش الإسرائيلي له بأداء خدمته العسكرية الاحتياطية في المدينة، فكانت تعديات كهانا على الفلسطينيين لا تعد ولا تحصى، بل إن حركة كاخ التي يتزعمها بعثت برسائل إلى بطريرك الأرثوذكس، وإلى المؤتمر الإسلامي، بنسف المسجدين وكنيسة القيامة. وبعث كهانا برسائل مماثلة إلى بلدية سلواد، وجامعة بيرزيت، وصحيفة الشعب. وفي المقابل، اكتفى قائد المنطقة العسكرية الوسطى بإبداء أسفه على "الحوادث غير المرضية"، مشيراً إلى أن المستوطنين، خلافاً للجيش النظامي، "لا يتناوبون الخدمة، ولذلك كان من الطبيعي أن ينفذ صبر البعض منهم"[137].

نظر المستوطنون إلى جرائمهم ضدّ العرب بكونها نشاط تربوي يتلاءم، بصورة خاصة، ومفهومهم لـ"العقلية العربية". فقد شرح أحدهم نظرته كما يلي:

> إن اليهود لا يفهمون العرب. نحاول أن نعاملهم بطريقة ليبرالية أوروبية، وهي لا تجدي نفعاً في الشرق الأوسط، فالعربي يقدر القوة. وما دمنا نستطيع أن نبين له أننا أقوياء، فإنه يعيش معنا في سلام. يحترمنا ولا يتعدى طوره. كما أن التظاهرات في الضفة الغربية متولدة من جهلنا كيف نعامل المتظاهرين.
>
> أنا مثلاً، لا أطلق النار في الهواء، أصوب لأقتل، إما أن لا أطلق النار أبداً، وأما أن أسدد لأقتل... الأسبوع الماضي، وبينما كنت في طريق العودة إلى منزلي، رشقوني بالحجارة. خرجت من السيارة وبدأت أطلق النار. قال لي عربي كان يجلس إلى جانبي، وهو أحد عمالي، اتركهم فهم صبيان صغار. فقلت له: إن هذه هي الطريقة الوحيدة لتعليمهم... ففهم. رويت للشرطة أنني رميت بالحجارة وأنني أطلقت النار. فسألني المحقق: هل أطلقت النار في الهواء؟ فقلت له: إنني أطلقت النار لأصيب. فكتب في المحضر: إنني أطلقت النار في الهواء. يبدو أنه لم يشأ أن يسبب لي المتاعب... نمضي إلى بعض القرى ونطلق النار قليلاً على النوافذ، ونلقي الذعر في نفوس القرويين، ثم نقفل عائدين إلى مستوطناتنا. لا

[137] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 226.

نخطف الناس، لكننا ربما أمسكنا [نمسك] صبياً يرشق الحجارة فنأخذه إلى المستوطنة، ونخاشنه قليلاً، ثم نسلمه للجيش كي يقوم باللازم... الجيش أضعف من أن يهتم بأحوال كهذه، فعنده أنظمة، ولجان تحقيق، ومحاكمات. وكل هذا يتيح للعرب أن يتمردوا ويشاغبوا. نحن نستطيع أن نقوم بأعمال لا قبل للجيش بعملها. وشعوري أن الجيش مغتبط لهذا الأمر. وعندما يضطر الجيش إلى استجواب بعض المستوطنين في شأن إطلاق النار، فإنه يفعل ذلك من دون حماسة[138].

وهكذا صارت جرائم المستوطنين ضدّ العرب، تلك الجرائم التي وصفها الوزير الإسرائيلي والخبير القانوني أمنون روبنشتاين بأنها "تمنح حاخامي جوش أمونيم البهجة الروحية والسرور الجسدي"، مما شملته الحكومة الإسرائيلية برضاها العملي. فعندما أطلق مستوطنان تابعان لجماعة جوش أمونيم في مستعمرة عوفرا النار على رباح حسين محمد غنام من قرية بيتين وأرديا قتيلاً، وأصابا آخر بطلقات عشوائية من بندقية أوتوماتيكية، أيد قائد القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية، الجنرال عمرام متسناع، أقوال المجرمين، مشيراً إلى أنه لا بدّ من أن يكون ما فعلاه من قبيل الدفاع عن النفس، لأنهما "على معرفة جيدة بجميع قواعد السلوك"[139].

ولما كان دعم المستوطنين قوياً داخل المنظومة الحزبية الإسرائيلية بيمينها ويسارها، فإن معاقبتهم على جرائمهم يعدّ مجازفة سياسية. ومن هنا، هناك نماذج كثيرة تدل أن دور المستوطنين الميداني ينقسم إلى شقين: الأول مستقل، والآخر مشترك مع الجيش الإسرائيلي، أبرزها إطلاق أحد مستوطني أريل النار على الفلسطينيين على طريق تل أبيب – القدس، في 1989/6/20، مما أدى إلى جرح اثنين منهم، أعقبه مهاجمة أكثر من مئة مستوطن مواطني القدس بالحجارة.

وكذلك تحذير تلك العصابات لمواطني سلواد، قضاء رام الله، والذي أعقبه فوراً اقتحام قوات الاحتلال للبلدة، واستشهاد أحد شبانها وإصابة آخرين، واعتقال أكثر من ثلاثين مواطناً، في 1989/6/22، بالإضافة إلى تطويق هذه القوات وتلك العصابات

[138] **الهدف**، العدد 965، 1989/7/2، ص 16.

[139] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 226.

لقرية قراوة بني زيد قرب رام الله أيضاً، واقتحامها معاً في اليوم التالي، واستشهاد أحد مواطنيها برصاص المستوطنين الذين اضطر الاحتلال لاعتقال عدد منهم صورياً عندما انفضحت هذه الجريمة، ثم أفرج عنهم بعد يومين فقط[140].

واللافت للانتباه في هذا التصعيد لدور المستوطنين القمعي، وتزايد حجمه في إطار لعبة تقاسم الأدوار وتكاملها مع الجيش الإسرائيلي، أنه قد ترافق مع تصعيد ملحوظ في ارتكاب جرائم القتل الغامضة. ففي 1985/12/20، وجدت جثة حسن عيسى عبد الحليم الفقيه بالقرب من مستعمرة بيت حورون القريبة من رام الله. وحسن الفقيه صحفي كان يحقق في تزوير مستندات ملكية الأرض. وعلى الرغم من أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن المستوطنين قتلوه، إلا أن السلطات أصرت على أنه توفي بينما كان يمسك قنبلة.

وفي 1988/1/13، حكمت السلطات الإسرائيلية بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ على أفراييم سيغال، وهو من مستوطني إيلون موريه، بسبب حادث إطلاق نار وقع في نابلس قبل ذلك بأربع سنوات، وقتلت فيه امرأة فلسطينية وجرح أحد الأشخاص[141].

1. الأدلة غير كافية:

تقع على دائرة الشرطة الإسرائيلية مسؤولية التحقيق في كل جريمة يرتكبها إسرائيلي ضدّ فلسطيني في الأراضي المحتلة، وتشمل الواجبات التالية: قبول الشكاوى المقدمة من الفلسطينيين ومعالجتها، وتوقيف المشتبه به والتحقيق معه، واعتقال المشتبه بهم لتحقيق أوسع، وجمع الأدلة كي يقدم المدعي العام القضية أمام المحكمة.

في كثير من القضايا، لا يقدم ضحايا عنف المستوطنين أية شكاوى إلى الشرطة الإسرائيلية، إما لأنهم غير مدركين لمسؤولية الشرطة عن ذلك، أو لأنهم مقتنعون بأن تلك الشكاوى لن تلقَ الاهتمام المطلوب، وهذا الافتراض نتج عن تجارب صحيحة.

في سنة 1984، تشكلت لجنة قانونية عرفت باسم "لجنة كارب" Karp Committee، وذلك لفحص كيف تتعامل الحكومة والنظام القضائي الإسرائيلي مع الجرائم التي يرتكبها المستوطنون، وقد تبين لهذه اللجنة أن هناك تقصيراً وتراخياً كبيراً من جانب

[140] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 21-22.

[141] **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 47، صيف 2001، ص 133.

الشرطة الإسرائيلية في معالجتها لاعتداءات يقوم بها مستوطنون ضدّ الفلسطينيين. فالشرطة لا تقبل شكوى الفلسطينيين ضدّ المستوطنين بسهولة، ولا تحقق فيها. وفي حالة جرى تحقيق ما، فلا يكون بعمق وبمتابعة فعالة، وبالتالي معظم القضايا تنتهي بإغلاق الملف، وبعبارة أخرى، قيدت ضدّ مجهول أو الأدلة غير كافية. وفي قضايا تتعلق باعتداءات المستوطنين في الخليل، أمر قائد المنطقة العسكري بإغلاق بعض الملفات دون أي تحقيق.

وفي سنة 1994، أجرت مؤسسة بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان، دراسة حول الشكاوى التي تقدم ضدّ الشرطة، وخلصت إلى نتيجة أن شيئاً لم يتغير منذ تقرير لجنة كارب قبل عشر سنوات. الشرطة الإسرائيلية كانت تتذرع بالعديد من المبررات لعدم استلام الشكاوى من العرب، فلا تسمح لهم بدخول مراكز الشرطة، ويتمّ ضربهم في الخارج من المستوطنين، أو يتمّ تحويلهم من مكان إلى آخر، ومن شرطي إلى آخر في دائرة غير منتهية، أو ببساطة يتمّ إعلامهم أن "هذه هي السياسة المتبعة".

وحتى عندما تقدم الشكاوى، فإن الشرطة كثيراً ما تدعي أنها لم تستلم شيئاً، ففي عدة حالات، اتصلت مؤسسة بتسيلم أو هموكيد: مركز الدفاع عن الفرد HAMOKED: Center for the Defence of the Individual بالشرطة للاستفسار عن مجرى التحقيق في قضية ما، ويكون ردّ الشرطة أنهم لم يستلموا أية شكوى، بالرغم من أن الضحية يكون قد تقدم بها، وأحياناً بصحبة مندوب عن بتسيلم أو هموكيد.

نعمان شكري دعنا، بيته لا يبعد سوى ثلاثين متراً عن سياج مستعمرة كريات أربع، قام المستوطنون عشرات المرات بمضايقة عائلته ورشق الحجارة على منزله، مما أدى إلى إصابة أفراد الأسرة عدة مرات. وفي إحدى المرات، حاول المستوطنون حرق البيت في أثناء الليل، ولكنه نجا مع أسرته بأعجوبة، إلا أنهم استنشقوا الدخان وأصيبوا باختناق. وعندما ذهب واشتكى للشرطة الإسرائيلية، قابلوه بفتور، ولم يكترثوا كثيراً لأقواله، بل وسألوه فيما إذا كان تعرف على المعتدين وأسمائهم، بالرغم من أن الحادث وقع في الليل، بل وجعلته الشرطة يخضع لجهاز كشف الكذب، وكأنه هو المعتدي وليس الضحية.

يقول نعمان دعنا في إفادته للمجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان:

في 1997/6/16، عند الظهر، قام أربعة فتية من المستوطنين الذين أعرفهم برشق الحجارة من فوق السياج على بيتي في الأسفل، فذهبت إلى مخفر الشرطة الإسرائيلية بالبلدة القديمة في الخليل، وبعد أن انتظرت أكثر من ساعة، وافق ضابط أن يأتي معي ويفحص الأمر. أصر الضابط أن نذهب مشياً على الأقدام، وعندما اقتربنا من الموقع، فروا من المكان. وعندما وصلنا حيث كانوا يقفون قبل أن يذهبوا، قال الضابط لي: ها نحن وصلنا، أين هم المستوطنون؟ وعندما أخبره جندي إسرائيلي يقف في الجوار أنه شاهد الفتية يرشقون الحجارة، قال ضابط الشرطة: ولكنني أنا لم أرَ شيئاً.

وفي حادثة وقعت في 2000/8/20، طلبنا من الشرطة أن تأتي وتعتقل اثنين من الفتية المستوطنين الذين قاموا برشق الحجارة على منزلنا، وجاء ضابط الشرطة وقام بتوقيف الولدين. لكن بعد بضعة ساعات، عاد الولدان، وقاما برشق الحجارة علينا من جديد، وعندما تحدثت مع الشرطة مرة أخرى، قالوا لي: هل تريدنا أن نعتقل الولدين مدى الحياة، لأنهما قاما برشق بعض الحجارة.

حتى في غياب الشكاوى، فإن من واجب الشرطة أن تقوم بالتحقيق في أي اتهامات تسمع عنها من وسائل الإعلام أو مصادر أخرى. ومن واجب الجيش الإسرائيلي أن يبلغ عن أي جرائم أو اعتداءات يراها أو يسمع عنها. ولكن كما هو واضح، من نتيجة تحقيق لجنة كارب وتقرير مؤسسة بتسيلم، فإنه حتى لو تمّ خرق القانون، وحدث اعتداء من مستوطنين ضدّ عرب، ولم تقدم شكوى في الأمر، فإن الشرطة لا تقوم بأي تحقيق في القضية[142].

2. لوبي القتلة:

بحكم كون الجيش الإسرائيلي هو القوة المحتلة للضفة الغربية، فهو ملزم وملقى على عاتقه الدفاع عن أمن المواطنين العرب وسلامتهم هناك، ولكن السلطات الموكلة بالمحافظة على سيادة القانون كالجيش والشرطة والنيابة العامة وسلطات القضاء الإسرائيلي تنفذ سياسة غير معلنة، تتسم بالتساهل والتسامح وعدم اتخاذ الحق لمجراه حيال المستوطنين إذا ما اعتدوا على الفلسطينيين.

[142] **الهدف**، العدد 980، 1989/10/22، ص 15.

بل، إن شهادات كثيرة جمعتها مؤسسة بتسيلم تؤكد إن الجنود الإسرائيليين الذين يتواجدون ويشهدون الاعتداءات على الفلسطينيين لا يتدخلون ولا يفعلون شيئاً لمنعها. وكثيراً ما يقوم المستوطنون بإغلاق الطرقات أمام المركبات الفلسطينية بوضح النهار، وكثيراً ما يعلنون عن ذلك مسبقاً بوسائل الإعلام. ومع ذلك، لم تتخذ السلطات الإسرائيلية الإجراءات اللازمة لإيقاف هذه الأعمال. ويضيف تقرير بتسيلم عن اعتداءات المستوطنين، والذي كان بعنوان "السكوت علامة الرضى"، ونشرته على موقعها الإلكتروني في 2001/3/27:

> في عدة مناطق في الضفة الغربية أسس المستوطنون دوريات مسلحة ومستقلة، المشاركون فيها يعملون على عاتقهم ولا يخضعون لإطار رسمي ولا ينصاعون لأوامر الجيش والشرطة الإسرائيلية، لقد أوضحت السلطات العسكرية عدم رضاها عن وجود هذه الدوريات، لكن هذه السلطات على ما يبدو لم تعمل على إيقافها. الشرطة مستمرة كعادتها ولا تقوم بالتحقيق عندما يقع عدوان من المستوطنين على الفلسطينيين إذا لم تقدم شكوى، فمثلاً في حالتين منفردتين خلال الانتفاضة الحالية، قتل خلالهما فلسطينيين جراء إطلاق النار عليهما من قبل مستوطنين مسلحين، نشرت هذه الأحداث بوسائل الإعلام، إلا أن الشرطة لم تحقق إطلاقاً بوفاة هذين الشخصين. هذه السياسة منافية للواجبات القانونية للشرطة، وهي الشروع بالتحقيق دائماً بكل حادث وقع وعلمت به الشرطة.
>
> في الحالات التي يتمّ التحقيق فيها قليلاً ما يعاقب الجناة. ففي الفترة الواقعة بين 1994 و2000 تابع مركز بيتسيلم طريقة معالجة السلطات لعشرات الحالات التي جمع شهادات من ضحاياها حول أعمال العنف التي قام بها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين، فتبين أن ثلثي هذه الملفات أُغلقت بسبب عدم وجود أدلة كافية، أو بحجة أن الجاني غير معروف.
>
> عندما يكون المتهم فلسطينياً قتل إسرائيلياً يتضح أن القضاء أوقع أقصى العقوبات بالمتهم الفلسطيني، وفي بعض الحالات يلحق العقاب أفراد عائلته جميعاً، بينما احتمالات إسرائيلي متهم بقتل فلسطيني أن ينجو من العقاب أو أن يتخذ ضده عقاب بسيط هو احتمال كبير جداً. في حالات عديدة قتل فلسطينيون بأيدي مستوطنين ولم يجرِ تحقيق حول هذه الحالات، وفي نصف

الحالات الأخرى، أغلقت الشرطة أو النيابة العامة ملفات التحقيق. أما في حالات قتل الفلسطينيين لمواطنين إسرائيليين أغلقت الشرطة أقل من 10% من الملفات. وتبين أيضاً أن الإسرائيليين الذين أدينوا بقتل فلسطينيين تمّ على الأغلب تخفيف عقوباتهم، بينما لم يحصل تخفيف العقوبات للفلسطينيين الذين أدينوا بقتل إسرائيليين.

إن حقيقة فشل تطبيق سيادة القانون على المستوطنين على مدار سنوات طويلة رغم التحذيرات الدائمة. ومن جهات رسمية أيضاً، تشير لوجود سياسة كهذه وليس نتيجة صدفة متكررة. السلطات الإسرائيلية لا تشجع بشكل مباشر العنف ضدّ المواطنين الفلسطينيين، لكن سياسة غضّ النظر عن هذا الموضوع تؤدي إلى هذه النتيجة[143].

مجلة فوخن بوست الألمانية نشرت مقالاً مهماً تحت عنوان "إسرائيل: الإعفاء عن الإرهابيين – نجاح لوبي القتلة"، جاء فيه:

قام مناحيم ليفني عام 1982م بالتخطيط والاعتداء المسلح على الجامعة الإسلامية في الخليل. المهندس الإسرائيلي المذكور كان قد انتقل عام 1970م للسكن في مستوطنة كريات أربع قرب المدينة. وانتخب عام 1977م رئيساً لمجلس بلدية المستوطنة. وفي عام 1978م، اشترك في تأسيس منظمة سرية صهيونية هدفها القيام بعمليات إرهابية ضدّ السكان العرب في الضفة الفلسطينية المحتلة، حيث أقدمت هذه المنظمة الإرهابية على تفجير عدة سيارات لرؤساء المجالس البلدية العربية، وكذلك تفجير عدة حافلات عربية، بالإضافة إلى الاعتداء المسلح على الجامعة الإسلامية في الخليل.

في عام 1984م، اعتقل 25 عضواً من هذه المنظمة الإرهابية، وقدموا إلى المحاكمة، حيث صدرت بحقهم أحكام مختلفة، وكان من بينهم مناحيم ليفني وأوري شارابان وشاؤول نير الذين حكموا بالسجن المؤبد بتهمة القتل العمد.

أما اليوم، وبعد خمس سنوات فقط، فإن جميع أولئك المعتقلين أحرار طلقاء، فهم ومنذ اليوم الأول لاعتقالهم كانوا الأبطال المحبوبين للمنظمات اليمينية المتطرفة، وحظوا بدعم لا حدود له من قبل بعض نواب ووزراء الحكومة

[143] رجا شحادة، **مرجع سابق**، ص 226-227.

الإسرائيلية. وقد نجح هذا اللوبي في إخراجهم من السجن، وتمكن من الحصول على العفو لأغلبيتهم، في حين خففت أحكام السجن المتخذة بحق البقية تحت ذريعة أن اليهودي الذي يهاجم عربياً يجب أن يحكم بالبراءة لأنه يكون بحالة الدفاع عن النفس.

وبشأن المجرمين الثلاثة المحكومين بالسجن مدى الحياة، فقد نجحت أيضاً جهود اللوبي المجرم لإطلاق سراحهم، حيث خفض الرئيس الإسرائيلي حاييم هرتزوغ عقوبتهم إلى السجن عشر سنوات. ووعد باختصار ثلث المدة في حال كانت تصرفاتهم في السجن جيدة، وبهذا أصبح من الممكن إطلاق سراحهم في العام القادم.

وحتى ذلك الحين، فقد نقلوا إلى مدرسة يهودية دينية ملحقة بسجن شعاتا ليمضوا فيها بقية حكمهم، علماً بأن هذه السجن مخصص فقط للمعتقلين الذين لا تزيد مدة أحكامهم عن 18 شهراً. وأحد حراس هذا السجن، قال: يمكن للسجناء مغادرة السجن والذهاب إلى البقالة المجاورة، أو استعمال الهاتف العمومي في الشارع، ولكن عليهم قبل ذلك إخبار الحارس[144].

وفي تبريره لسلسلة القرارات التي أصدرها بتخفيض محكومية القتلة من المستوطنين، ثم إطلاق سراحهم بعد قضائهم بضع سنوات فقط، قال الرئيس هرتسوغ، إنه مقتنع أنهم تعلموا الدرس، وأن السلطات الإسرائيلية لا تبقي الشخص في السجن انتقاماً[145].

مثال آخر للتعاون والعمل المشترك بين المستوطنين والجيش الإسرائيلي، يتمثل بحادثة استشهاد عصام جودة يوم الأحد الموافق 2000/10/8، إذ أن الدورية العسكرية التي اقتادته إلى مستعمرة حلميش، الواقعة إلى الغرب من قرية أم صفا بقضاء رام الله، قامت بتسليمه لمجموعة من المستوطنين الذين أخذوه إلى كرفانات غير المأهولة، على بعد أمتار قليلة من مدخل أحراش أم صفا، ويتردد عليها المستوطنون ويقيمون فيها لبعض الوقت تحت حراسة الجيش الإسرائيلي، وهو ما يعدّ مكاناً ملائماً لممارسة المستوطنين

[144] **القدس**، 2000/11/10.

[145] جمعية الحقوقيين – لجنة حقوق الإنسان، **حقوق الإنسان فكراً وعملاً: الجزء الثالث** (الشارقة: جمعية الحقوقيين، 2001)، ص 162.

لساديتهم، حيث عُذِّب عصام حتى الموت، ثم نقلت جثته وسيارته تحت جنح الظلام إلى الموقع الذي وجدت فيه[146].

3. المعايير المزدوجة:

ازدادت ظاهرة عنف وإرهاب المستوطنين كماً ونوعاً خلال انتفاضة الأقصى، وتراوحت بين قتل متعمد بدافع شهوة القتل، إلى تدمير أو سرقة ممتلكات المواطنين الفلسطينيين، ومع هذا، ما يزال القضاء الإسرائيلي يتعامل بمعايير مزدوجة بالنسبة لتطبيق القانون.

فالأحكام التي تصدر على المستوطنين متساهلة ومخففة، بشكل كبير جداً، مقارنة مع ما يصدر من أحكام ضدّ الفلسطينيين، وذلك لأن كل فئة تحاكم وفق قانون مختلف. وهذه الحقيقة تؤدي إلى التقليل من قيمة حياة الفلسطيني، وتشير إلى أن العنف ضدّ الفلسطينيين يعدّ أقل خطورة وجدية من العنف ضدّ الإسرائيليين[147].

باختصار، يخضع المستوطنون إلى قوانين جنائية إسرائيلية، أي أنهم يقدمون إلى محاكمات وفق القانون المدني الإسرائيلي، حيث تتوفر لهم ضمانات وحقوق عديدة، بينما يقدم المتهمون الفلسطينيون إلى محاكمات عسكرية إسرائيلية لا تتوفر فيها الحقوق والضمانات نفسها، مع أنهم يعيشون في المنطقة ذاتها. وفوق ذلك، فإن الأحكام والعقوبات التي تفرض على الفلسطينيين تكون أقسى بكثير من تلك التي يحصل عليها المستوطنون[148].

وإضافة إلى حقيقة أن كلاً من الفلسطينيين والإسرائيليين يحاكمون وفق قوانين مختلفة، فإن القضاة الذين ينظرون في قضية متهم يهودي غالباً ما يقبلون ذريعة "الدفاع عن النفس"، التي تعدّ غير مقبولة بأي حال إذا كان المتهم عربياً. وفي معظم الجرائم التي يكون فيها المتهم يهودياً، إذا تمت إدانته، يتساهل القاضي في الحكم، أو يقبل بصفقة من نوع ما فيها تخفيف للعقوبة[149].

---

[146] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 16.

[147] **المرجع نفسه**، ص 22.

[148] **المرجع نفسه**، ص 16-18.

[149] **المرجع نفسه**، ص 19-20 و22.

جدول 4/1: العقوبات التي حصل عليها فلسطينيون اتهموا بقتل إسرائيليين مقابل عقوبات حصل عليها إسرائيليون اتهموا بقتل فلسطينيين، نقلاً عن تقرير مؤسسة بتسيلم الإسرائيلية، كانون الأول/ ديسمبر 1998

نتيجة الحكم	عدد المتهمين الفلسطينيين: 78	عدد المتهمين الإسرائيليين: 87
السجن مدى الحياة للقتل	23	2
أقل من مدى الحياة للقتل	0	2
أدين بالقتل غير المباشر	1	3
أدين بالقتل غير العمد	0	6
أدين بالقتل بسبب الإهمال	0	7
أدخل المستشفى لمرض نفسي	0	2
تهمة القتل غير العمد أسقطت وأدين بجنحة أقل	0	2
البراءة	0	5
المتهم تمّ تصفيته من قوات الأمن	10	0
المتهم تمّ قتله أثناء الجريمة	2	1
المتهم تمّ قتله من الإسرائيليين	1	0
تمّ توثيق تهمة القتل	9	1
تمّ توثيق القتل غير العمد	0	2
أُسقطت التهمة	0	1
تقوم السلطات بمعالجة القضية	21	7
لم يفتح أي تحقيق في الجريمة	0	4
لم تحدد السلطات ملف القضية	0	4
مجموع الذين صدرت أحكام بحقهم	**67**	**49**

تنص المادة الثانية من اتفاقية المرحلة الانتقالية بين الفلسطينيين والحكومة الإسرائيلية الموقعة في 1995/9/28، على التعامل الفعال والمؤثر مع أي حادث قد يشكل تهديداً أو عملاً إرهابياً أو عنفاً أو تحريضاً يرتكبه الفلسطينيون أو الإسرائيليون، وتشترط الاتفاقية أيضاً أن يقوم كل طرف بالردّ الفوري والفعال على حدوث أو احتمال

حدوث أي عمل إرهابي، أو عنف، أو تحريض، ويتخذ جميع الخطوات الممكنة لمنع وقوعه. ولكن الحقيقة تختلف تماماً، فالفوارق في الحقوق القانونية بين الفلسطينيين والمستوطنين في الضفة الغربية تتشعب في كافة الفصول:

- **الاعتقال:** يجوز لأي شرطي أو جندي أن يعتقل أي فلسطيني مشتبه فيه دون النظر إلى خطورة التهمة أو الجنحة، واحتمال أن يكون الشخص الموقوف هو الذي ارتكبها، ولكن هذه الاعتبارات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند اعتقال أي إسرائيلي بدون مذكرة توقيف.
- **السجن دون رؤية القاضي:** يجوز أن يسجن المتهم إذا كان فلسطينياً لمدة ثمانية أيام قبل أن يراه قاضٍ ويقرر تمديد توقيفه لفترة أخرى، ويجوز توقيف الفلسطيني البالغ مدة 18 يوماً إذا كان مشتبهاً فيه بتهم محددة مثل: القتل المقصود، حماية شخص متهم بقتل مقصود، التجسس أو إيذاء أو شتم فرد من الجيش أو الشرطة. أما الإسرائيلي فيجب أن يراه قاضٍ خلال 48 ساعة من توقيفه، وخلال 24 ساعة إذا كان فوق 14 عاماً، وخلال 12 ساعة إذا كان أقل من 14 عاماً.
- **توكيل محامي دفاع:** قد يمنع المتهم الفلسطيني من رؤية محاميه لفترة 15 يوماً بعد اعتقاله، بدواعي أمن المنطقة أو لمصلحة التحقيق، وهذه الفترة قد تمدد 15 يوماً آخر، وقد يقرر قاضي محكمة عسكرية أن يمدد التوقيف بدون رؤية محامي الدفاع 30 يوماً آخر. أما المتهم الإسرائيلي ففترة توقيفه دون أن يرى محاميه لا تتعدى 7 أيام، وقد تمدد في حالات نادرة 8 أيام أخرى.
- **الحبس قبل توجيه اتهام:** يمكن حبس فلسطيني بدون توجيه اتهام له فترة أولية تصل إلى 30 يوماً بأمر من قاضٍ، ويمكن تمديد هذه المدة. وأقصى مدة سجن لفلسطيني يمكن أن تستمر حتى 6 أشهر بواسطة المستشار القانوني للمنطقة ومن خلال الإجراءات أو المحاكم العسكرية. أما بالنسبة للإسرائيلي، فالفترة الأولية هي 15 يوماً و10 أيام للصغار، ويمكن تمديد الفترة 15 يوماً آخر للبالغ، و10 أيام للحدث، وللتمديد أكثر من ذلك، ينبغي الطلب من المدعي العام للدولة، وبعد 90 يوماً إذا لم يقدم اتهام واضح فيجب أن يفرج عن الإسرائيلي فوراً، إلا إذا تدخلت المحكمة العليا.
- **الحبس حتى نهاية الإجراءات القانونية:** بعد تقديم لائحة الاتهام، يمكن حبس الفلسطيني مدة غير محددة حتى انتهاء الإجراءات والخطوات القانونية، وذلك بأمر

من قاضٍ عسكري. ويمكن الاستئناف ضدّ هذا الأمر ولكن بعد ثلاثة أشهر من الحبس على الأقل، ويمكن للمتهم أن يطلب إعادة النظر في اعتقاله مرة كل ستة أشهر. أما الإسرائيلي فيمكن حبسه حتى انتهاء محاكمته ولكن في ظروف خاصة، مثل: إذا كان الإفراج عنه يمكن أن يؤدي إلى إعاقة سير العدالة، أو تشكيل خطر على العامة، أو إذا كانت التهمة الموجهة له خطيرة مثل المخدرات، أو العنف باستخدام السلاح، أو إذا لم تدفع الكفالة كما حددها القاضي، أو تمّ خرق شروط الكفالة.

- **العقوبات:** العقوبات تتراوح وتتباين في كل من القانونين القضائيين المطبقين على كل من الإسرائيليين والفلسطينيين، ولهذا نجد أن الفلسطينيين من ناحية، والمستوطنين من ناحية أخرى، يعاقبون بأحكام مختلفة جداً للجرائم نفسها التي ترتكب. فعلى سبيل المثال: فلسطيني متهم بجريمة قتل يحكم عليه بالسجن مدى الحياة، بينما الإسرائيلي المتهم بالجريمة نفسها يحكم عليه بالسجن عشرين عاماً كحدٍّ أقصى. وفلسطيني متهم بتخريب وتحطيم ممتلكات يحكم عليه بالسجن خمس سنوات كحدٍّ أقصى، بينما الإسرائيلي المتهم بالتهمة ذاتها يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات كحدٍّ أقصى[150].

في الفترة من كانون الأول/ديسمبر سنة 1987 إلى تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1998، قتل مستوطنون 112 فلسطينياً بينهم 23 طفلاً، ومن بين 87 حالة منها حكم على القاتل في اثنتين فقط بالسجن مدى الحياة، ثم خفف رئيس الدولة الحكم إلى 13 عاماً في واحدة و15 عاماً في الأخرى، أي أن القاتلين في القضيتين أُدينا بالقتل، ولكن لم يطبقْ عليهما السجن مدى الحياة كما ينص القانون.

وفي سبع حالات، أدين القتلة بتهمة التسبب في القتل بسبب الإهمال، وحكم عليهم بعقوبات تراوحت بين ثلاثة أشهر خدمة مجتمع أو 18 شهر سجن كحدٍّ أقصى، اثنان من القتلة تمّ تحويلهما إلى مصحة علاج نفسي بدلاً من السجن، و38 حالة تمّ إغلاق ملفاتها دون أي إجراء قانوني، وثماني حالات تمّ إهمالها أو ضياع ملفاتها بشكل غير مفهوم.

في المقابل وفي الفترة نفسها، قام فلسطينيون بقتل تسعين إسرائيلياً في المناطق المحتلة، منهم 23 حالة تمت فيها إدانة المتهمين وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة

[150] **فلسطين المسلمة**، آب/أغسطس 2001، ص 22-23.

دون تخفيض للعقوبة من رئيس الدولة، وفوق ذلك، تمّ هدم بيت القاتل أو بيت عائلته في كثير من الحالات.

في عشر حالات، قامت القوات الإسرائيلية بالقضاء على المتهم أو قتله، ولم يحصل أي متهم أدين بالقتل على عقوبة أقل من السجن مدى الحياة، ولم يُدان أي فلسطيني بأقل من تهمة القتل العمد، ولم تتم إحالة أي فلسطيني إلى مصحة نفسية، ولم تجد السلطات أية مشكلة في تحديد ملف أي قضية من الحالات التسعين. ولم تغلق سوى قضية واحدة دون أن يتخذ أي إجراء فيها، وهي قضية مقتل السفاح غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي بعد أن ارتكب المجزرة البشعة. وإضافة إلى حقيقة أن كلاً من الفلسطينيين والإسرائيليين يحاكمون وفق قوانين مختلفة، فإن القضاة الذين ينظرون في قضية متهم يهودي غالباً ما يقبلون ذريعة الدفاع عن النفس، التي تعدّ غير مقبولة بأي حال إذا كان المتهم عربياً. وفي معظم الجرائم التي يكون المتهم فيها يهودياً إذا تمت إدانة المتهم، يقبل القاضي تساهلاً في الحكم، أو يقبل بصفقة من نوع ما، فيها تخفيف للعقوبة[151].

هناك تواطؤ آخر من قبل الشاباك، فهذا الجهاز مسؤول بحكم القانون عن كشف وملاحقة التنظيمات الفلسطينية في الضفة الغربية، لكن هذا الجهاز لا يعمل شيئاً من أجل الكشف عن التنظيمات اليهودية الإرهابية.

وعلى الرغم من أن رئيس جهاز الشاباك، يحذر بشكل متواصل من خطر تشكيل تنظيم إرهابي يهودي في الضفة الغربية، إلا أن جهازه لم يقم بأي جهد من أجل الكشف عن أعضاء خلايا هذا التنظيم، ولم يعمل على وقف التدريبات التي يقوم بها أعضاؤه بقتل الفلسطينيين.

جهاز الشاباك، يضم قسماً خاصاً بالتحقيقات مع التنظيمات اليهودية في الضفة الغربية، إلا أن هذا القسم لا يقوم بأي خطوة من أجل الكشف عن الجرائم التي ترتكب بحق الفلسطينيين، على العكس تماماً، فهناك عدة جرائم ارتكبها أعضاء التنظيمات الإرهابية اليهودية وأسفرت عن استشهاد فلسطينيين، إلا أنه لم يتمّ الكشف عنها حتى الآن. فبعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابين، تردد الشاباك في زرع عميل له داخل التنظيمات اليهودية، الأمر الذي جعل هذه التنظيمات تفرخ تنظيمات وخلايا.

[151] عزمي بشارة، "خطاب مذبحة،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 17، شتاء 1994، ص 63-64.

يقضي رئيس الشاباك الكثير من وقته بين قادة المستوطنين، مؤكداً لهم أن جهازه يعمل بشكل أساسي من أجل خدمة مصالحهم، وتوفير الأمن الشخصي لهم، ولهم قبل أي شيء. وقد أشارت وسائل الإعلام الإسرائيلية إلى أن جهاز الشاباك يضع على سلم أولوياته إحباط العمليات التي تنفذها المقاومة الفلسطينية ضدّ الأهداف الإسرائيلية، دون إعطاء اهتمام لما يقوم به مستوطنون متطرفون ضدّ الفلسطينيين[152].

بعد مجزرة الحرم الإبراهيمي، حاولت سلطات الاحتلال التظاهر بالتخلص من المعايير المزدوجة في التعامل مع الفلسطينيين ومع المستوطنين. فقامت الحكومة الإسرائيلية باعتبار حركتي كاخ و"كهانا حي" خارجتين على القانون، أي حركتين إرهابيتين بموجب قانون منع الإرهاب، الذي طُبِّق مرة واحدة لحل حركة يهودية هي حركة ليحي، حركة رئيس الحكومة السابق إسحق شامير، بعد مقتل الكونت برنادوت Count Bernadotte. وكانت حركة كاخ قد منعت من خوض انتخابات الكنيست سنة 1988، لكنها لم تحلّ قانونياً.

إن رؤية العرب كأعداء، والمستوطنين كأبناء للطرف ذاته الذي ينتمي إليه الجنود، هي في صلب المبنى السياسي للاحتلال. كما يتضح من الخطوات العقابية التي قامت الحكومة الإسرائيلية بها، اعتقال ثلاثة نشطاء من حركة كاخ والصعوبة التي واجهتها في تجريد 18 مستوطناً من أسلحتهم، أن هناك أوساطاً في الشرطة والجيش لا تتعاون مع الحكومة عندما يجري الحديث عن اتخاذ خطوات حقيقية، فهي تجد صعوبة في البحث عن الأشخاص وفي جمع الأدلة ضدهم، الأمر الذي لا تتذمر منه بتاتاً عندما تبحث عن مطلوبين عرب، فالقدرة الفنية موجودة، والسؤال يتعلق بالرغبة في التنفيذ[153].

وما زال الجيش الإسرائيلي يقف موقف المتفرج، فهو يشاهد المستوطنين يطلقون النار، ويلقون الحجارة، ويضربون الفلسطينيين، كما لا يقدم الجنود الذين يشاهدون ذلك أية شكاوى إلى الشرطة، وما تزال الشرطة الإسرائيلية لا تقبل شكاوى الفلسطينيين بشكل مقبول، بل وتوجد صعوبات من أجل ذلك. وما تزال الشرطة ترفض متابعة أية شكاوى، أو تقوم بذلك باسترخاء ليس فيه أي جدية. وباختصار، ما تزال الشرطة الإسرائيلية ترفض أخذ الشكاوى الفلسطينية مأخذ الجد، بل وتقوم

[152] مقتبس من تقرير صادر عن المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان/ القدس، آذار/ مارس 2001.

[153] **الدستور**، 1997/9/9، ص 43، نقلاً عن: **هآرتس**.

بحماية المستوطنين الذين يعتدون على الفلسطينيين من خلال عدم التحقيق معهم، أو التساهل في التحقيق، إذا تمّ فعلاً.

قادة المستوطنين، مثل أعضاء مجلس المستوطنات وزعماء المستوطنات كلٌّ في منطقته، يعدون مسؤولين عن أعمال العنف ضدّ الفلسطينيين لأنهم متورطون بشكل مباشر أو غير مباشر بتخطيط وتنفيذ الهجمات ضدهم. كما أنهم مسؤولون بصورة غير مباشرة عن أعمال العنف هذه من خلال تصريحاتهم وتحريضهم، وموافقتهم الضمنية وعدم استنكارهم لما يحدث من هجمات، وموضوع غياب الرفض أو التنديد بالهجمات يشمل أيضاً الحكومة الإسرائيلية والقادة السياسيين والدينيين. والحقيقة أنه لم يقم أي رئيس إسرائيلي باستنكار الأحكام المخففة لقتلة من أمثال ناحوم كورمان والحاخام موشيه ليفنغر وبواز موسكوفيتش، تساعد في إيجاد ثقافة إسرائيلية تقبل أي عنف أو جرائم يكون ضحاياها من الفلسطينيين[154].

ويتضح من تقرير نشرته صحيفة هآرتس العبرية أن المحاكم الإسرائيلية تتعامل بوجهين مختلفين مع المتهمين الفلسطينيين واليهود، مؤكداً أن الجهاز القضائي الإسرائيلي يتسامح مع جرائم اليهود ضدّ الفلسطينيين. وخلص التقرير إلى القول: "إن الجهاز القضائي الإسرائيلي هو مثال للتسامح والعلاقات الطيبة مع الأوغاد الذين ينكلون بمن هم أضعف منهم، ويطلقون النار عليهم ويجرحونهم شريطة أن يكون الضحايا فلسطينيين. وفي حالة كهذه، فإن أعمال الإجرام غير مخيفة إلى هذا الحدّ".

وقال كاتب التقرير ساخراً: "إن سوء حظّ غولدشتاين أنه لم يخرج حياً من المجزرة... وبموجب الأعراف القائمة، كان سيعدّ غير سوي، ويرسل إلى المستشفى ليخرج بعد فترة قصيرة، لو بقي حياً". وتساءل كاتب التقرير: "من سمع عن رجل منظمات فلسطيني أرسل من قبل محكمة إلى مستشفى نفسي بعد أن أصاب يهوداً؟ وأن عربياً أرسل للإقامة الجبرية بعد أن أصاب يهودياً، كما حدث مع أفراد حرس الحدود الذين نكلوا بوحشية بشابين فلسطينيين"[155].

في 1998/12/7، شارك طفل من أبو ديس عمره 14 عاماً في مسيرة تضامن مع الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. وعند مفترق العيزرية – القدس، مرت سيارة

[154] **القدس العربي**، 1999/8/26، ص 9، نقلاً عن: عميرة هاس، **هآرتس**، 1999/8/25.

[155] جيفري أرونسون، **سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية**، ص 299.

إسرائيلية في المكان متوجهة من مستعمرة معاليه أدوميم إلى القدس، حيث تعرضت للرشق بالحجارة، فأوقف المستوطنون سيارتهم، ونزلوا منها وأخذوا يطلقون النار، فأصابت إحدى الرصاصات بطن الطفل ومزقت قسماً من أمعائه. وفي قسم التحقيقات في شرطة القدس، تحول الطفل الفلسطيني إلى مجرم، بينما أطلق سراح المستوطنين الذين أطلقوا النار، لأن أولئك المستوطنين اشتكو في حينه من "إخلالات شديدة في النظام العام"، على حدّ تعبير الناطق بلسان الشرطة.

المنظمة الإسرائيلية لحقوق الإنسان بتسيلم نقلت عن رئيس قسم التحقيقات، المقدم أوري وسكو: "قررت الشرطة إطلاق سراح المشتبه فيه، الشرطة تعرف من هو الشخص الذي أطلق النار، وهو كمواطن إسرائيلي بريء وله حصانة من الاعتقال، إلا إذا تمت البرهنة على ارتكابه ذنباً بإطلاق النار باتجاه الأولاد. أما الولد الفلسطيني فهو متهم برشق الحجارة إلى أن يثبت العكس".

ظلت بتسيلم في ذهولها وصدمتها، وكتبت لرئيس قسم التحقيقات: "لقد توسطنا في حالات كثيرة في حضور الشهود الذين تضمنت شهاداتهم اعترافاً بمخالفة قانونية، ولكن لم يحدث أبداً أن أجري التحقيق معهم كمشبوهين"[156].

في الحادث الثاني، قتل فتى من قرية بني نعيم، في جوار الخليل. فحامت شبهات الشرطة حول رئيس لجنة أمن كريات أربع. وكانت تحقيقات الشرطة في أدنى درجة من الدقة، واستمر المشتبه فيه في برنامجه العادي لمدة أسبوع كامل، قبل أن يقرر هو نفسه الإدلاء بشهادته أمام الشرطة. وبعد ذلك، طلب مجلس المستعمرة وضع حدّ لتحقيقات الشرطة في الحوادث المنطوية على استعمال المستوطنين الأسلحة، وأعلن رفضه التعاون في أي تحقيق ما لم يلبَّ هذا الطلب. وقد وزع مستوطنون منشوراً، يدين ضابطاً في الشرطة تجرأ على اعتقال يهودي يشتبه في قتله أحد العرب، وكتب أحدهم: "أقل ما يقال هو أن ثمة شيئاً فاسداً في مكتب المدعي العام في القدس، ولا بدّ من أن يدفع أحدهم الثمن. وإذا لم تفعل السلطات شيئاً، فعلينا نحن المستوطنين تفحص هذا السلوك المستغرب"[157].

---

[156] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 29.

[157] **الرأي**، 1995/7/30، ص 39.

يعدّ مكتب المدعي العام للدولة مسؤولاً عن جلب المتهمين أو المشتبه بهم أمام القضاء، ويمكن للمدعي العام أن يقرر إغلاق قضية ما، بسبب "عدم كفاية الأدلة"، أو "عدم اهتمام الرأي العام". وبالرغم من غياب الإحصائيات عن عدد الحالات التي أغلقت فيها القضايا لهذين السببين، إلا أنه تبين من تقرير أعدته بتسيلم أن قضيتي الشهيدين فقيه صبحي سليمان ومحمود محمد النواجعة، اللذين قتلهما المستوطنون، قرر المدعي العام إغلاق الملف فيهما بسبب "عدم كفاية الأدلة"، على الرغم من وجود شهود عيان فلسطينيين في القضيتين، ولكن لم يتمّ استجواب هؤلاء الشهود[158].

المحكمة المركزية الإسرائيلية برأت المستوطن ديمتري بيرمان الذي قتل المواطن الفلسطيني عيد الجولاني، سائق الشاحنة التي حملت الخضار إلى المدرسة الدينية التي كان بيرمان يحرسها. وقد قبلت المحكمة رواية بيرمان، بأنه خشي أن تكون الشاحنة مفخخة حسب ادعائه[159].

وقد قررت المحكمة نفسها الإفراج بكفالة عن ثلاثة شبان من المستوطنين متهمين بقتل العامل محمد أبو سارة (67 عاماً)، حين حاول منعهم من الإقلاع بسيارتهم لعدم دفعهم فاتورة البنزين، في حيّ الشيخ جراح بالقدس، وقد أبقى القضاة متهماً رابعاً هو سائق السيارة الذي صدم أبو سارة[160].

وفي حكم مثير للسخرية ضدّ مستوطن قتل امرأة فلسطينية حامل في شهرها الرابع، أصدرت محكمة الصلح الإسرائيلية حكماً مخففاً بالسجن لمدة أربعة أشهر فقط، تستبدل بأعمال خدمية للمصلحة العامة، خارج السجن. وقد جاء قرار المحكمة اللافت للنظر في قضية المستوطن نتان انجلسمان، من مستعمرة شيلو شمال رام الله، والذي اتهم بقيامه، في شهر نيسان/ أبريل 1994، بإطلاق النار من مسدس باتجاه مجموعة من الصبية الفلسطينيين على طريق بير نبالا–الجيب، شمال مدينة القدس، وذلك بحجة تعرض سيارته للرشق بالحجارة، إلا أن إحدى الرصاصات التي أطلقها أصابت سيدة فلسطينية حامل في شهرها الرابع، تدعى فاطمة خليفة (19 عاماً)، من أهالي قرية الجيب، مما أدى لاستشهادها. وزعم المستوطن القاتل، أنه أطلق النار في الهواء، وليس في اتجاه منزل الشهيدة، وأنه لم يكن يقصد إطلاق النار بهدف القتل.

---

[158] **القدس العربي**، 1997/8/21، ص 5.

[159] **النهار**، القدس، 1995/12/29، ص 1.

[160] آلون كارمل، **مرجع سابق**، ص 30.

وبالرغم من أن النيابة الإسرائيلية وجهت له في البدء تهمة القتل العمد، إلا أنها عادت واستبدلت الاتهام الموجه إليه إلى تهمة التسبب بموت عن طريق الإهمال، بما يتيح الاكتفاء بعقوبة مخففة عليه، وقد اكتفى القاضي الإسرائيلي، بناء على الصفقة التي تمّ التوصل إليها بين الادعاء العام ومحامي المستوطن، بإصدار حكم مخفف على هذا القاتل مدته أربعة أشهر، يمضيها في أعمال خدمة خارج السجن[161].

وإضافة إلى كون الفلسطينيين والإسرائيليين يتعرضون لأحكام مختلفة على التهم ذاتها، هناك أيضاً تمييز في تطبيق القانون. فالقضاة الإسرائيليون، بشكل عام، يقبلون ذريعة "الدفاع عن النفس" بالنسبة لليهودي، بينما هذه الحجة لا تقبل أبداً إذا كان مرتكب الجريمة عربياً. وفي حالة تمت إدانة المتهم اليهودي، فإن القضاة يمكن أن يوافقوا على صفقة لتخفيف العقوبة. وغالباً ما يصدرون أحكاماً مخففة ضدّ المستوطنين بتهمة القتل غير العمد كحادثة قتل فتى فلسطيني عمره 13 عاماً، جراء رشق سيارته بحجارة، فاعتبرت الجريمة قتل عن غير عمد، وكانت العقوبة غير المسبوقة التي نالها القاتل هي ستة أشهر خدمة مجتمعية. ومع ذلك أصبحت تلك القضية والعقوبة سابقة تبعتها عقوبات مماثلة، مثل الحاخام موشيه ليفنغر وبواز موسكوفيتش وبنحاس فالرشتاين، وجميعهم قاموا بقتل فلسطينيين[162].

المجرم ناحوم كورمان، مسؤول الأمن في مستعمرة بيتار عيليت قرب بيت لحم، قام بقتل الطفل حلمي شوشة (12 عاماً)، وذلك بضربه على رأسه حتى مات. فصدرت بحقه عقوبة ستة أشهر خدمة مجتمعية، وغرامة 70 ألف شيكل (حوالي 17 ألف دولار). وقد شنت منظمات حقوق الإنسان والصحافة والإعلام حملة انتقادات على ذلك الحكم مما دفع المدعي العام للدولة إلى الاعتراف بأن قرار المحكمة كان خاطئاً[163].

وكان كورمان قد ظلّ طليقاً حوالي عامين بعد ارتكابه جريمة الفتك بالطفل، وأوقفته الشرطة في كانون الثاني/ يناير 1998، لتدينه المحكمة الجزائية الإسرائيلية بالقتل غير

---

[161] **القدس**، 2001/1/25، نقلاً عن: **هآرتس**، 2001/1/24.

[162] **القدس العربي**، 1999/8/19، ص 9، نقلاً عن: دادي تسوكر، **معاريف**، 1999/8/18.

[163] **السبيل**، 1999/10/5، ص 10.

ملاحظة: تمّ احتساب سعر صرف الشيكل حسب أسعار سنة 1999.

المقصود، بالرغم من بشاعة الطريقة التي ارتكب فيها جريمته، حيث طرح الطفل أرضاً ووضع قدمه على رقبته وضربه على رأسه بمؤخرة المسدس حتى الموت، وفق رواية الشهود التي قدمت للمحكمة[164].

ومع أن هذا الحكم يعدّ "مهزلة"، إلا أن لوبي المستوطنين ضغط بكل ما أوتي من قوة نحو استئنافه، لتقوم المحكمة المركزية في القدس، في آب/ أغسطس 1999، بتبرئة المجرم بالكامل، حيث جاء في قرار القاضية الإسرائيلية أن كورمان كان في وضع دفاع عن النفس بعد أن رُشِقت سيارته بالحجارة[165].

المجرم مئير كورين من مستعمرة كريات أربع في الخليل، اعتقل بعد ثلاثة أشهر من قيامه بقتل سائق سيارة الأجرة العربي هود أبو سنينة، بإطلاق النار عليه في حرش بالقدس، ولكن المحققين الإسرائيليين أطلقوا سراحه بعد تحقيق دام خمسة أيام فقط، وبدون كفالة، على الرغم من أن الفحوصات المخبرية دلت أن السائق العربي قتل بسلاح المستوطن. وقد أخذ المحققون برواية مئير كورين، الذي لم ينفِ أن البندقية التي أطلق منها الرصاص على السائق الفلسطيني هي ملكه الخاص، ولكنه ادعى أن البندقية أخذت منه عندما أصيب في حادث سير، ولا يدري من احتفظ بها[166].

كما اكتفت المحكمة المركزية في القدس في حكمها، الذي نطقت به خلال جلستها يوم 1999/1/19، بوضع المستوطن المتهم بالاشتراك في جريمة القتل، التي راح ضحيتها عبد الحميد أبو تركي (50 عاماً) من أهالي مدينة الخليل، قيد الحجز في مؤسسة إسرائيلية مغلقة لمدة سنة، كعقوبة للمتهم على دوره في الجريمة العنصرية البشعة التي شارك في ارتكابها مستوطن آخر صدر عليه حكم بالسجن لمدة عامين في محاكمة منفصلة، بعد أن تمّ تحويل التهمة من قتل على خلفية وطنية، إلى مجرد موت في حادث طرق[167].

أيضاً أصدرت المحكمة الإسرائيلية في القدس عقوبة "الإبعاد عن القدس" لمدة ثلاث سنوات، في قضية المستوطن أيال كنيان، بالرغم من اعترافه، عقب توقيفه على يد الشرطة الإسرائيلية أواخر سنة 1995، بالتخطيط لتفجير قبة الصخرة المشرفة بواسطة قذيفة

---

[164] **البيادر السياسي**، 1994/10/8، ص 26.

[165] **الرأي**، 1998/11/10، ص 45، نقلاً عن: شموئيل ميتلمان، **معاريف**.

[166] **القدس العربي**، 1999/1/21، ص 5.

[167] **القدس العربي**، 1996/7/10، ص 5.

صاروخية قام بتدريبات خاصة على إطلاقها. ولكن القضاة الذين أحالوا المستوطن، في جلسة سابقة، عقدتها المحكمة، إلى طبيب نفساني أسقطوا عنه التهمة المذكورة، وأدانوه بتهم مختلفة كلياً مثل حيازة سكين بصورة غير مشروعة، ومهاجمة ضابط في الشرطة الإسرائيلية، واكتفوا بإصدار قرار حكم مخفف بحقه يتمثل بالسجن تسعة أشهر، وحظر تواجده في مدينة القدس لمدة ثلاث سنوات[168].

وتحت عنوان "قتل العرب رخيص جداً"، كتب روني شيكد Roni Shaked وآخرون في صحيفة يديعوت أحرونوت:

> لقد اعتدنا على رخص قيمة الحياة عندنا وتحويل الحكم المؤبد بتهمة القتل بواسطة عفو الرئيس وخصم ثلث المدة إلى مهزلة المهازل، إن الحياة رخيصة جداً بالنسبة لنا، ولكن يبدو أن حياة العرب أكثر رخصاً، حقاً. إن تخفيف عقوبة شكولينك يذكرنا بتخفيف عقوبة القتلة أعضاء المنظمة اليهودية، وقتلة المسنة ميلا ملفسكي، ناهيك عن العفو الأكثر سخاء الذي حظي به منفذو مجزرة كفر قاسم وخانق الأسرى الرائد بينتو ورجال الشاباك في قضية خط 300. ولكن ذلك لا ينطوي فقط على تمييز بين دم ودم، بل ينطوي على خطر تقويض سلطة القانون. لقد أكدت المحكمة مراراً وتكراراً الخطر المترتب عن منح شرعية، عقوبات خاصة، على جرائم. ولكن يبدو أن هذا لا يردع اللجنة عن قرار الإفراج المبكر عن المنتقم الخاص[169].

القاتل يسرائيل ليدرمان Yisrael Lederman من حركة كاخ، ارتكب جريمة قتل الشاب خليل سعيد الطحان (19 عاماً)، من حيّ رأس العمود بالقدس سنة 1978، بعد شهر من زواجه بابنة عمه، حيث أطلق النار عليه قرب محطة الوقود المحاذية لمتحف روكفلر Rockefeller بمدينة القدس، انتقاماً لمقتل جندي في قوات الاحتياط، حسب ما أفاد في المحكمة المركزية. وبعد أن حُكم على ليدرمان بالسجن لمدة عشرين سنة، قرر رئيس المحكمة العليا تخفيض مدة محكوميته لمدة عشر سنوات، لم يقضِ منهن سوى ثلاث سنوات، حيث أصدر رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان

---

[168] **القدس العربي**، 2000/3/8، ص 9، نقلاً عن: روني شيكد، **يديعوت أحرونوت**، 2000/3/7.

[169] **القدس**، 1996/11/3، ص 7.

حينئذ عفواً عنه، كما استدعي للخدمة العسكرية في الجيش بعد أطلاق سراحه، وعمل مرشداً سياحياً[170].

وبعد يومين من مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، حكمت المحكمة المركزية الإسرائيلية بالقدس على ليدرمان بالسجن الفعلي لمدة ثلاثة أشهر والسجن مع وقف التنفيذ لمدة ستة أشهر، بتهمة إثارة فوضى في مطعم قرب مدينة الخليل، والاعتداء على عضو الكنيست ياعيل دايان برشقها بكوب شاي وخطف رضيع من يد أمه الفلسطينية. وقد أدان القاضي لدرمان بإلحاق أضرار عن سبق إصرار، وتجاوز الحدود والتشويش على الإجراءات القضائية، ومهاجمة موظف، لكنه رفض طلب الادعاء العام بتشديد عقوبته جراء ماضيه[171].

ولما اعتقل سكرتير مستعمرة شيلو ناثان ناثانسون، بتهمة قتل صبي من قرية سنجل بالقرب من رام الله، بعدما أصابه برصاصة في ظهره، هدد المستوطنون بتسليم أسلحتهم إذا لم يفرج عنه. وعلى الرغم من خطورة ما ارتكبه ناثانسون، والذي أدين في السابق بكسر ذراع صبي عربي في الـ 11 من عمره كان يرشق الحجارة، إلا أن المحكمة الإسرائيلية سرعان ما خففت الجرم إلى القتل غير العمد، ثم أطلقت سراحه بكفالة[172].

أما الموقوفين في قضية إطلاق صاروخ لاو LAW rocket على حافلة عربية في القدس سنة 1984، وجميعهم من المستوطنين الذين يؤدون الخدمة العسكرية النظامية، فإن الجيش الإسرائيلي لم يبلغ عن سرقة أي صاروخ من مستودعات الجيش منذ غزو لبنان سنة 1982، كما أن التهمة التي وجهت إلى ديفيد بن شيمول هي "إطلاق صاروخ" فقط، دون أن يأتي الاتهام على ذكر الشهيد أو الجرحى الذين سقطوا ضحية لهذا العمل الإرهابي.

في حينه، حكمت المحكمة الإسرائيلية على شيمول بالسجن المؤبد، غير أنه تمّ تخفيض فترة محكوميته بسبب سلوكه الجيد، مع أنه ارتكب إلى جانب جريمة إطلاق الصاروخ هجوماً آخر بقنبلة على مطعم عربي أسفر عن إصابة 19 شخصاً بجروح، وبعد أن

---

[170] مازن حماد وعامر طهبوب ونادر طهبوب، **مرجع سابق**، ص 131.

[171] جيفري أرونسون، **سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية**، ص 298-299.

[172] **القدس**، 1995/9/20، ص 11.

خفض الرئيس الإسرائيلي العقوبة مرتين، أطلقت السلطات الإسرائيلة سراح المستوطن بعد أن أمضى 11 عاماً في السجن[173].

وبعد أن استمر النظر في القضية أكثر من أربع سنوات، قضت محكمة سير في مدينة بئر السبع ببراءة المستوطن هيرزل بوكوزا من تهمة القتل المتعمد في جريمة سحق سيارتين عربيتين وقتل أربعة عمال والتسبب في إطلاق الشرارة التي أشعلت الانتفاضة الفلسطينية سنة 1987، وأطلقت سراحه[174].

وقضت محكمة الصلح الإسرائيلية في مدينة عسقلان، بإطلاق سراح المستوطن آمنون حيفر، المتهم بقتل فتى يبلغ من العمر 14 عاماً، في 1993/2/19، بحجة أن الفتى قذف الحجارة على سيارته[175].

وبعد مُضي 48 ساعة على مقتل الشاب نعيم المدهون من جباليا، سلم المستوطن إيلان لسلر، الضابط الاحتياط في الجيش الإسرائيلي برتبة رائد وسكرتير مستعمرة غاني طال في قطاع غزة، نفسه للشرطة الإسرائيلية معترفاً بأنه أطلق النار باتجاه العمال الفلسطينيين عند حاجز إيريز وتسبب بمقتل المدهون، ولكن الشرطة الإسرائيلية أطلقت سراحه بعد استجوابه لفترة قصيرة، بعد أن ادعى أنه أطلق النار، إثر تعرض سيارته للرشق بالحجارة، الأمر الذي نفاه العمال بشدة، ومعهم قائد الدورية العسكرية[176].

تلميذا المعهد الديني اليهودي توم ديل وزئيف ديك، اللذين أطلقا النار سنة 1997، فقتلا عصام عرفة في الخليل، أطلق سراحهما، واكتفت المحكمة الإسرائيلية بالطلب منهما فقط، ألا يقتربا من الخليل لمدة ثلاثة أشهر، وقد اقترح حاخام المعهد الديني اليهودي في مغارة الماكفيلا بالخليل، المحسوب على المعتدلين بين مستوطني الخليل منح وسام للقاتلان[177].

---

[173] **الحياة**، 1992/3/7، ص 3.

[174] **فلسطين الثورة**، 1993/3/21، ص 17.

[175] **البيادر السياسي**، 1993/3/20، ص 50.

[176] **القدس العربي**، 1997/4/14، ص 7، نقلاً عن: جدعون ليفي، **هآرتس**، 1997/4/13.

[177] **الدستور**، 1998/10/1، ص 34، نقلاً عن: جدعون ليفي، **هآرتس**، 1998/9/28.

قدمت السلطات الإسرائيلية من بين 48 جريمة قتل ارتكبها المستوطنون بين 1983-1992، 12 لائحة اتهام فقط ضدّ من "يتساهلون باستخدام السلاح"، مستوطن واحد فقط أدين بالقتل، وواحد فقط أدين بالقتل غير العمد، حكم بثلاث سنوات سجن.

المجرم إيشالوم لادني الذي أطلق النار على الفتى إياد قرابصة فأرداه قتيلاً، وجرح الصبي عيسى جبارين، اعتقل وأطلق سراحه سريعاً، بعد أن تدخل مجلس المستوطنات وممثلوه كي لا يقضي المستوطن القاتل عيد "الكيبوريم" وهو في السجن[178]. وفي 1998/9/20، قضت محكمة إسرائيلية في القدس بإطلاق سراح المستوطن لادني، ووضعه قيد الإقامة الجبرية في نزل للشباب في القدس حتى يقرر القاضي مصيره لاحقاً، مع أن التحاليل البالستية التي أجريت على الرصاصة التي قتلت قرابصة أكدت أن مصدرها سلاح لادني الذي تذرع بالدفاع الشرعي عن النفس لتبرير تصرفه[179].

المحكمة العليا في تل أبيب قررت في 2001/2/20، بأغلبية أربعة مقابل ثلاثة قضاة، الإفراج عن المجرم يورام سكولنيك الذي أطلق النار من الخلف على موسى أبو صبحة بعد اعتقاله وتقييد يديه بالقرب من مستعمرة سوسيا في الخليل. وكان سكولنيك يمضي عقوبة بالسجن المؤبد، غير أن الرئيس الإسرائيلي عيزر وايزمان أمر بتخفيض العقوبة مرتين لتصبح 11 عاماً فقط، لتقوم لجنة العفو في مصلحة السجون بالإفراج عنه بعد أن أمضى نحو سبعة أعوام ونصف من فترة حكمه المخففة.

كما أطلقت السلطات الإسرائيلية سراح ثلاثة مستوطنين اتهموا بإطلاق النار على فلسطيني، كان يرعى ماشية جنوب الخليل، وأصابته بجراح خطيرة، بدعوى "نقص الأدلة"، وادعى المستوطنون أنه لا علاقة لهم بإطلاق النار[180].

واتضح من تحقيق أجرته صحيفة معاريف أن لجنة الإفراجات بوزارة العدل الإسرائيلية مخولة بصورة طبيعية وقانونية بصلاحية تخفيض العقوبات وإصدار قرارات الإفراج عن المستوطنين الذين أدينوا بجرائم قتل ارتكبوها ضدّ عرب في الضفة الغربية.

---

[178] **الحياة**، 1998/9/21، ص 3.

[179] **القدس**، 2001/3/13، ص 2.

[180] **القدس العربي**، 1997/10/22، ص 5، نقلاً عن: شلومو تزنا، **معاريف**، 1997/10/21.

ومن الأمثلة على تخفيف العقوبات على المستوطنين:

- أفرجت سلطات الاحتلال عن زئيف فولف وغرشون هيرشكوبتس اللذين حكما بالسجن لمدة عشرة أعوام بعد إدانتهما بإلقاء قنبلة يدوية في سوق بالقدس، بعد أن أمضيا ثلاث سنوات من عقوبتهما. وتقرر تخفيف عقوبة نحاميا مشباوم Nehemia Mishbaum الذي شارك في الحادث نفسه وحكم لمدة 15 عاماً إلى 12 عاماً.
- كان قد حُكِم على إيلي فعنونو Eli Vanunu، الذي أدين بقتل عامل وقود عربي بالسجن المؤبد، غير أنه تمّ تخفيف حكمه إلى عشرين عاماً من السجن، أما نير عفروني Nir Efroni الذي شارك في هذه العملية، فقد حكم بالسجن لمدة 22 عاماً، وتمّ تخفيف عقوبته إلى 15 عاماً.
- تمّ تخفيف عقوبة نحشون فولس الذي أدين بقتل امرأة عربية قرب كريات أربع إلى 13 عاماً من السجن[181].
- عامي بوبر حُكِم بالسجن المؤبد سبع مرات بتهمة قتل سبعة مواطنين عرب في أيار/ مايو سنة 1990 وحدد الرئيس مدة عقوبته بأربعين عاماً، غير أنه خصم عنه ثلث المدة بسبب سلوكه الحسن.
- دانييل مورلي Daniel Morali حُكِم بالسجن المؤبد بعد إدانته بقتل عربي كان يصلي على جانب الطريق سنة 1995، أفرج عنه بعد سبع سنوات، بعد خصم ثلث المدة.
- إيتان كهلاني حُكِم بالسجن لمدة 12 عاماً بعد إدانته بمحاولة قتل فلسطيني كان يسير على طريق ترابية قرب القدس، وخفض الرئيس مدة حكمه إلى أربعة أعوام وأفرج عنه.
- إبراهام فعكنين قتل عاملاً عربياً وحكم بالسجن المؤبد، في البداية تحددت مدة الحكم بـ 25 عاماً، ولكن تمّ تخفيضها إلى عشرة أعوام، وأفرج عنه بعد خصم ثلث المدة.
- يورام سكولنيك حكم سنة 1994 بالسجن المؤبد بعد إدانته بقتل فلسطيني، وفي سنة 1997 حدد الرئيس مدة حكمه بـ 15 عاماً، وأفرج عنه يوم 2000/3/6 من قسم المتدينين في سجن أيالون في الرملة. وبرر أعضاء اللجنة قرار الإفراج المبكر بأن سلوك سكولنيك في السجن كان إيجابياً، وأنه ينوي فتح صفحة جديدة في حياته، إضافة إلى ذلك أشار أعضاء اللجنة إلى أن الأوساط الأمنية لم تعارض الإفراج عنه[182].

---

[181] **القدس**، 1995/9/12، ص 2، و1995/9/20، ص 11.

[182] **القدس العربي**، 2000/3/8، ص 9، نقلاً عن: روني شيكد، **يديعوت أحرونوت**، 2000/3/7.

ولتهدئة اليمين الإسرائيلي المتطرف بعد إفراج حكومة نتنياهو عن معتقلين فلسطينيين وأردنيين، من أجل الإفراج عن عميلي الموساد المتورطين بمحاولة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل سنة 1997، أفرجت الحكومة الإسرائيلية عن مستوطن متهم بقتل فلسطيني في اعتداء وقع في حرم المسجد الأقصى سنة 1982[183].

ولتوضيح أشمل للنفسية والأيديولوجية التي تحكم سكان المستعمرات، يشار لانتخاب زئيف هيفر Zeev Hever في أيلول/ سبتمبر 1989، كسكرتير عام لحركة الاستيطان. وهو واحد من أعضاء التنظيم السري المسؤول عن تفجير رؤساء البلديات العرب، وحكم عليه بالسجن لسنوات، ولكنه لم يقضِ سوى 11 شهراً وخرج "لأسباب صحية"، بل إن بعض القيادات التي أيدت انتخابه، قالت إن لديه ديناميكية وقدرة فائقة على العمل وقد أثبت ولاءه.

ومن الحوادث التي أدت لانفجار الانتفاضة، كان مقتل الفتاة إنتصار العطار، من مخيم دير البلح بقطاع غزة، على يد المستوطن شيمون يفرح Shimon Yifrah، من مستعمرة جوش قطيف، يوم 1987/11/10، وفي 1989/10/23، أقرت محكمة بئر السبع التهمة على المستوطن، ولكنها أصدرت عليه حكماً بالسجن لمدة سبعة شهور مع وقف التنفيذ. وفي اليوم نفسه، أصدرت محكمة غزة العسكرية حكماً على الفلسطيني محمود عودة بالسجن الفعلي تسعة أعوام بتهمة إلقاء قنبلة مولوتوف "كان القصد منها إيذاء جيش الدفاع"، بالرغم من أنها لم تصب بالضرر أي شخص كان.

الحاخام موشيه ليفنغر قتل بسلاحه، وأمام الشهود، كايد عبد العزيز صالح في وسط مدينة الخليل يوم 1988/9/30. وبعد أن جمعت الشرطة المعلومات الكافية، طلبت تقديم ليفنغر للمحاكمة، لكن المدعي العام رفض قبول المعلومات، وطلب الأشرطة المشفعة بأقوال الشهود. وفي مطلع أيار/ مايو سنة 1990، توصل محامي ليفنغر مع القاضي لمساومة يعترف فيها الحاخام بالقتل على أن تتحول التهمة من القتل المتعمد إلى التسبب في القتل عن طريق الإهمال، وحكم عليه بالسجن لمدة

[183] **الرأي**، 1997/10/21، ص 24.

خمسة شهور ابتداء من 1990/5/14، وكان خلال الفترة الماضية كلها مثل بقية المستوطنين يتجول بسلاحه في الخليل. وأعلنت مستعمرة كريات أربع الإضراب العام، حين توجه الحاخام لتنفيذ الحكم[184].

جدول 4/2: النسبة المئوية لتوزيع جرائم المستوطنين اليهود خلال سنتي 2006 و2007 حسب المحافظات (%)[185]

المنطقة	2006	2007
محافظة الخليل	75	62
محافظة نابلس	10	19
محافظة بيت لحم	5	5
محافظة طولكرم	0	5
محافظة سلفيت	0	4
محافظة القدس	0	3
محافظة أريحا	1	0
محافظة جنين	2	1
محافظة قلقيلية	6	1

4. تغطية قانونية:

وفيما يتزايد إرهاب المستوطنين ويتوسع دورهم الأمني، تحاول الحكومة أن تؤمن التغطية القانونية لممارساتهم من خلال منحهم المزيد من الصلاحيات، بحجة السماح لهم بحماية أنفسهم من "تحرشات واعتداءات" السكان العرب. وليس هذا فحسب، إذ تابع عضو الكنيست ديدي تسوكر Dedi Zucker من حركة ميرتس اليسارية عينة عشوائية تضم أربعين شكوى قضائية بشأن مستوطنين تورطوا في عمليات قتل ضدّ فلسطينيين، فوجد أنه لم يتم تقديم سوى خمس منها للمحاكمة. كما أشار إلى أن الشرطة الإسرائيلية أغلقت 16 ملفاً بذريعة أنها لم تتمكن من تحديد هوية المتورطين في قضايا

[184] **الشرق الأوسط**، 1990/5/19.

[185] التقرير السنوي للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، ص 49.

القتل، وإطلاق العيارات النارية. كما أغلقت خمسة ملفات منها بحجة عدم إلقاء القبض على المشتبه بهم[186].

ولذلك، عندما نتحدث عن دولة المستوطنين الإرهابية القائمة في الضفة الغربية بشكل عام، وفي منطقة الخليل بشكل خاص، فإننا لا نبالغ في ذلك أبداً، ذلك أن المستعمرات عبارة عن ترسانات مسلحة أولاً، وعبارة عن مستنبتات أو دفيئات لتفريخ الفكر السياسي والأيديولوجي الإرهابي اليهودي ثانياً، ودفيئات أيضاً لتشكيل وانطلاق التنظيمات والحركات الإرهابية السرية ثالثاً، فضلاً عن كونها قوة ضغط هائلة على قرارات الحكومة الإسرائيلية ونهجها الاستيطاني والتنكيلي ضدّ الفلسطينيين رابعاً، وذلك على الرغم من الحقيقة الساطعة المتمثلة بالتعاون والتكامل القائم بين الجانبين، فلا تعارض ولا تناقض قطعياً ما بين الدولة الإسرائيلية بمؤسساتها وأجهزتها السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والإدارية والمالية، وسياساتها الاستيطانية، وما بين دولة المستوطنين المنفلتة في الأراضي المحتلة من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها.

ولذلك كله، فإن المستعمرات تشكل "قنابل موقوتة في أتون الضفة، والمستوطنون فيها يصبون الزيت على النار". "فهم يعيثون فساداً بلا توقف، وقضيتهم ستبقى قضية متفجرة". وعززت صحيفة معاريف الإسرائيلية الحقائق أعلاه بكشفها النقاب قائلة: "حسب معطيات الشرطة الإسرائيلية، فإن أشد المشاغبين من المستوطنين، هم أولئك الذين يعدون التنكيل بالفلسطينيين مهمة دينية"[187].

الصحفي الإسرائيلي تسفي برئيل Zvi Bar'el نشر تحقيقاً عن دولة المستوطنين السيادية في الخليل، تطرق فيه إلى أسلوب تعامل هؤلاء المستوطنين مع القانون، ويقارن ذلك بما هو معمول به داخل حدود الدولة العبرية، نقتطف منه ما يلي: عندما ينطق صوت الشرطي في مكبر الصوت قائلاً: على السيارة نوع "كذا" أن تتوقف إلى جانب الطريق، فإن السائق يشعر بالارتباك، وتنطلق عيناه في نظرة خاطفة وسريعة إلى عداد السرعة، وتنطلق يده نحو أوراقه يتفحص فيما إذا كانت كاملة، ويسائل نفسه: ما الذي فعلته كي يوقفني!

---

[186] مازن حماد وعامر طهبوب ونادر طهبوب، **مرجع سابق**، ص 159.

[187] نواف الزرو، حقائق عن دولة المستوطنين في الضفة، **الدستور**، 2007/12/28.

هكذا تجري الأمور في "إسرائيل"، أما في دولة المستوطنين في مدينة الخليل، فإن الشرطي لا يستطيع توجيه مثل هذا الأمر. فعندما تستدعي الشرطة أحد المستوطنين للحضور إلى الشرطة، فإنه يتعامل مع الاستدعاء كما يتعامل مع الدعوة لحضور معرض تسوق، ويذهب إذا ما كان لديه الوقت الكافي لذلك، وهذا ما فعله باروخ مارزيل، قال: سأذهب إلى هناك عندما أجد الوقت الكافي لذلك، ومن يعرف، ربما أنه لن يجد هذا الوقت، ومن الجدير بالذكر أن مارزيل ليس الوحيد الذي يفعل ذلك.

وعندما حاول رجال الشرطة اعتقال فيدرمان وزوجته، بتهمة صفع شرطي، قاومهم بالقوة، وذلك لأن رجال الشرطة اليهود كرجال الشرطة الفلسطينيين، أعداء لسكان دولة اليهود الجديدة في الضفة الغربية، أما الجنود الإسرائيليون، فهم نازيون، مثلما يلقبونهم، فالمستوطنون في الضفة الغربية لا يرون أن صلاحيات الشرطة والجيش الإسرائيلي تنطبق عليهم، فلديهم جيشهم الخاص الذي تمّ تحديد أهدافه بصورة جيدة، ولديهم كتائب من الشبيبة والأولاد القادرة على إلقاء صناديق التفاح والبطاطا من فوق بسطات الفلسطينيين، ولديهم "سلاح نسائي" مدرب جيداً على إطلاق "البصاق"، ولديهم أبراجهم وأسوارهم المتمثلة في مباني"هداسا" Hadassah و"أبونا إبراهيم"، و"تل الرميدة".

لقد أنشأ المستوطنون دولة سيادية في الخليل من أحياء متناثرة، وبالرغم من أنهم ما زالوا حتى الآن يرفضون العلم الإسرائيلي على دولتهم، إلا أن رفعهم له، لا يزيد في طبيعته عن رفع العديد من السفن لعلم بنما، ذلك العلم، الذي يعدّ مريحاً، ويسمح لها بالإبحار في أي مكان بحرية.

والقانون الذي ينطبق على المستوطنين لا ينطبق على جميع الإسرائيليين، فبعض هذا القانون عثماني، وآخر أردني، وثالث إسرائيلي، ورابع هو بمثابة مجموعة من الأوامر العسكرية، أي أنه بمثابة نُتَف صغيرة من هنا وهناك تتوافق مع احتياجات المستوطنين[188].

رئيس قسم تطوير نظريات القتال في رئاسة الأركان الإسرائيلية أقرّ من جهته، أن العلاقة بين الجيش الإسرائيلي والمستوطنين تقوم على "صداقة حميمة"، وأنه بسبب

[188] **الرأي**، 1998/9/7، ص 38، نقلاً عن: تسفي برئيل، **هآرتس**، 1998/9/5.

هذه "الصداقة" لم يقم الجيش الإسرائيلي بدوره في إحباط الاعتداءات التي ينظمها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين؛ حيث عكف الجيش الإسرائيلي على التستر على هذه الجرائم والتهاون مع مرتكبيها، واستهجن أن يطلب من الجيش الإسرائيلي إزالة البؤر الاستيطانية التي أقامها المستوطنون بدون علم الحكومة، مشدداً على أن الجيش نفسه هو الذي غضّ الطرف عن بناء هذه البؤر، وبالتالي لا يمكن أن يتوقع منه أن يقوم بإزالتها.

وأكد الجنرال بزاك أن مصدر قوة المستوطنين تكمن في حجم وقوة الغطاء السياسي الذي يتمتعون به، من خلال تمثيلهم الكبير في الكنيست، الأمر الذي منح المستوطنين الثقة بأنه يمكنهم عمل أي شيء دون أن يدفعوا ثمناً عليه.

وعدَّ الجنرال الإسرائيلي أن الأحزاب السياسية تقوم بـ"تدليل" المستوطنين على نطاق واسع، محذراً من تداعيات ذلك على مستقبل "إسرائيل". وانتقد بشدة تساهل الجهاز القضائي الإسرائيلي مع الجرائم التي يرتكبها المستوطنون، مؤكداً أن الجهاز القضائي يكيل بمكيالين في كل ما يتعلق بالجنح التي يرتكبها المستوطنون والفلسطينيون. واستهجن بزاك أن تحكم المحاكم الإسرائيلية بالسجن بغرامة مالية بسيطة على المستوطنين الذين يدانون بقتل فلسطينيين، في الوقت الذي تصدر أحكام طويلة بالسجن على فلسطينيين لقيامهم بإلقاء حجارة[189].

الحاخامات من جهتهم يؤمنون التغطية الدينية التوراتية للأعمال التي يقوم بها المستوطنون، والتي تجاوزت موضوع تقديم الفتاوى إلى المشاركة الميدانية في قتل الفلسطينيين والاعتداء على ممتلكاتهم، والتاريخ الإجرامي للمستوطنين حافل بصور عدة، نشير إلى إحداها وهي المتعلقة بالحاخام عيدو ألبا Ido Elba.

هذا الحاخام أعد فتوى تقع في 19 صفحة بعد شهر واحد من مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف تحت عنوان "توضيح فرائض قتل الغرباء"، كتب فيها: " طالما أن الحرب لم تحسم، فإن الفرائض الإلهية تأمرنا بقتل جميع الغرباء، حتى الأطفال والنساء".

ويوضح الحاخام في فتواه مسألة قتل الأطفال والنساء على النحو التالي: "على الرغم من أن الأطفال والنساء لا يعرضون حياة قاتلهم للخطر، إلا أنهم يساعدون العدو في مواصلة الحرب... والنهي عن القتل وسفك الدماء الوارد في الشعائر اليهودية لا يتعلق

[189] جنرال إسرائيلي: ندع المستوطنين يقتلون الفلسطينيين، موقع صحيفة **يديعوت أحرونوت**، 2001/7/19.

باليهودي الذي يقتل من هو غير يهودي، ولا يجب معاقبة أي يهودي يقتل أجنبياً". ويضيف: "إن الغرباء الذين يتمسكون بأديانهم، والتي يمكن أن تعدّ في نظر اليهود كافرة، وتتناقض وديمومة التوراة، والذين يعتقدون بضرورة إقناع أصحاب الديانات الأخرى بتبني ديانتهم، مثل المبشرين والمسلمين المؤمنين بالجهاد، فإن الفرائض تقضي بقتلهم".

ويقول أيضاً:

> إن شنّ الحرب يعتبر واجباً مقدساً ضدّ أولئك الذين يعلنون عن زعمهم المساس باليهود وممتلكاتهم لدفعهم للتخلي عن مستوطناتهم، ولا يجب أن نستنكف عن خوض هذه الحرب حتى في أيام السبت. وواجب الحرب ملقى على عاتق الجماهير والأفراد أيضاً عندما تتوفر فرص النصر، بيد أن الفرد غير ملزم بتعريض نفسه للخطر عندما لا تأخذ الجماهير على عاتقها مهمة الحرب، وعلى كل فرد أن يبذل قصارى جهده من أجل إنقاذ شعبه.

اعتقل الحاخام عيدو ألبا في أيلول/ سبتمبر سنة 1994، باعتبار أنه أحد الشخصيات المركزية والزعيم الروحي للحركة السرية اليهودية في مستعمرة كريات أربع، فقد كان يخطط لارتداء ملابس جندي إسرائيلي، وسرقة أسلحة من الجيش الإسرائيلي، وكواتم صوت للمسدسات للقيام بعمليات قتل للعرب[190].

يقبع في السجون الإسرائيلية منذ سنوات عديدة العشرات من الأسرى الفلسطينيين من مواطني فلسطين المحتلة سنة 1948. وغالبيتهم الساحقة تمت إدانتهم في عمليات لم يقتل فيها أي شخص، وقلة قليلة هي المحكومة بقضايا قتل، وبعضهم ينفي مشاركته في العمليات منذ سنوات طوال. وعلى الرغم من سلسلة من المفاوضات حول تبادل الأسرى مع دول عربية ومع جهات فلسطينية، إلا أن قوائم الأسرى هؤلاء لم تكن تصل إلى طاولة المفاوضات بإصرار إسرائيلي، بادعاء أنهم "مواطنون إسرائيليون". ويسري هذا الوضع أيضاً على الأسرى الفلسطينيين مواطني القدس المحتلة، بادعاء أنهم يحملون بطاقات هوية إسرائيلية، "ولا حقّ لأي جهة خارجية بطرح قضيتهم".

[190] **الرأي**، 1994/10/2، ص 16، نقلاً عن: **معاريف**، 1994/10/1.

ولكن في داخل السجون، فإن معاملتهم لا تختلف عن معاملة سائر الأسرى الفلسطينيين من الضفة والقطاع والأسرى العرب من الدول العربية. ولا تطبق الحكومة الإسرائيلية عليهم أياً من قوانين وأنظمة سير حياة السجناء المدنيين والجنائيين لديها، بمعنى الحق بالعطلة وزيارة البيت كل فترة معينة، والالتقاء بأهاليهم مرّة أسبوعياً، والاتصال الهاتفي. ولكن، الأخطر من ذلك أنها ترفض أيضاً منحهم "عفو الثلث"، وهو العفو الذي يمنح للسجناء الإسرائيليين ويتمّ فيه خصم ثلث المحكومية، بمن فيهم الإرهابيون اليهود الذي يحصلون على عفو أكثر بكثير، في إطار ما يسمى "حسن السلوك في السجون".

كما أن مؤسسة الرئاسة الإسرائيلية التي لها صلاحيات العفو تتشدد في التعامل مع هؤلاء السجناء تنفيذاً لأوامر استخباراتية وسياسية عليا. عدا عن ذلك، فإن السجن المؤبد غير محدد، وتحديده هو من صلاحية مؤسسة رئاسة الدولة الإسرائيلية، ولهذا فإننا نرى أن السجن المؤبد في الحالات الجنائية يتراوح عادة بين 20-25 عاماً، وهناك حالات أقل، وحالات نادرة جداً تصل إلى ثلاثين عاماً.

أما حين يجري الحديث عن إرهابيين يهود، وهذا ما سنلحظه، فإن السجن المؤبد قد يصل إلى أقل من ست سنوات، كما في حالة الإرهابي عامي بوبر الذي ارتكب مجزرة ريشون لتسيون، وحكم عليه بالسجن سبعة مؤبدات، جعل رئيس الدولة مجموعها أربعين سنة فقط! وفي المقابل، حكم مؤبد واحد على فلسطيني أصبح، "بقدرة قادر"، أربعين سنة.

- الإرهابي ديفيد بن شيمول، أطلق قذيفة على حافلة ركاب مليئة بالعرب، فقتل نتيجة لذلك شخص وأصيب العشرات، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد. وبما أن الحكم المؤبد ليس محدداً وتحديده هو من صلاحية رئيس الدولة، فقد حدده في حينه بـ 17 عاماً فقط، ولكن أطلق سراحه بعد 11 عاماً من جريمته.
- الإرهابي نحشون فولس، قتل سنة 1990 الفلسطينية عزيزة جابر حين كانت حاملاً وفي طريقها للولادة، فحكم عليه بالسجن المؤبد، ولكنه حصل على عفو رئاسي وخرج من السجن بعد خمسة أعوام.

- الإرهابي نير عفروني، قتل فلسطينياً وأطلق سراحه بعد خمسة أعوام.
- الإرهابي ألان هاري جودمان، قتل مصلين اثنين في باحة المسجد الأقصى المبارك سنة 1982، فحكم عليه بالسجن المؤبد ولكن أطلق سراحه بعد 15 عاماً.
- الإهاربيون داني آييزنمان Danni Eisenman وميخال هيلل وجيل فوكس Gil Fuchs، قتلوا سائق التاكسي خميس توتنجي، وحكم عليهم بالسجن المؤبد، فأطلق سراح هيلل بعد ستة أعوام، وأطلق سراح الاثنين الآخرين بعد أقل من عشرة أعوام.
- الإرهابيون "فتيان كهانا"، قتلوا سنة 1992 مسناً في سوق البلدة القديمة في القدس، وحكم عليهم بالسجن بين 8-12 عاماً، وبعد أربعة أعوام حصلوا على عفو رئاسي وأطلق سراحهم.
- الإرهابي يورام سكولنيك، قتل بدم بادر سنة 1993 أسيراً فلسطينياً مقيد اليدين، وحكم عليه بالسجن المؤبد وأطلق سراحه بعد سبعة أعوام.
- الإرهابي دانيال موريال، قتل سنة 1994 سائق الشاحنة حسن سلايمة، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وتمّ تحديد الحكم عليه بحوالي عشرين عاماً.
- الإرهابي عامي بوبر، نفذ سنة 1990 مجزرة ريشون لتسيون وقتل سبعة عمال فلسطينيين وأصاب 14 آخرين، وحكم عليه بالسجن سبعة مؤبدات، ولكن رئاسة "الدولة الإسرائيلية"، حددت حكمه بالسجن لأربعين عاماً، بدلاً من 210 أعوام. وليس هذا فحسب، بل إن هذا الإرهابي الخطير يحظى بشروط "فندق"، فخلال هذه الفترة سمح له بالزواج وإنجاب أولاد وله خمسة أبناء، وهو يقضي جلّ ساعات اليوم خارج السجن في المعاهد الدينية، ويمضي يومي الجمعة والسبت في بيته، بالإضافة إلى عطل الأعياد وعطل عادية من السجن. وبهذه الشروط يعني أنه سيمضي على الأكثر ثلثي المدة، بمعنى 26 عاماً، أي سيطلق سراحه بعد عشرة أعوام، وقد يكون قبل هذا بكثير.
- حتى الإرهابي إيجال عامير، الذي قتل رئيس الحكومة الإسرائيلية إسحق رابين، لأنه وقع اتفاقيات أوسلو، وحكم عليه بالسجن المؤبد، فإن شروط سجنه مخففة، ويحظى بزيارات عائلية حرّة وأسبوعية، ومن دون أي حواجز بينه وبين زائريه كما هي الحال مع السجناء العرب[191].

[191] صحيفة **المشهد الإسرائيلي**، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، 2005/4/15.

- كما قرر قاضي محكمة الصلح في بتاح تكفا إطلاق سراح المستوطن حاييم فرلمان Chaim Pearlman، وتحويله إلى الحبس المنزلي بعد شهر من اعتقاله من قبل الشاباك للاشتباه به بقتل أربعة فلسطينيين. وعلى الرغم أن شاهداً فلسطينياً كان ضحية لمحاولة قتل تمكن من التعرف على فرلمان وتشخيصه، إلا أن القاضي رفض الشهادة بدعوى أن صور المتهم نشرت في الصحف، وقرر تحويله إلى الحبس المنزلي لدى والديه في مستعمرة تقواع. وإضافة الى الاشتباه بقيامه بقتل أربعة فلسطينيين، تشتبه المخابرات أن فرلمان حاول قتل سبعة فلسطينيين آخرين. كما أن المخابرات قدّمت تقريراً سرياً للمحكمة حول تورط المتهم في عمليات القتل الإرهابية[192].

رابعاً: ضحايا الإرهاب:

الحديث عن المستوطنين وإرهابهم لا يكتمل دون الحديث عن ضحايا هذا الإرهاب. فكما لعبت المستعمرات وسكانها دوراً رئيسياً في إقامة "إسرائيل"، وشاركت في المعارك الإرهابية والحروب الرسمية، فهي تمارس الدور نفسه الآن في مخطط توسيع حدود الدولة. ولا يتوانى المستوطنون عن عمليات القتل والإرهاب، وبرضا وسكوت من جانب السلطات الرسمية الإسرائيلية مما يستحيل معه التفريق بين مستوطنين وجيش ومؤسسة حاكمة ورأي عام، ولا ينكر الصهاينة هذا الترابط الفكري والتنفيذي حتى على أعلى المستويات.

وتنوعت أدوات القتل التي استخدمها المستوطنون بين إطلاق النار والرشق بالحجارة والدهس بالسيارات وغيرها. ولكن في جميع الحالات التي أقدم فيها مستوطنون على قتل فلسطينيين، لم تكن هناك أي حالة دفاع عن النفس، بل إن الكثير من حالات الاعتداء على الفلسطينين وممتلكاتهم كان يقوم بها المستوطنون من أجل العنف نفسه، أو بسبب حقد أعمى ضدّ الفلسطينيين، أو كردود أفعال على تعرضهم للرشق بالحجارة من الفتية الفلسطينيين، ولكن حتى في الحالة الأخيرة، فإن ذلك لا يعطيهم الحقّ في أن يأخذوا القانون بأيديهم كيفما يحلو لهم.

[192] المركز الفلسطيني للإعلام، 2010/8/11.

ولكن الأمر الخطير هو أن يقوم المستوطنون بتنظيم هجمات مخططة ضدّ القرى والمخيمات الفلسطينية، مثل ما وقع في قرية حوسان وفي الهجمات على سوق الخضار في الخليل وعلى منطقة المواصي في قطاع غزة، وذلك في محاولة للخروج من الظروف الأمنية الصعبة التي اختار المستوطنون أن يعيشوا فيها، أو كمحاولة لطرد العرب من مناطق محددة في الضفة الغربية. وهذا السبب الأخير له دلائل في أقوال وشعارات المستوطنين أنفسهم، مثل "الموت للعرب" أو "كهانا كان على حقّ".

هناك مستعمرات معينة باتت معروفة بكرهها الشديد للعرب وقيام ساكنيها بالهجوم على الفلسطينيين بشكل مستمر، مثل يتسهار وإيتمار وبراخا في الشمال قرب نابلس، وكريات أربع في الخليل، وبيتار عيليت قرب الخضر. ولقد أصبحت جولات الشغب والتخريب التي يقوم بها المستوطنون في البلدة القديمة في الخليل أمراً روتينياً يجد فيه المستوطنون التسلية والترفيه، فيما تتضاعف معاناة المواطنين الفلسطينيين.

هجمات المستوطنين واعتداءاتهم تلقى دعماً وتشجيعاً من المستويين السياسي والأمني في "إسرائيل"، فمجلس المستوطنات اليهودية "يشع"، ومعه الحاخامات والحكومة الإسرائيلية يتحملون المسؤولية السياسية والدينية في الأمر، بينما تقع المسؤولية الأمنية على الجيش الإسرائيلي والشرطة اللذين عليهما أن يقوما بفرض وتطبيق القانون بغض النظر عن ديانة أو قومية من يقوم بالاعتداء.

فالحكومة الإسرائيلية، على سبيل المثال، لم تقم برفض أو حتى شجب العقوبة الخفيفة جداً والمخزية التي صدرت ضدّ القتلة من المستوطنين، وهذا الأمر يعدّ تشجيعاً على القيام بجرائم مشابهة ضدّ الفلسطينيين في المناطق المحتلة. إن حقيقة أنه لم يقم أي رئيس وزراء إسرائيلي باستنكار الأحكام المخففة لقتلة من أمثال ناحوم كورمان والحاخام موشيه ليفنغر وبواز موسكوفيتش، تساعد في إيجاد ثقافة إسرائيلية تقبل أي عنف أو جرائم يكون ضحاياها من الفلسطينيين، بل إن الحكومة الإسرائيلية لم تعمل شيئاً حيال النتائج الخطيرة والمخجلة التي قدمتها لجنة كارب سنة 1984، أو تقرير مؤسسة بتسيلم حول "تطبيق القانون" سنة 1994.

وما زال الجيش الإسرائيلي يقف موقف المتفرج، يشاهد المستوطنين يطلقون النار ويلقون الحجارة ويضربون الفلسطينيين، كما ولا يقدم الذين يشاهدون ذلك أية

شكاوى إلى الشرطة. وما تزال الشرطة الإسرائيلية لا تقبل شكاوى الفلسطينيين بشكل مقبول، بل وتُوجد الصعوبات من أجل ذلك، فترفض متابعة أية شكاوى، أو تقوم بذلك باسترخاء ليس فيه أية جدية. وباختصار، ترفض أخذ الشكاوى الفلسطينية مأخذ الجدّ، بل وتقوم بحماية المستوطنين الذين يعتدون على الفلسطينيين من خلال عدم التحقيق معهم، أو التساهل في التحقيق إذا تمّ فعلاً.

وما يزال القضاء الإسرائيلي يتعامل بمعايير مزدوجة بالنسبة لتطبيق القانون، فالأحكام التي تصدر على المستوطنين متساهلة ومخففة بشكل كبير جداً مقارنة بما يصدر من أحكام ضدّ الفلسطينيين، وذلك لأن كل فئة تحاكم وفق قانون مختلف. وهذه الحقيقة تؤدي إلى التقليل من قيمة حياة الفلسطيني، وتشير إلى أن العنف ضدّ الفلسطينيين يعدّ أقل خطورة وجدية من العنف ضدّ الإسرائيليين.

بالنظر إلى الإحصاءات المتعلقة بضحايا إرهاب المستوطنين، والتي تشير إلى 318 شهيداً فلسطينياً، يتأكد الخطر الاستراتيجي القريب لهؤلاء المستوطنين الذين تحولوا إلى رأس حربة التوسع الصهيوني، وعمليات قتل العرب في الوقت نفسه. ومن هنا، ندرك إصرار الحكومة الإسرائيلية على تأجيل بحث قضية الاستيطان في اتفاقية أوسلو إلى ما يسمى بالمرحلة النهائية، وندرك أيضاً أسباب رفض الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة نداءات المجتمع الدولي بوقف توسع هذا الاستيطان، وعدم الالتزام بالاتفاقات المعقودة، حيث تضاعف الاستيطان بعد أوسلو، وتضاعف معه عدد المستوطنين. وهو ما يذكر بأبجدية الصراع بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الصهيوني، والذي ينحصر في كلمة واحدة، هي الأرض.

1. الشهداء بحسب مكان الإقامة:

لم تخلُ أي منطقة من مناطق الضفة الغربية أو قطاع غزة من سقوط الشهداء، بل وصل إرهاب المستوطنين إلى المناطق المحتلة منذ سنة 1948، التي شهدت ارتكاب أحد المستوطنين من الضفة الغربية مجزرة في مدينة شفا عمرو، أسفرت عن سقوط أربعة شهداء وأكثر من عشرة جرحى قبل أن يتمكن المواطنون الفلسطينيون من السيطرة عليه. وهذا يعكس حقيقة شمول هذا الإرهاب كافة أرجاء المناطق الفلسطينية المحتلة.

جدول 4/3: أعداد الشهداء حسب التوزيع الجغرافي

المكان	العدد	النسبة (%)
الضفة الغربية	262	82.13
قطاع غزة	50	15.99
فلسطين المحتلة سنة 1948	6	1.88
المجموع	**318**	**100**

أما بالنسبة لتوزيع الشهداء حسب منطقة إقامة الشهداء، فإن الجدول التالي يبين أن محافظة الخليل استحوذت على أعلى عدد من الشهداء الذين سقطوا نتيجة إرهاب المستوطنين، تليها محافظة نابلس ثم رام الله والبيرة، تليهما القدس وأريحا، وهذا يعود إلى كثافة المستعمرات في تلك المحافظات.

جدول 4/4: أعداد الشهداء حسب مكان الإقامة

المنطقة	العدد	النسبة المئوية (%)
القدس وأريحا	42	13.21
رام الله والبيرة	43	13.52
الخليل	81	25.47
بيت لحم	9	2.83
نابلس	63	19.81
جنين	5	1.57
طولكرم وقلقيلية	19	5.98
قطاع غزة	50	15.72
فلسطين المحتلة سنة 1948	6	1.89
المجموع	**318**	**100**

2. الشهداء بحسب سبب الاستشهاد:

كان من أهم أسباب الاستشهاد: العيارات النارية بأنواعها المختلفة، والضرب، والدهس المتعمد، والتعذيب من خلال الحرق أو الرشق بالحجارة الكبيرة، ورجم السيارات العربية.

جدول 4/5: أعداد الشهداء حسب سبب الإصابة

السبب	العدد	النسبة المئوية (%)
عيارات نارية	224	70.44
ضرب مبرح	12	3.76
دهس متعمد	50	15.72
إلقاء حجارة كبيرة	9	2.82
طعن	10	3.13
متفرقات	13	4.4
المجموع	**318**	**100**

احتل شهداء العيارات النارية، على أيدي المستوطنين المركز الأول من حيث عدد الشهداء، وذلك لكون معظم الإصابات كانت في المناطق الحيوية من الجسم (الرأس، والرقبة، والصدر)، وبالتالي كانت معظم هذه الحالات قد فارقت الحياة مباشرة لحظة الإصابة بسبب تهتك الدماغ أو النزيف الحاد، والبعض الآخر فارق الحياة خلال عملية نقلهم إلى المستشفيات بعد أن عرقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي ذلك بشكل متعمد، تاركة الجاني يغادر مسرح الجريمة دون مساءلة أو عقاب. وعليه، إن حمل المستوطنين السلاح إنما يشكل خطراً حقيقياً على حياة المواطنين الفلسطينيين.

3. الشهداء بحسب السن:

تمّ تقسيم الشهداء، الذين سقطوا نتيجة إرهاب المستوطنين، إلى ثلاث فئات عمرية تشمل الأطفال والشبان والكبار، وكانت النتائج كما يلي:

- أطفال (حتى سن 16 عاماً) 66 شهيداً بنسبة 20.75%.
- شبان (من 17-25 عاماً) 101 شهيد بنسبة 31.76%.

- كبار (26 عاماً فما فوق) 147 شهيداً بنسبة 46.23%.
- غير معروف 4 شهداء بنسبة 1.26%.

وينقسم الشهداء بحسب الجنس إلى 292 من الذكور بنسبة 91.82%، و26 من الإناث بنسبة 8.18%.

4. الشهداء بحسب السنة:

المتوسط الحسابي السنوي لسقوط الشهداء، الذين سقطوا نتيجة إرهاب المستوطنين، خلال الفترة 1987-2009، يصل إلى 13 شهيداً في السنة الواحدة، أي ما يعادل شهيداً واحداً كل شهر. وقد تميزت سنة 1994 بسقوط ما مجموعه 34 شهيداً، وهو ما يعادل 11.3% من إجمالي عدد الشهداء، وكذلك سنة 1988 حيث سقط 34 شهيداً، ثم 1989 و1990 إذ كان العدد 32 شهيداً.

جدول 4/6: أعداد الشهداء حسب الفترة الزمنية

الفترة الزمنية	العدد	النسبة المئوية (%)
1986-1978	15	4.70
1994-1987	182	57.05
1999-1995	28	8.81
2004-2000	59	18.50
2011-2004	34	10.69

لقد تمّ ذلك كانعكاس لعملية القتل بالجملة التي ارتكبها المجرم باروخ غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي الشريف في 1994/2/25. وفي الوقت نفسه، نلاحظ أن المستوطنين ينشطون خلال فترة انتفاضة الشعب الفلسطيني مستفيدين من انتشار الجيش الإسرائيلي والأوامر العسكرية باستخدام القوة المفرطة تجاه المواطنين الفلسطينيين العزل. وهذا يفسر سقوط 182 شهيداً، على أيدي المستوطنين، خلال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى 1987-1994، مقابل 91 شهيداً خلال انتفاضة الأقصى المبارك، بينما انخفض عدد الشهداء بعد الانتفاضتين.

جدول 4/7: أسماء الشهداء الفلسطينيين الذين قتلوا على أيدي المستوطنين

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
1	خليل سعيد طحان	19 سنة	حي رأس العامود/ القدس	1978/4/5	أطلق يسرائيل ليدرمان النار عليه قرب متحف روكفلر بالقدس
2	محمد عبد الله يوسف سحويل	18 سنة	سنجل/ رام الله	1982/3/15	خطفه مستوطنون أثناء عودته من المدرسة ووجدت جثته بعد خمسة أيام
3	محمد صالح اليماني	65 سنة	القدس	1982/4/11	أطلق ألان جودمان النار عليه داخل المسجد الأقصى
4	جهاد إبراهيم علي بدر	21 سنة	القدس	1982/4/11	أطلق ألان جودمان النار عليه داخل المسجد الأقصى
5	ميسون سلمان ادعيس القسطناوي	12 سنة	م. العروب/ الخليل	1982/5/6	أصيبت برصاصة في رأسها في 1982/5/3
6	هشام لطفي أبو مسلم	14 سنة	م. بلاطة/ نابلس	1982/10/26	قتله مستوطنون أثناء عودته من المدرسة
7	سعد الدين حسن صبري	39 سنة	قلقيلية	1983/7/26	أطلق مستوطنون النار على الطلاب داخل حرم جامعة الخليل
8	جمال أسعد نزال	39 سنة	قلقيلية	1983/7/26	أطلق مستوطنون النار على الطلاب داخل حرم جامعة الخليل
9	سميح فخري عمور	26 سنة	يعبد/جنين	1983/7/26	أطلق مستوطنون النار على الطلاب داخل حرم جامعة الخليل

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
10	إلهام أبو زعرور	20 سنة	نابلس	1983/7/26	أطلقت عليها النار أثناء مشاركتها في الاحتجاج على مجزرة جامعة الخليل
11	عائشة البحش	11 سنة	نابلس	1983/12/8	أطلق مستوطنون النار نحو طفلتين فاستشهدت عائشة وأصيبت أختها
12	خميس أيوب التوتنجي	...	القدس	1985/4/23	اختطفه مستوطنون قرب مستوطنة معاليه أدوميم ثم قتلوه
13	صائب أبو الذهب	22 سنة	غزة	1986/12/4	طالب بجامعة بيرزيت أطلق مستوطن يرتدي زياً عسكرياً النار عليه
14	جواد أبو سلمية	22 سنة	خان يونس	1986/12/4	طالب بجامعة بيرزيت أطلق مستوطن يرتدي زياً عسكرياً النار عليه
15	رمضان أبو زيتون	12 سنة	م.بلاطة/ نابلس	1986/12/9	قتل برصاص انطلق من سيارة تحمل مستوطنين وجنوداً
16	علاطي محمود عطية	...	العبيدية/ بيت لحم	1987/6/28	أثناء التصدي للمستوطنين الذين اقتحموا القرية
17	كمال قدورة حسن حمودة	23 سنة	م. جباليا	1987/12/8	داست شاحنة إسرائيلية سيارته
18	عصام محمد حمودة	29 سنة	م. جباليا	1987/12/8	داست شاحنة إسرائيلية سيارته
19	شعبان سعيد نبهان	26 سنة	م. جباليا	1987/12/8	داست شاحنة إسرائيلية سيارته
20	طالب محمد عبد الله أبو زيد	46 سنة	م. المغازي	1987/12/8	داست شاحنة إسرائيلية سيارته

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
21	طلال أحمد محمد حويجي	17 سنة	بيت حانون/ غزة	1987/12/15	قُتِل برصاص مستوطن
22	طوقان شعبان مصبح نسيبة	35 سنة	القدس	1988/1/10	قُتِل برصاص مستوطن عند باب منزله
23	رابح حسين محمود غنام	17 سنة	بيتين/ رام الله	1988/1/11	أطلق مستوطنان من عوفرا النار عليه
24	تامر جلال حمزة السوقي	10سنوات	برقة/ نابلس	1988/2/7	رصاصة في الرأس
25	عبد الباسط محمود عبد الله جمعة	27 سنة	كفر قدوم	1988/2/8	قتله مستوطن على طريق كفر قدوم
26	كمال محمد فارس درويش	24 سنة	م. دير عمار	1988/2/21	...
27	روضة محمد لطفي نجيب	13 سنة	باقة الشرقية/ طولكرم	1988/2/22	قُتِلت برصاص المستوطنين أمام منزلها
28	رائد محمود عوض البرغوثي	17 سنة	عابود/ رام الله	1988/2/27	أطلق مستوطنون النار على أهل البلدة
29	أحمد إبراهيم مصطفى البرغوثي	20 سنة	عابود/ رام الله	1988/2/27	أطلق مستوطنون النار على أهل البلدة
30	خضر محمد عبد الحميد الشراري	43 سنة	المزرعة الشرقية/ رام الله	1988/3/8	أطلق مستوطن النار على مسيرة في القرية
31	ناجح حسن جميل حجازي	19 سنة	ترمسعيا/ رام الله	1988/3/9	رصاصة في الرأس
32	سعيد إسماعيل حسين عابد	22 سنة	تل السلطان/ رفح	1988/3/24	أحرق مستوطنون البراكية التي كان يقيم فيها في أور يهودا بتل أبيب

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
33	خالد عبد الله خليل العبادلة	40 سنة	خان يونس	1988/3/24	أحرق المستوطنون البراكية التي كان يقيم فيها في أور يهودا بتل أبيب
34	نسيم إبراهيم حسين عابد	25 سنة	م. المغازي	1988/3/27	متأثراً بجراحه بعد إحراق البراكية التي كان يقيم فيها في تل أبيب
35	خميس حسن محمد أبو دعنون	41 سنة	دير السودان/ رام الله	1988/4/2	رصاص بالصدر والحنجرة
36	موسى صالح داود بني شمسة	20 سنة	بيتا/ نابلس	1988/4/6	أطلق المستوطنون النار عليه أثناء حراثة أرضه
37	حاتم فايز أحمد الجابر	19 سنة	بيتا/ نابلس	1988/4/6	أطلق مستوطنون النار عليه أثناء حراثة أرضه
38	جودة عبد الله عوض أبو شطرية	28 سنة	ترمسعيا/ رام الله	1988/5/5	كان يرعى قطيع أغنام في أرض القرية القريبة من مستوطنة شيلو
39	إبراهيم مسلم أبو عيشة	71 سنة	الخليل	1988/5/15	هشم المستوطنون جمجمته بالحجارة
40	مصطفى أحمد عودة حلايقة	18 سنة	الشيوخ/ الخليل	1988/6/3	أثناء التصدي للمستوطنين الذين حاولوا تخريب الممتلكات في القرية
41	أحمد توفيق شعلان	11 سنة	م.الدهيشة/ بيت لحم	1988/6/11	عذبه المستوطنون وألقوه في بئر ماء
42	نصار شريف نصار سلامة	25 سنة	بيت ليد	1988/6/25	تعرّض للضرب الشديد من قِبل مستوطنين ثم ألقوه على شاطئ تل أبيب

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
43	موسى عمر محمود	45 سنة	بروقين	1988/7/16	دهس متعمد
44	نضال فؤاد سليمان الربضي	16 سنة	القدس	1988/7/19	اخترقت رصاصة قلبه أثناء وجوده على مفترق الضاحية بشمال القدس
45	جريس يوسف قنفار	48 سنة	بيت جالا	1988/7/24	عيار ناري
46	هاني عادل الترك	37 سنة	حي الدرج/ غزة	1988/7/28	أصيب بعشر رصاصات في بطنه وفخذه الأيمن وساعده الأيسر
47	رشا مازن إبراهيم العرقوي	9 سنوات	عنزة/ جنين	1988/8/18	رصاص المستوطنين
48	محمد غالب محمود شقير	31 سنة	الزاوية/ نابلس	1988/8/24	عثر على جثته بالقرب من إحدى المستوطنات وقد أصيب بعدة شظايا
49	أيمن عزت عبد العزيز رمضان	14 سنة	تل/ نابلس	1988/8/26	متأثراً بجراحه
50	صائب محمد الحاج	18 سنة	أريحا	1988/9/1	أطلق مستوطنون عليه النار
51	صلاح مصطفى هاشم كساب	22 سنة	الشجاعية/ غزة	1988/9/11	دهس متعمد في 1988/9/9
52	كايد حسن عبد العزيز صلاح	42 سنة	الخليل	1988/9/30	قتله الحاخام موشيه ليفنغر بالرصاص
53	إبراهيم محمد الشمالي	45 سنة	م. جباليا	1988/10/11	طعنه أحد المستوطنين في مدينة اللد
54	عمرو عبد القادر أبو عيشة	17 سنة	ترقوميا/ الخليل	1988/11/6	خطفه مستوطنون عند توجهه للعمل في حقله وقتلوه

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
55	فوزية عبد الرحمن أبو خلف	60 سنة	القدس	1988/11/8	دهس متعمد
56	نعيم أحمد أبو نعيم	9 سنوات	أبو فلاح/ رام الله	1989/1/8	تعرض للضرب على أطراف قرية المغير في 1988/12/31
57	أحمد العبد محرم	20 سنة	الشيخ رضوان/ غزة	1989/1/26	أصابه مستوطن برصاصة في صدره
58	رامي بركة	5 سنوات	بورين	1989/2/10	ألقاه مستوطنون في بئر ماء مهجور
59	ماهر شكيب محمد سعيد	14 سنة	أوصرين/ نابلس	1989/3/23	أطلق مستوطن عليه النار بدور مبرر
60	محمد رشيد أبو خلف	65 سنة	سلوان/ القدس	1989/3/26	قرب مستوطنة شرق مدينة رام الله
61	عوض فرح أمين عمرو	23 سنة	الخليل	1989/4/1	أصيب بالرصاص في 1989/3/30
62	خالد يوسف محمد الشاويش	26 سنة	القدس	1989/4/10	أطلق مستوطن النار عند أسوار القدس فقتل خالد وجرح ثلاثة آخرين
63	نادر نعيم سعيد دعنا	15 سنة	الخليل	1989/4/29	أصيب بالرصاص في رأسه
64	عيسى أبو شلهوب	26 سنة	رفح	1989/4/30	أصابه رصاص مستوطن من رفيح يام
65	حسام تميم السقا	15 سنة	القرارة	1989/5/15	أطلق مستوطن عليه النار بدون مبرر
66	عمر يونس أبو جابر	35 سنة	جلقموس/ جنين	1989/5/17	أصابته رصاصة مستوطن في صدره

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
67	إبتسام عبد الرحيم أحمد بورية	15 سنة	كفل حارس/ نابلس	1989/5/29	أصابها رصاص مستوطنين عند مدخل منزلها في 1988/12/31
68	عزيز خميس يوسف عرار	20 سنة	قراوة بني زيد/ رام الله	1989/6/22	أطلق مستوطنون النار عليه، فاخترقت رصاصة عينه
69	كمال شامخ إسماعيل نصار	26 سنة	حي التركمان/ غزة	1989/7/8	أوقفه مستوطنون قرب أوفاكيم وضربوه ببلطة على رأسه
70	جمال محمد ناصر شماخ	31 سنة	غزة	1989/7/8	ألقى مستوطنون حجارة على سيارته
71	غادة هاني عيسى سرحان	15 سنة	بيت صفافا/ القدس	1989/7/18	أطلق مستوطنون النار عليها
72	فائق صبحي سليمان سويدان	18 سنة	بيت حانون/ غزة	1989/7/30	أصابه مستوطن برصاصة في قلبه
73	نضال إبراهيم محمود مسك	17 سنة	الخليل	1989/8/9	أطلق مستوطنون النار عشوائياً بدعوى تعرضهم للرشق بالحجارة
74	إبراهيم عودة مقبل البسيس	24 سنة	العيزرية/ القدس	1989/8/20	صدمته سيارة مستوطن صعدت على الرصيف الذي كان يسير عليه
75	سامي محمود أحمد عطوة	19 سنة	تقوع/ بيت لحم	1989/8/21	أصيب بعيارين ناريين في صدره
76	مصطفى حسين طاهر الدباغ	37 سنة	مخيم قدورة/ البيرة	1989/9/2	رشق مستوطنون سيارته بحجر كبير على طريق الخليل في 1989/8/24

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
77	زهير عبد الحليم يوسف عبيد	28 سنة	كفر قدوم	1989/9/11	قتله المستوطنون أثناء قطفه الزيتون
78	فهد عبد الكريم محمد شتيوي	20 سنة	كفر قدوم	1989/9/11	قتله المستوطنون أثناء قطفه الزيتون
79	عبد الله مصطفى طه أبو صفية	17 سنة	بيت سيرا/ رام الله	1989/10/12	أصيب بعيار ناري في بطنه
80	كريم نعيم سعيد دعامسة	18 سنة	م. جباليا	1989/10/26	أصيب بعيار ناري في العنق
81	دلال محمد سليمان الخطيب	9 سنوات	نابلس	1989/11/7	ألقى مستوطنون حجراً كبيراً عليه
82	ناصر محمود سالم حماد	21 سنة	م. قلنديا	1989/11/15	أطلق مستوطن النار عليه
83	عودة حسين فارس زايد	18 سنة	م. قلنديا	1989/11/15	أطلق مستوطن النار عليه
84	عصام إدريس الجعبة	17 سنة	الخليل	1989/12/10	أصيب بعيار ناري في الحوض
85	نعيم سعيد نوفل	17 سنة	الخليل	1989/12/10	أصيب بعيار ناري في البطن
86	محمد جميل حسن الكامل	12 سنة	بيت لحم	1989/12/22	أصيب برقبته أواسط آب/ أغسطس
87	جهاد مصطفى عمران	22 سنة	نابلس	1989/12/24	متأثراً بجراحه في قرية دير الحطب
88	محمد علي سالم جمهور	33 سنة	بيت عنان/ رام الله	1990/1/16	قتل طعناً في سوق محنية يهودا القدس
89	مريم سلامة رشيد أبو مشعل	45 سنة	رفح	1990/1/17	دهس متعمد

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
90	مصطفى عبد محمد كلاب	45 سنة	نابلس	1990/2/6	أصيب بعيارين في الصدر والعنق أطلقهما حارس وسائق صهريج وقود
91	أحمد محمد محمد فسيفس	35 سنة	القرارة	1990/2/12	أصيب برصاص مستوطن قرب جوش قطيف في 1990/1/22 مساءً
92	سوسن محمد خيري الشخشير	17 سنة	نابلس	1990/2/18	أصابتها عيارات نارية أطلقها مستوطنون أثناء عودتها إلى منزلها
93	يونس عبيدي	23 سنة	غزة	1990/2/20	دهس متعمد
94	سارة حسن محمود لافي	25 سنة	م. العروب	1990/4/12	دهس متعمد أمام منزلها
95	محمود زيدان محمود أبو عياش	35 سنة	بيت آمر/ الخليل	1990/5/10	ألقى مجموعة من المستوطنين حجراً على سيارته أثناء عودته إلى قريته
96	سميح عائد أبو الشيخ	14 سنة	قلقيلية	1990/5/15	أصابه مستوطن في الرقبة والصدر بزعم مشاركته في رشق الحجارة
97	عبد الرحيم محمد سالم بركة	43 سنة	بني سهيلا/ خان يونس	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
98	زياد موسى محمد سويعد	22 سنة	رفح	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
99	زايد زيدان عبد الحميد العمور	33 سنة	خان يونس	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
100	سليمان عبد الرازق محمد أبو عنزة	22 سنة	عبسان الصغيرة/ خان يونس	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
101	عمر حماد أحمد جهليز	27 سنة	رفح	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
102	زكي محمد حمدان قديح	35 سنة	عبسان الكبيرة/ خان يونس	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
103	يوسف إبراهيم منصور أبو دقة	36 سنة	بني سهيلا/ خان يونس	1990/5/20	أطلق عامي بوير النار على العمال في منطقة ريشون لتسيون بتل أبيب
104	علي محمود محمد زعامرة	21 سنة	حلحول	1990/5/20	أثناء مشاركته في الاحتجاج على مجزرة ريشون لتسيون
105	ناجي ابراهيم موسى ابو سيلة	21 سنة	م. البرازيل/ رفح	1990/5/21	قُتلَ برصاص أحد المستوطنين
106	مصطفى عوض محمود أبو النجم	8 سنوات	بني سهيلا	1990/5/23	قُتلَ برصاص أحد المستوطنين
107	عدنان سليم ذيب محمد	31 سنة	خان يونس	1990/7/10	عثر على جثته بجوار مكان عمله في بات يام
108	أصيل كامل خاروف	سنة	م. العزة	1990/7/23	دهس متعمد
109	محمود ثلثين	سنتان	كفر اللبد	1990/8/6	قتله المستوطنون بالرصاص
110	عزيزة سالم محمد جابر	26 سنة	الخليل	1990/8/6	عيار ناري في الرأس أطلقه مستوطن أثناء وجودها في سيارة أجرة

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
111	عزت محمد أحمد حلاحلة	40 سنة	سلوان/ القدس	1990/8/9	تعرض للضرب بعد رشق سيارته بالحجارة على الطريق إلى بيت لحم
112	عبد المحسن محمد يوسف الأطرش	32 سنة	جلجليا/ رام الله	1990/9/30	تعرضت سيارته للصدم من قبل سيارة للمستوطنين
113	خالد زكي يوسف موسى	45 سنة	رفح	1990/10/2	حادث طرق بين سيارة للمستوطنين وأخرى عربية عند غوش قطيف
114	حسن داود حمد	33 سنة	رام الله	1990/10/2	عثر عليه مشنوقاً قرب مستوطنة أفير يعقوب
115	ماهر الشاعر	30 سنة	خربة العدس/ رفح	1990/10/23	عيارات نارية أطلقها مستوطنون عليه وهو في سيارته على طريق في رفح
116	سليم أحمد بدوي الخالدي	24 سنة	القدس	1990/10/24	رصاصة أطلقها مستوطن في حي الدباغة بمحاذاة كنيسة القيامة ومبنى فندق مار يوحنا الذي احتله مستوطنون
117	هيثم شفيق سعيد جملة	18 سنة	نابلس	1990/10/30	أطلق حارس صهريج النار عليه
118	محمد علي أحمد الخطيب	65 سنة	اللبن الشرقية/ نابلس	1990/11/6	مستوطن يطلق النار على مزارعين على طريق رام الله – نابلس
119	مريم سليم حسن بشير	60 سنة	اللبن الشرقية/ نابلس	1990/11/6	مستوطن يطلق النار على مزارعين على طريق رام الله – نابلس
120	محمد سمير القطناني	30 سنة	م. جباليا	1991/1/4	أطلق أحد المستوطنين النار عليه

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
121	جميعان محمد صالح أبو هويشل	45 سنة	مشروع عامر/ غزة	1991/1/7	أطلق مستوطن النار عليه أثناء عمله كحارس في إحدى بيارات الجديرة
122	حمد الله راضي أحمد علاونة	27 سنة	عزموط/ نابلس	1991/1/13	عثر على جثته قرب إيلون موريه
123	عزت سليمان محمود سباعنة	31 سنة	بيت ايبا/ نابلس	1991/1/13	عثر على جثته قرب إيلون موريه
124	سلام جلال حنا مصلح	14 سنة	بيت ساحور	1991/2/18	رصاصة أطلقها مستوطن اخترقت نافذة منزله
125	عوض أحمد أبو لحية	25 سنة	القرارة/ غزة	1991/4/1	أصيب في صدره في 1991/3/2
126	جميل هليل دويكات	50 سنة	نابلس	1991/4/15	قتل غيلة على أيدي المستوطنين
127	عمرو حرب الصبار	12 سنة	البيرة/ رام الله	1991/4/15	أطلق مستوطن عليه النار قرب مقبرة البيرة فأصابه في الرأس
128	عبد القادر عزمي الواوي	8 سنوات	نابلس	1991/4/16	دهس في شارع فيصل بالمدينة
129	جلال عبد الله زيادة شهواتي	31 سنة	بيتللو/ رام الله	1991/5/23	أطلقت عليه ثلاث رصاصات أثناء عمله في رامات غان بتل أبيب
130	عادل طاهر طعمة	65 سنة	باقة الشرقية/ طولكرم	1991/5/29	قتله مستوطن بالقرب من مدينة نتانيا
131	محمود إسماعيل صوالحة المناصرة	18 سنة	بني نعيم/ الخليل	1991/6/6	وجد قرب عرابة البطوف في الجليل الغربي وعلى جثته آثار طعن وتعذيب

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
132	محمود محمد الجمل النواجعة	57 سنة	يطا/ الخليل	1991/6/7	عيار ناري قرب مستوطنة سوسيا
133	عيسى عبد الرحمن أبو لحتم	33 سنة	ترقوميا	1991/7/20	دهس متعمد
134	عيسى توما يوسف خليل	14 سنة	عابود/ رام الله	1991/7/21	دهس متعمد
135	سامي إسماعيل خليل دبابسة	40 سنة	الباذان/ نابلس	1991/8/12	دهسه مستوطن في كفار سابا
136	حسان عمر الصانع	16 سنة	نابلس	1991/10/14	سقط في واد مجاور لحي المساكن الشعبية خلال مطاردة المستوطنين
137	عبد الله سليمان الشامي	34 سنة	عصيرة القبلية/ نابلس	1992/3/9	أطلق مستوطن النار عليه
138	وجدان فوزي حمدان القدرة	21 سنة	القرارة	1992/3/18	أصيبت في الصدر والقلب
139	رشا خليل	6 سنوات	أبو شخيدم	1992/5/12	ألقى مستوطن حجراً فوق رأسها بينما كانت في رحلة مع والديها قرب أريحا
140	عناد فهد عمرو	25 سنة	الناصرة	1992/5/23	طعنه أحد المستوطنين بالسكين
141	عبد الكريم محمود عبد الجليل	12 سنة	م. طولكرم	1992/11/15	دهس متعمد
142	عبد الرزاق عبد الرحمن أدكيدك	61 سنة	الرام/ القدس	1992/11/16	ألقى مستوطنون قنبلة يدوية على سوق اللحامين في البلدة القديمة

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
143	لواء رفيق محمد بكرون	13 سنة	حي الشجاعية/ غزة	1993/1/19	قتله مستوطن من مستوطنة عتصمونا بدعوى أنه قذف الحجارة على سيارته
144	جمعة عبد العزيز مسك	75 سنة	رأس العمود/ القدس	1993/3/2	أصيب بعيارات نارية في الرأس اطلقها مستوطن يقود شاحنة
145	نعيم محمود حسين المدهون	22 سنة	حي النزلة/ غزة	1993/3/8	أصيب بعيار ناري في الصدر قرب حاجز إيريز
146	ناصر علي أحمد أبو عيشة	24 سنة	م. نور شمس/ طولكرم	1993/3/15	أصيب بعيار ناري في عينه على طريق طولكرم – نابلس
147	موسى سليمان محمد أبو صبحة	21 سنة	يطا/ الخليل	1993/3/23	قتله مستوطن بعد اعتقاله وتقييده
148	بسام محمد سعيد الوظايفي	23 سنة	نابلس	1993/3/27	أصيب بعيار ناري في القلب
149	عودة عوض عودة العمور	20 سنة	دير البلح	1993/3/31	بالرصاص أثناء عمله في بئر السبع
150	عبد الرحمن محمود طملية	70 سنة	م. الامعري	1993/4/1	تعرض للدهس على الشارع العام
151	رائد محمد شعبان	18 سنة	رام الله	1993/4/12	أطلق مستوطن عليه النار في مستوطنة النبي يعقوب
152	عبد الحميد عبد الصالح النسر	6 سنوات	البيرة	1993/7/6	دهسته سيارة مستوطن
153	عبد الحليم عواد	17 سنة	صور باهر/ القدس	آب/ أغسطس 1993	تعرض للضرب على الرأس أثناء عمله في منطقة تل بيوت بالقدس

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
154	رتيبة عبد الكريم صالح جبر	70 سنة	عين يبرود/ رام الله	1993/10/2	نتيجة إطلاق مستوطن النار عليه
155	تامر زيادة	18 سنة	الشجاعية/ غزة	1993/10/31	برصاص مستوطن كان الشهيد يعمل عنده
156	محمد جودي عبد الكريم برقان	26 سنة	الخليل	1993/11/15	أطلق مستوطن عليه النار عند الحرم الإبراهيمي
157	رامي عزت محمد غزاوي	15 سنة	البيرة	1993/11/16	برصاص مستوطن أطلق النار على طلاب المدرسة الهاشمية في البيرة فقتلوه
158	طلال رشدي البكري	45 سنة	الخليل	1993/12/5	أطلق مستوطنون النار عليه أثناء تواجده قرب مستوطنة كريات أربع
159	محمد خميس رشيد أبو عواد	51 سنة	ترمسعيا/ رام الله	1993/12/9	كان يفلح أرضه عندما أطلق مستوطن النار، فأصابه في صدره وبطنه
160	سعادة عبد الهادي علي فطافطة	29 سنة	ترقوميا/ الخليل	1993/12/10	أطلق مستوطنون النار على سيارة قرب قرية بيت أولا فاستشهد ركابها
161	محمد عبد الهادي علي فطافطة	27 سنة	ترقوميا/ الخليل	1993/12/10	أطلق مستوطنون النار على سيارة قرب قرية بيت أولا فاستشهد ركابها
162	إسحق محمود علي فطافطة	27 سنة	ترقوميا/ الخليل	1993/12/10	أطلق مستوطنون النار على سيارة قرب قرية بيت أولا فاستشهد ركابها
163	كفاح عبد المعز زكريا مرقة	11 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرقبة

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
164	رائد عبد المطلب حسن النتشة	20 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر والبطن
165	مروان مطلق حامد ابو نجمة	34 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الكتف والرأس والبطن
166	جميل عايد عبد الفتاح النتشة	51 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الجمجمة والبطن والفك
167	محمود صادق محمد أبو زعنونة	49 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرأس
168	علاء بدر عبد الحليم أبو سنينة	18 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرقبة
169	ذياب عبد اللطيف الكركي	23 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
170	عبد الرحيم عبد الرحمن سلامة أبو سنينة	52 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في القلب
171	صابر موسى حسني بدر	37 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرقبة والصدر والظهر
172	نور إبراهيم عبيد المحتسب	26 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في القلب والخاصرة
173	سليم إدريس فلاح إدريس	27 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الفك والذراع
174	زيدان حمودة أبو عودة جابر	26 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الخاصرة

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
175	عبد الحق ابراهيم الجعبري	57 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر والرأس
176	سلمان عواد عليان الجعبري	38 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
177	خالد حمزة الكركي	17 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر والخاصرة
178	وائل صلاح يعقوب المحتسب	30 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الظهر
179	وليد زهير أبو حمدية	13 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في القلب و الخاصرة والساق
180	رامي محمد عرفات الرجبي	13 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في اسفل الظهر
181	كمال جمال عبد المغني فقيشة	13 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرأس
182	محمد راجي زين غيث	48 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرأس
183	عرفات موسى يوسف برقان	28 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الكتب والصدر وأسفل البطن
184	حاتم خضر نمر الفاخوري	26 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الخاصرة والبطن
185	سفيان بركات عوض زاهرة	24 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة أسفل البطن
186	طلال محمد داود دنديس	27 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الرأس

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
187	نمر محمد نمر مجاهد	32 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
188	جبر عارف أبو سنينة	12 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
189	طارق عدنان عاشور ابو سنينة	13 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
190	أحمد عبد الله طه أبو سنينة	26 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
191	عرفات محمود أحمد البايض	28 سنة	الخليل	1994/2/25	مجزرة الحرم الإبراهيمي/ رصاصة في الصدر
192	وائل ديب نوفل	18 سنة	دير شرف/ نابلس	1994/3/30	أصيب بعيار ناري
193	فاطمة تيسير جودت خليفة	19 سنة	الجيب/ القدس	1994/4/12	كانت حاملاً بشهرها الثالث عندما أطلق مستوطن النار عليها أثناء وجودها في مطبخ منزلها
194	أحمد إبراهيم الطبش	16 سنة	م. خان يونس	1994/5/10	أطلق مستوطن النار عليه أثناء عمله في نفي دكاليم قرب خان يونس
195	هود صالح توفيق أبو سنينة	31 سنة	سلوان/ القدس	1994/7/1	أطلق عليه النار في غابة بالقدس
196	حاتم أبو رمان	30 سنة	حلحول	1994/9/14	أطلقت ميخائيلا سيد لوبسكي النار عليه أُثناء جلوسه أمام منزله
197	إبراهيم خضر إدعيس	17 سنة	الخليل	1995/7/1	أطلق مستوطن النار عليه في منطقة تل الرميدة في الخليل
198	خير عبد الحفيظ القيسي	23 سنة	دورا القرع/ رام الله	1995/8/13	أطلق المستوطن زيف ليبسكين النار عليه بالقرب من مستوطنة بيت إيل

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
199	سليمان حسين الزماعرة	25 سنة	حلحول	1995/9/8	مستوطنون يرتدون زي الجيش أطلقوا النار عليه عند وصوله إلى منزله
200	محمد أحمد داود الرمحي	14 سنة	م. الجلزون/ رام الله	1995/11/3	أطلق مستوطن عليه النار أثناء سيره على جانب الطريق قرب المخيم
201	عبد الجولاني	...	القدس	...	قتله مستوطن عندما كان يحمل الخضار إلى مدرسة دينية في القدس
202	عاصي جمال مرعي	5 سنوات	قراوة بني حسان	1996/6/9	دهسه مستوطن أمام محل والده في قرية حارس
203	فتحي علي عبد الرازق الساحوري	43 سنة	سنجل/ رام الله	1996/10/21	قتله مستوطن بإطلاق النار عليه على الطريق الالتفافي لمدينة رام الله
204	عبد الله عبد الرؤوف عبد الله كراكرة	16 سنة	سنجل / رام الله	1996/10/22	قتله مستوطن قرب مستوطنة عوفرة
205	حلمي سليم حلمي شوشة	10 سنوات	حوسان/ بيت لحم	1996/10/28	تعرض للضرب بأعقاب البندقية بينما كان عائداً من المدرسة
206	سمير أحمد أبو شقفة	40 سنة	غزة	1996/12/12	قتله مستوطن من موشاف ميخائيل بالنقب
207	عاصم رشاد عرفة	23 سنة	الخليل	1997/4/8	أطلق مستوطنان النار عليه أثناء وجوده في البلدة القديمة
208	فوزي حامد محمد أبو بكرة	25 سنة	القرارة/ خان يونس	1997/5/16	قتله مستوطن يدعى إيلان مردخاي في منطقة هشارون بتل أبيب

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
209	سمير بلبيسي	...	القدس	حزيران/ يونيو 1997	سائق سيارة أجرة قتله المستوطن يعقوب تايتيل Yaakov Teitel
210	عيسى جبريل مصطفى حمامرة	61 سنة	الخليل	1997/8/3	أطلق يعقوب تايتيل عليه النار أثناء رعيه الغنم جنوب مدينة الخليل
211	محمد أبو سارة	67 سنة	حي الشيخ جراح/ القدس	آب/أغسطس 1997	صدمه المستوطنون عندما حاول توقيفهم لتسديد فاتورة البنزين
212	هاني صلاح أبو حجاج	18 سنة	خان يونس	1998/5/1	دهسه مستوطن يقود حافلة بسرعة فائقة
213	أحمد علان حامد موسى	22 سنة	قريوت/ نابلس	1998/5/6	أطلق عليه مستوطن النار عندما كان الشهيد يبحث عن غنمة قريباً من مستوطنة عاليه في نابلس
214	خيري موسى علقم	51 سنة	حي الطور/ القدس	1998/5/13	طعنه مستوطنون في شارع شموئيل هنبي بالقدس
215	أنور إبراهيم محمد علي	32 سنة	م. شعفاط/ القدس	1998/6/11	طعنه مستوطن أثناء توجهه إلى عمله بشركة للمشروبات الغازية
216	عبد المجيد محمد خالد أبو تركي	49 سنة	الخليل	1998/6/17	اعتدى عليه مستوطنون بالضرب بآلة حادة على رأسه لدى عودته من عمله قرب مستوطنة حجاي
217	أمين أحمد محمود فطافطة	12 سنة	ترقوميا/ الخليل	1998/8/30	دهس متعمد
218	إياد روحي قرابصة	16 سنة	عين عريك/ رام الله	1998/9/17	أطلق مستوطن عليه النار عندما كان عائداً من مدرسته في بيتونيا

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
219	لينا ماجد أبو عرام	6 سنوات	يطا/ الخليل	1998/10/20	دهسها مستوطن على طريق يطا
220	محمد سليمان زلوط خطاطبة	70 سنة	بيت فوريك/ نابلس	1998/7/26	أطلق مستوطن النار عليه أثناء قيامه بقطف ثمار الزيتون
221	خليل إبراهيم خشيمات	44 سنة	عناتا/ القدس	1998/10/27	طعنه مستوطن في أحد أحياء القدس
222	صباح عمر أحمد أبو سنينة	22 سنة	الخليل	1998/11/15	عثر على جثتها قرب مستوطنة إليعازر جنوب مدينة الخليل
223	أسامة موسى أبو عيشة النتشة	41 سنة	حي الثوري/ القدس	1998/12/2	طعنه مستوطن بسكين أثناء خروجه من منزله في حي الثوري بالقدس
224	ناصر محمد خالد عريقات	21 سنة	أبو ديس/ القدس	1998/12/9	أطلق مستوطن عليه النار في 1998/12/7
225	محمد علي نصر البدارين	12 سنة	السموع/ الخليل	1999/2/27	دهسه مستوطن أثناء ذهابه مع ذويه إلى أرضهم لزراعتها
226	محمود مصطفى أبو زيد الأقرع	7 سنوات	حبلة/ قلقيلية	2000/5/15	دهسه مستوطن كان يقود حافلة على الطريق الالتفافي قرب مدينة قلقيلية
227	محمد مصطفى أبو زيد الأقرع	6 سنوات	حبلة/ قلقيلية	2000/5/15	دهسه مستوطن كان يقود حافلة على الطريق الالتفافي قرب مدينة قلقيلية
228	سارة عبد العظيم حسن	سنتان	تلفيت/ نابلس	2000/10/1	أطلق مستوطن النار على سيارة والدها فأصيبت برصاصة في رأسها
229	فهد مصطفى بكر عودة	22 سنة	بديا/ نابلس	2000/10/7	أطلق مستوطن النار عليه داخل منزله

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
230	عصام جودة مصطفى حمد	39 سنة	أم صفا/ رام الله	2000/10/8	قتله مستوطنون بآلات حادة ومثلوا بجثته بعد اختطافه غرب رام الله
231	ماهر محمد إسماعيل مطلق	24 سنة	جماعين/ نابلس	2000/10/11	أطلق مستوطن عليه النار
232	محمد غسان صالح بوزية	37 سنة	كفل حارس/ نابلس	2000/10/11	اختطفه مستوطنون اقتحموا القرية واعتدوا عليه بالضرب المبرح ثم قام أحدهم بدهسه وهو ملقى على الأرض
233	فريد موسى أشرف نصاصرة	28 سنة	بيت فوريك/ نابلس	2000/10/17	فتح مستوطنون النار على المزارعين مما أدى إلى إصابته في البطن
234	إبراهيم عبد الرحمن داود العلامي	25 سنة	بيت أمر/ الخليل	2000/10/18	إثر إصابته بعيار في الرأس أطلقه مستوطن بتاريخ 2000/10/12
235	زاهي فتحي خليل عارضة	34 سنة	م. عسكر/ نابلس	2000/10/19	اقتحم مستوطنون مناطق السلطة الفلسطينية في نابلس وقتلوا الشهيد وأصابوا عدداً آخر بجروح
236	أحمد أمين عبد المنعم الخفش	7 سنوات	مردا/ سلفيت	2000/11/7	دهس متعمد بعد أن أنهى مع أسرته يوم عمل في قطف ثمار الزيتون
237	محمد عبد الله ديرية	70 سنة	عقربا/ نابلس	2000/11/8	دهس على طريق باتجاه غور الأردن
238	مصطفى محمود موسى عليان	52	م. عسكر/ نابلس	2000/11/14	ألقى مستوطن حجر ضخم على سيارته فأرداه شهيداً
239	شادي أحمد حسن الزعول	16 سنة	حوسان	2000/11/30	دهس على الطريق الالتفافي رقم 60

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
240	حسن علي شاهين أبو مريش	41 سنة	بيتونيا/ رام الله	2000/12/7	اعتدى مستوطنون عليه بآلة حادة
241	محمد جودة أبو عاصي	30 سنة	غزة	2000/12/7	أطلق مستوطن النار عليه بعد أن طعنه جنود إسرائيليين عند حاجز إيريز
242	محمد حامد علي شلش	18 سنة	شقبا/ رام الله	2000/12/17	أطلق مستوطن النار عليه
243	نجيب محمد قاسم عبيدو	20 سنة	الخليل	2000/12/22	قتله مستوطن وهو ملقى على الأرض بعد إصابته برصاص الجيش
244	تحرير سليمان رزق	21 سنة	حزما/ القدس	2000/12/31	أطلق مستوطن عليه النار على طريق معاليه أدوميم
245	محمد أحمد عبد صوف	27 سنة	حارس/ نابلس	2001/1/8	أطلق مستوطن النار عليه على طريق بمحاذاة بلدة حارس
246	أحمد حسن محمد علان	25 سنة	قريوت/ نابلس	2001/3/3	أطلق مستوطن النار على رأسه
247	محمد إسماعيل هاشم نصار	11 سنة	ضاحية البريد/ القدس	2001/3/17	تعرض للضرب بأحجار على رأسه بالقرب من مستوطنة نفيه يعقوب
248	صبري أحمد حمدان حنايشة	43 سنة	دورا/ الخليل	2001/3/23	ضرب حتى الموت قرب حلميش
249	كفاح خالد زعرب	17 سنة	المواصي/ خان يونس	2001/5/10	نهشت كلاب أطلقها المستوطنون جسده أثناء عودته من المدرسة
250	مازن لطفي الجولاني	34 سنة	رأس العمود/ القدس	2001/6/3	أطلق مستوطن النار عليه أمام مقهى السلام على مفترق مخيم شعفاط

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
251	عايد محمود محمد أبو عيد	37 سنة	رام الله	2001/6/3	أطلق مستوطن النار على السيارة التي كان يستقلها قرب قرية حزما
252	زياد محمود محمد أبو عيد	30 سنة	رام الله	2001/6/3	أطلق مستوطن النار على السيارة التي كان يستقلها قرب قرية حزما
253	جميل قاسم محمد الترك	47 سنة	كفر الديك/ سلفيت	2001/6/10	تعرض للضرب داخل مزرعة في منطقة طمرة داخل فلسطين المحتلة
254	عوني عبد الرؤوف علي الحداد	42 سنة	الخليل	2001/6/13	أطلق مستوطنون النار على شاحنته على طريق الخان الأحمر قرب عناتا
255	أحمد محمود علي الشيخ	65 سنة	بيت أمين/ قلقيلية	2001/6/18	دهس متعمد على مفترق بلدة حبلة
256	فاطمة عليان أبو فروة	71 سنة	قلقيلية	2001/6/19	دهس متعمد جنوب شرقي قلقيلية
257	نسيم عدنان مصطفى زين	14 سنة	نزلة عيسى/ طولكرم	2001/6/19	تعرض للدهس المتعمد
258	نصفت عبد الله حجير	40 سنة	مردة/ سلفيت	2001/7/17	أصيبت بنوبة قلبية أثناء مطاردتها من قبل المستوطنين
259	محمد سلامة مسلم الطميزي	22 سنة	إذنا/ الخليل	2001/7/19	أطلق مستوطنون النار على سيارة أجرة كان يستقلها على مدخل القرية
260	محمد حلمي مسلم الطميزي	21 سنة	إذنا/ الخليل	2001/7/19	أطلق مستوطنون النار على سيارة أجرة كان يستقلها على مدخل القرية

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
261	ضياء الدين مروان حلمي الطميزي	3 أشهر	إذنا/ الخليل	2001/7/19	أطلق مستوطنون النار على سيارة أجرة كان يستقلها على مدخل القرية
262	ناصر حسن أبو العيش	32 سنة	قلنديا/ القدس	2001/7/23	شنقه المستوطنين بعد اختطافه
263	كمال سعيد حميد مسلم	53 سنة	تلفيت/ نابلس	2001/7/23	رشق مستوطن حجراً باتجاه السيارة التي كان يقودها فأصابه في رأسه مما أفقده السيطرة عليها وأدى إلى انقلابها
264	حيدر جدوع عبد الجابر الخطيب	26 سنة	حزما/ القدس	2001/8/29	أطلق مستوطنون النار على سيارة كان يستقلها الشهيد مع والده وشقيقه على الطريق القريب من قرية عناتا
265	خالد عرفات عيسى البطش	3 سنوات	البلدة القديمة/ الخليل	2001/9/9	وقع على الأرض بعد أن قام مستوطنون بإلقاء جسم متفجر داخل منزل ذويه أثناء اقتحامه
266	إبراهيم موسى يوسف حنني	80 سنة	بيت فوريك/ نابلس	2001/11/28	دهس متعمد على مدخل قريته
267	مازن إبراهيم يوسف النابلسي	21 سنة	القدس	2001/12/2	رصاص مستوطن
268	لؤي أحمد موسى عديلي	16 سنة	أوصرين/ نابلس	2002/1/31	أطلق مستوطن عليه النار من مسافة صفر فأصابه بعيار قاتل اخترق رأسه
269	علاء حاتم فايز عبد الحي	19 سنة	دير أبو ضعيف/ جنين	2002/4/2	فتح مستوطنون النار باتجاه سيارة نقل فأصابوا الشهيد بعيار ناري في الرأس فيما أصيب مرافق له بجراح
270	حسين عيد حسن المطوي	8 سنوات	المغراقة	2002/6/13	قتله المستوطنون عند خروجه من خيمة والديه لشراء بعض الحلوى

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
271	عثمان إدريس عبد الحميد شحادة	23 سنة	حوارة/ نابلس	2002/6/21	هاجم مستوطنون الأطراف الجنوبية من قرية بورين فأصابه عيار ناري في القلب من مسافة قريبة
272	نفين عوض موسى جمجوم	14 سنة	الخليل	2002/7/28	اقتحم مستوطن منزل عائلتها وأصابها بعيار ناري قاتل اخترق عينها اليمنى وخرج من مؤخرة الرأس
273	عطا محمود إبراهيم نمر	68 سنة	الجيب/ القدس	2002/7/29	دهس متعمد في 2002/7/21 على الطريق بين مستوطنتي جفعات زئيف وحداشوت شمال غرب القدس
274	جهاد موسى محمد العذرة	6 سنوات	يطا/ الخليل	2002/8/26	دهسه مستوطن على الشارع المار من وسط حي الديوان في بلدة يطا
275	هاني يوسف حمد الله بني مرة	26 سنة	عقربا/ نابلس	2002/10/6	فتح مستوطنون النار علي مزارعين يقطفون محصول الزيتون
276	عبد الفتاح خليف عبد الرحمن خليف	85 سنة	قلقيلية	2003/1/3	دهس متعمد قرب بلدة النبي إلياس شرق قلقيلية
277	حازم عدنان فنون	27 سنة	الخليل	2003/1/12	كان يحاول إصلاح عجلة سيارته قرب منطقة الجسر على طريق بيت كاحل حين أطلق مستوطن النار عليه
278	أحمد عبد الرحيم صالح عبد الكريم	25 سنة	بدرس/ رام الله	2003/1/25	فتح مستوطن النار بينما كان يرعى الغنم في منطقة الحرش غربي بدرس
279	محمد محمود فرارجة	32 سنة	القدس	2003/3/30	ضرب وتعذيب حتى الموت

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
280	رايق مسعود أبو محسن ضراغمة	30 سنة	تياسير/ جنين	2003/5/1	أطلق مستوطن النار على عمال قرب حاجز عسكري في الأغوار الجنوبية
281	أحمد موسى فنشي	42 سنة	يطا/ الخليل	2003/9/20	اختطفه مستوطنون من الخليل عند عودته من أحد الأعراس وقتلوه
282	ماهر طاهر عباس جابر	27 سنة	القدس	2004/1/5	دهس متعمد في 2004/1/4
283	صايل مصطفى أحمد جبارة	46 سنة	سالم/ نابلس	2004/9/27	اعترضه مستوطن أثناء توجهه بسيارته من قرية سالم إلى بيت دجن وفتح النار من مسافة مترين
284	سلمان يوسف سلمان الصفدي	18 سنة	عوريف/ نابلس	2004/10/26	فتح مستوطن النار تجاهه بينما كان يقطف ثمار الزيتون
285	ميشيل بحوث	56 سنة	شفا عمرو/ فلسطين المحتلة	2005/8/4	أطلق المستوطن عيدن زادة النار داخل حافلة بمدينة شفا عمرو فقتله
286	نادر حايك	55 سنة	شفا عمرو/ فلسطين المحتلة	2005/8/4	أطلق المستوطن عيدن زادة النار داخل حافلة بمدينة شفا عمرو فقتله
287	دينا تركي	21 سنة	شفا عمرو/ فلسطين المحتلة	2005/8/4	أطلق المستوطن عيدن زادة النار داخل حافلة بمدينة شفا عمرو فقتله
288	هزار تركي	56 سنة	شفا عمرو/ فلسطين المحتلة	2005/8/4	أطلق المستوطن عيدن زادة النار داخل حافلة بمدينة شفا عمرو فقتله
289	محمد علي حسن منصور	49 سنة	كفر قليل/ نابلس	2005/8/17	أطلق مستوطن النار في المنطقة الصناعية لمستوطنة شيلو فقتله

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
290	خليل محمد رؤوف ولويل	40 سنة	قلقيلية	2005/8/17	أطلق مستوطن النار في المنطقة الصناعية لمستوطنة شيلو فقتله
291	بسام موسى طوافشة	40 سنة	سنجل/ رام الله	2005/8/17	أطلق مستوطن النار في المنطقة الصناعية لمستوطنة شيلو فقتله
292	أسامة موسى طوافشة	30 سنة	سنجل/ رام الله	2005/8/17	أطلق مستوطن النار في المنطقة الصناعية لمستوطنة شيلو فقتله
293	حسين فهمي علي مرداوي	48 سنة	حبلة/ قلقيلية	2006/8/6	فتح مستوطنون من داخل سيارة جيب النار تجاه سيارة شحن فلسطينية قرب بلدة دوما جنوب شرق نابلس فقتلوه
294	محمد حمدان إبراهيم بني جابر	51 سنة	عقربا/ نابلس	2007/3/25	قتله مستوطن طعناً بسكين أثناء قيامه برعي الأغنام جنوب غرب مستوطنة أيتمار شمال غربي عقربا
295	أحمد محمود الخطيب	26 سنة	كفر مشرا	2007/8/10	قتله أحد حراس المدرسة الدينية عطيرت كوهنيم في البلدة القديمة بالقدس على الرغم من أنه ألقى السلاح على الأرض ورفع يديه مستسلماً
296	محمد نسيم سليم أبو يعقوب	14 سنة	كفل حارس/ سلفيت	2007/9/17	كان عائداً من مزرعة عائلته، وقبل أن يقطع الشارع وعلى مقربة من الرصيف دهسته حافلة بشكل متعمد
297	كمال محمد حامد عبد القادر	40 سنة	طولكرم	2007/10/21	دهس متعمد على شارع بين كفر قاسم ومستوطنة أريل شمال سلفيت
298	وصفي عمر الخطيب	27 سنة	القبيبة/ القدس	2007/10/29	دهس متعمد

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
299	محمد فتحي يونس صبارنة	21 سنة	بيت أمر/ الخليل	2008/1/24	أطلق مستوطنون عليه النار في مستوطنة جوش عتسيون
300	محمود خليل عبد الفتاح صبارنة	20 سنة	بيت أمر/ الخليل	2008/1/24	أطلق مستوطنون عليه النار في مستوطنة جوش عتسيون
301	محمد صالح محمد شريتح	15 سنة	المزرعة الشرقية/ رام الله	2008/3/3	أطلق مستوطن عليه النار أثناء مشاركته في تظاهرة احتجاجاً على حرب غزة "الشتاء الساخن"
302	عبد اللطيف علي محمد الحروب	21 سنة	خاراس/ الخليل	2008/3/31	أطلق مستوطنون عليه النار عند مدخل مستوطنة شيلو قرب نابلس
303	شريف باجس فريد شتية	15 سنة	سالم/ نابلس	2008/4/7	دهسه مستوطن من إيلون موريه بينما كان يركب حماراً ويقود قطيعاً من الأغنام شرقي قرية سالم
304	رشاد علي خاطر	20 سنة	عين سينيا/ رام الله	2008/5/9	أطلق مستوطنون النار عليه أثناء تواجده بحقل بين قريتي عين يبرود ودورا القرع شمال شرق رام الله
305	يحيى عطية فهمي بني منية	18 سنة	عقربا/ نابلس	2008/9/27	خطفه مستوطنون أثناء رعيه الغنم، ثم أطلقوا عليه عشرين رصاصة
306	رباح حجازي محمد سدر	17 سنة	الخليل	2008/4/17	أثناء محاولة اجتياز سياج مستوطنة حجاي قبالة منزل عائلته
307	نصر مصطفى عودة الأعرج	15 سنة	عزون/ قلقيلية	2009/1/14	برصاص مستوطن من عمانويل
308	أمجد محمد خضر أبو خضير	29 سنة	شعفاط/ القدس	2009/6/2	أوقفه مستوطن عند باب الخليل وأطلق عليه النار

رقم	الشهيد	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	ظروف الاستشهاد
309	سامر محمود أحمد سرحان	32 سنة	سلوان/ القدس	2010/9/22	برصاص مستوطن في القدس
310	رجاء حلاسي اشتية	40 سنة	سالم/ نابلس	2011/1/8	اصطدام قرب حاجز شرق مدينة رام الله
311	عدي ماهر قادوس	19 سنة	عراق بورين/ نابلس	2011/1/27	مستوطنون يهاجمون المزارعين ويصيبون الشهيد بأربع رصاصات، ثلاثة في جسده وواحدة في وجهه
312	يوسف فخري موسى اخليل	17 سنة	بيت أمر/ الخليل	2011/1/28	رصاصة قاتلة في الرأس أثناء هجوم مستوطنين على أراضي خربة صافا
313	حسام حسين حسن الرويضي	24 سنة	كفر عقب/ القدس	2011/2/11	ضرب مبرح على يد مستوطني القدس
314	سمر سيف مصطفى رضوان	21 سنة	رام الله	2011/4/2	دهس متعمد غرب رام الله
315	أيسر ياسر فواز زراق الزبن	16 سنة	المزرعة الشرقية/ رام الله	2011/5/14	أطلق مستوطنون عياراً اخترق ظهره في منطقة وادي الحرامية
316	فاطمة حمدان صبارنة	60 سنة	بيت أمر/ الخليل	2011/5/31	دهس متعمد بين حلحول وبيت أمر
317	فريد طالب جابر	8 سنوات	الخليل	2011/9/28	دهس متعمد شرق مدينة الخليل
318	عبد المطلب محمد حكيم	45 سنة	دير ستيا/ نابلس	2011/11/9	دهس متعمد بعد عودته من حقله

The Zionist Settlers in the West Bank
Aggression on Land & Man

هذا الكتاب

يعدّ الاستيطان أحد الدعائم الأساسية للمشروع الصهيوني، وهو وسيلة أساسية لتنفيذ برامج التهويد على أرض فلسطين. وفي المستعمرات الإسرائيلية، يتلقى المستوطنون التدريب على أعمال القتل والتخريب والإرهاب، ومنها انطلقت العديد من المنظمات الإرهابية لتقوم بالاعتداء على الفلسطينيين وترويعهم، ولتُنفذ حملات الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

يتناول هذا الكتاب الفكر الاستيطاني الصهيوني وتطبيقاته في الضفة الغربية، ودوافع الاستيطان ومشاريعه ومراحله، كما يتحدث عن خصائص المجتمع الاستيطاني، وبنيته الاجتماعية، ومواقف التنظيمات السياسية منه. كما يتطرق الكتاب إلى نشاط التنظيمات الصهيونية المسلحة ضدّ الفلسطينيين، وإلى الاستفزازات والاعتداءات التي يمارسونها، وأنماط الإرهاب الاستيطاني وأشكاله، وكذلك ضحاياه.

ويعدّ هذا الكتاب من أشمل الكتب التي تناولت الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية، وهو مكتوب بلغة علمية موثقة.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net